مجلة الدراسات الإنسانية
تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية – كريمة – جامعة دنقلا
مجلة نصف سنوية – محكمة- العدد السادس عشر يوليو 2016م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير:
د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

رئيس التحرير:
د. محمد عز الدين على

نائب رئيس التحرير:
د. الرشيد محمد إبراهيم

سكرتارية التحرير:
د. السيد بخت أحمد
د. مجدي سليمان حمزة
د. أميرة علاء الدين صالح

مستشارو التحرير

أ. د. عباس سيد أحمد زروق
أ. د. حسن على الساعوري
أ. د. عبد القادر محمود عبد الله
أ.د. على عثمان محمد صالح
أ. د. محمد المهدي بشرى
أ. د. كباشي حسين قسيمة
أ. د. نصر الدين سليمان على
أ.د. محمد مهدي إدريس

قواعد النشر

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتهتم – على نحو خاص – بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

قواعد النشر بالمجلة:

* يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق A 4 ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 فيما لا يزيد عن (7500) كلمة (25 صفحة) سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.
* ألاَّ يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، كما لا يجوز إعادة نشره - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلاَّ بأذن خطي من المجلة.
* توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكية) للتوثيق، وهي كما يلي: (الإسم الثالث سنة النشر، ص). هذا في حال أسماء الكتاب الأجانب ومؤلفي المصادر العربية **كالطبري**. أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح 2008م، ص109).
* أما ترتيب المراجع في قائمة المراجع فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: اسم العائلة /اسم الشهرة، الاسمين الأولين سنة النشر، عنوان الكتاب/المقال، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.
* عرض المقالات والبحوث على محكمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقال بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئية قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.
* الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.
* تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.
* أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.
* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.

* ❖ ترسل البحوث باسم السيد / **رئيس هيئة التحرير** ـ كريمة ص. ب 58 أو على البريد الإلكتروني على عنوان المجلة magazinearts@yahoo.com أو بالفاكس 0024923122954 تلفون 00249231820098

Guidelines for Authors

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and form a meeting for ground exchange of opinions. The Journal welcomes articles, books, reviews and scientific reports.

* Submitted manuscripts should be written in Arabic, English or French, in the range of 7500 words (ca.25 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk.
* The manuscripts should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.
* References should be cited according to the Harvard University style of citation (the American style) (the surname year, p.), that's in case of references written in non-Arabic languages, or even in case of the classical /medieval Arab authors, such as Al-Tabari. The names of modern Arab authors should be written in its treble form, as (Amira Alaa El-Din Salih 2008, p.109).
* The bibliography should be arranged at the end of the text in the following order, in case of non-Arab authors and classical/medieval Arab writers: family name, the first two names year of publication, title of the book or article, (in case of book, name and place of publisher. In case of article journal serial number and article pages number). In case of modern Arab authors, the name should be written in its treble form.
* Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, articles can be subjected to minor modifications.
* Each author is entitled to obtain 3 copies of the journal in which his/her article is published.
* The views expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.
* Manuscripts will not be returned to their authors.
* Corresponding address: P.O.box:58 Karima, Sudan.

magazinearts@yahoo.come-mail:
Fax: 0249231822954
Tel: 0249231820098

كلمة العدد

دأبت مجلة الدراسات الإنسانية على تقديم نماذج بحثية ومقالات تعكس ابداعات التفكير البشري خلال أعدادها المحكمة التي وصلت إلى هذا العدد، في مسيرة حافلة بالعطاء من قبل الباحثين والمساهمين في إيداع مقالات للنشر وتقديم الدعم اللوجستي بغرض نشر المعرفة وتطوير الأداء. وتحاول هيئة التحرير جاهدة في أن تجد هذه المجلة مكانتها بين رصيفاتها داخلياً وخارجياً.

إن تنوع موضوعات التي تتناولها الدراسات يضيف ألقاً إلى تنوع موضوعات الأعداد المتتابعة، حين جاء هذا العدد مكملاً لهذه المسيرة.

تامل هيئة التحرير أن يكون هذا العدد صنواً لما سبقه في التجويد والتنقيح، وتشكر كل الذين ساهموا في الإعداد لأن يخرج هذا العمل في ثوب قشيب، بدءاً من هرمها في إدارة الجامعة إلى مستويات التنفيذ. ونسوغ عهداً للمشاركين والقراء بأن يكون هذا ديدننا فيما تمليه مسئوليتنا تجاه المشاركة والإسهام في نشر الإنتاج العلمي والمعرفي.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

هيئة التحرير

محتويات العدد

1- كلمة العدد . . . . . .

2- دافعية الإنجاز وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز
د. الرشيد إسماعيل الطاهر
أ.الصادق حامد محمد

3- نظرية العقوبة بين الفقه الإسلامي و القانون الوضعي . . . . . .
د. صالح أحمد التوم

4- المؤثرات القيمية على الثقافة المرورية في المدن الجزائرية. . . . . .
د. شنافي ليندة
ربوح لمبارك

5- المعتقدات الشعبية وأثرها على الأسرة السودانية . . . . . .
د.الماحي أدونا أمينا
د.على صديق حاج حمد

6- دور الشعر الشعبي في التوثيق لرجال الدين بمحلية مروي (قصيدة يا رحمن أرحم بي جودك) للشيخ حاج الماحي نموذجاً . . . . . .
د.محمد فتح الرحمن أحمد إدريس

7- علاقة التخطيط السياحي بالتنمية الاقتصادية الشاملة في الدول النامية
د. احمد عبدالسميع علام

8- شعرية السرد وتداخل الأنواع الأدبية في منثور أمين الريحاني . . .
د. مجدي سليمان حمزة أحمد

9- جهود علماء الأندلس في تيسير النحو . . . . . .
د. تقوى محمد حجر

10- تعدد اللّهجات في اللُّغة العربية . . . . . .
د. إقبال عبد العزيز منوفلي حمد

11. الاغتيالات السياسية في النصف الأول من القرن الأول الهجري التشابه والاختلاف .

د.كمال الحاج الحسين

د. أبوالقاسم خليفة التهامي

12. الإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم عثمان نور من 1970- 2014م" دراسة ببليومترية "

د. سامر إبراهيم باخت يس

13 - The Representation of (Transgender) in Sudanese Novel.....
Wad Amouna in “Jango: Stakes of Earth”
by/ Abdul-Aziz Barka Sakin as an example
Dr. Elsadig Hussein Fadlalla Ali

دافعية الإنجاز وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز

د. الرشيد إسماعيل الطاهر
أستاذ علم النفس المشارك بقسم علم النفس جامعة النيلين
أ. الصادق حامد محمد

المستخلص:

هدف البحث للتعرف على دافعية الإنجاز وعلاقتها بالاتزان الانفعالي لدى لاعبي كرة القدم بالدوري الممتاز .ولتحقيق ذلك اتبع الباحثان المنهج الوصفي من خلال تطبيق مقاييس الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز كأدوات لجمع المعلومات من عينة بلغ حجمها مائة ثلاثة وخمسين لاعباً منهم، حيث تم اختيار العينة بالطريقة العشوائية البسيطة. وبعد جمع البيانات تمت معالجتها باستخدام بعض المعادلات الإحصائية المتمثلة في اختبار (ت) لمتوسط مجتمع واحد، معامل ارتباط بيرسون وتحليل التباين الأحادي والثنائي، ومعامل الانحدار التابعة للحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) وقد خلص البحث بعد التحليل إلى أهم النتائج التالية:

تتسم كل من الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز بالارتفاع لدى لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز، كما أن لمتغيري الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز القدرة على التنبؤ لدى لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز، بينما ليس لمتغير دافعية الإنجاز القدرة على التنبؤ بالدافعية.

كما تمت مناقشة النتائج بناءً على الأدبيات التي وفرها الإطار النظري والدراسات السابقة، وكما قدم الباحثان مجموعة من التوصيات أهمها الاستعانة بالأخصائي النفسي الرياضي وضرورة الاسترشاد بأهمية المهارات النفسية كأحد عوامل النجاح وتحقيق أفضل النتائج الرياضية، والمقترحات البحثية.

مقدمة:

إن القوة الدافعة للإنجاز تساهم في المحافظة على مستويات أداء مرتفع دون مراقبة خارجية، ويتضح ذلك من خلال العلاقة الموجبة بين دافعية الإنجاز والمثابرة والأداء الجيدين، وبهذا تكون دافعية الإنجاز – كما تقاس حالياً- وسيلة جيدة للتنبؤ بالسلوك الرياضي المرتبط بالنجاح أو الفشل في المستقبل (علاونة، 2004).

ويعتبر الانفعال من الحالات التي تنبه الكائن العضوي، لها مكونات فيزيولوجية ومعرفية وموقفية، وتتسم بإحساسات وسلوك تعبيري معين، وهى تنزع إلى الظهور فجأة ويصعب التحكم فيها (احمد عبد الخالق 1993).

تكمن مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

1. ما هي السمة العامة لدافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز ؟.
2. ما هي السمة العامة للاتزان الانفعالي لدى لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز؟.
3. هل توجد فروق في دافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز تبعاً لفترة تسجيله في الفريق؟.
4. هل توجد علاقة بين الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز ؟.
5. هل يوجد تفاعل بين عمر اللاعب وفترة تسجيله في الاتزان الانفعالي ؟.
6. هل يوجد تفاعل بين عمر اللاعب وفترة تسجيله في دافعية الإنجاز ؟.

وتظهر أهمية البحث في جانبين:

أولاً: الأهميةالنظرية:

تتضح فيما يلي:

نظراً لقلة الدراسات التي تناولت موضوع الضغوط النفسية وعلاقتها بالاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم في البيئةالعربية عامة والمجتمع

السوداني خاصة لذا فإن الباحثان يأملان أن تكون هذه الدراسة بمثابة إضافة إلى التراث السيكولوجي.

ثانياً الأهمية التطبيقية:

تتضح في مايلي:

1. يستفيد اللاعبون من علم النفس في مجال التأهيل النفسي.
2. وتستفيد كذلك مؤسسات الدولة في تطويرالجوانب الرياضية.
3. من أجل التعاون مع هذه الفئة والحد من المخاطر المترتبة التي تحدث داخل الملاعب متمثلة في الشغب والتعصب والعدوان وذلك من أجل إقامة مراكز تختص بتاهيل وتدريب واعداد اللاعبين من ناحية نفسية.
4. كما تبرز اهميته في وضع برامج للمدربين من أجل تطبيقها على اللاعبين.

يهدف البحث لتحقيق الأتي:

1. التعرف على السمة العامة لدافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز.
2. التعرف على السمة العامة للاتزان الانفعالي لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز.
3. التعرف على الفروق في دافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز تبعاً لمتغير فترة تسجيله في الفريق.
4. التعرف على العلاقة بين الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز.
5. التعرف على التفاعل بين عمر اللاعب وفترة تسجيله في الاتزان الانفعالي.
6. التعرف على التفاعل بين عمر اللاعب وفترة تسجيله في دافعية الإنجاز.

1. تتسم دافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز بالارتفاع.
2. يتسم الاتزان الانفعالي لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز بالارتفاع.

3. توجد فروق ذات دلالة إحصائية في دافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم تعزي لمتغير فترة تسجيله في الفريق.
4. توجد علاقة ارتباطية بين الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز لدي لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز.
5. يوجد تفاعل بين عمر اللاعب وفترة تسجيله في دافعية الإنجاز.
6. يوجد تفاعل بين عمر اللاعب وفترة تسجيله في الاتزان الانفعالي.

دافعية الإنجاز: عرفها الخالدي (2002 م) بأنها الرغبة في الاستعداد للقيام بعمل معين بأسرع وأحسن ما يمكن.

التعريف الإجرائي: هو مجموع الدرجات التي يتحصل عليها المفحوص بعد تطبيق مقياس دافعية الإنجاز وما تعكسه نتائجه.

الاتزان الانفعالي:اصطلاحاً: هو حالة من التجاوب الثابت والمعتدل نسبياً وهو تفاعل الفرد مع المثيرات بثبات انفعالي واضح (دسوقي، 1981)

إجرائياً: الاتزان الانفعالي هو مجموعة الدرجات التي يحصل عليها المفحوص في مقياس الاتزان الانفعالي وما تعكسه نتائجه.

مفهوم دافعية الإنجاز:

إن دافعية الإنجاز هي دافع مركب يواجه سلوك الفرد لكي يكون ناجحاً في الأنشطة التي تعتبر معياراً للاختبار أو في الأنشطة التي تكون معايير النجاح أو الفشل فيها واضحة. وأن دافع الإنجاز يقتصر على الكائنات الحية البشرية، والمقصود به جهاد الفرد للمحافظة على مكانة عالية حسب قدراته في كل الأنشطة التي يمارسها (أحمد، 1990م).

والدافع هو الرغبة للإحساس بالفخر. و دافعية الإنجاز تعني القدرة الآلية لدى فرد ما على تحقيق الغاية المتوقعة منه و الهدف الذي يتمناه ويستخدم هذا المصطلح عند نجاح الفرد فعلاً في إنجاز هدف معين أو تحقيق أمنية يبتغيها. وأيضاً هي استعداد يتميز بالثبات النسبي للسعي والتحصيل والنجاح،وهذا الاستعداد يظل كامناً في الفرد حتى

يشار بمثيرات أو مؤشرات أو علاقات في موقف الإنجاز تبين له أن الأداء وسيلة للتحصيل، ويعكس سلوك الإنجاز و مشاعر يختص بعضها بالأمل في النجاح ويتعلق البعض الآخر بالخوف من الفشل وبالتالي يفشل الفرد نتيجة للخوف (احمد ، 2004).

و يعرف علماء النفس الدافع للإنجاز أنه الرغبة في الأداء الجيد في شئون الحياة وفي العمل (عبد الفتاح، 1995).

كما يعرف أيضاً بأنه تكوين افتراضي يتضمن الشعور المرتبط بالأداء في مواقف تنافسية تهدف لتحقيق معايير الامتياز والتفوق ويتضمن هذا الشعور جانبين هما الدافع للنجاح والخوف من الفشل رغبة من الفرد في التميز على أقرأنه (قطامي، 1994).

أهمية دافعية الإنجاز:

إن موضوع الدوافع يعد من أكثر موضوعات علم النفس أهميةً سواء على المستوى النظري أو التطبيقي، ومن الصعب التصدي للعديد من المشكلات السيكولوجية دون الاهتمام بدوافع الكائن الحي التي تقوم بالدور الأساسي في تحديد سلوكه كماً وكيفاً، كما أن دراسة دوافع السلوك تزيد من فهم الإنسان لنفسه ولغيره من الأشخاص، ذلك لأن معرفتنا بنفسنا تزداد كثيراً إذا عرفنا الدوافع المختلفة التي تدفعنا إلى القيام بأنواع السلوك المختلفة في سائر المواقف والظروف (قشقوش و محمود، 1990م).

المفاهيم المرتبطة بدافع الإنجاز:

حول طبيعة الإنجاز لدي علماء النفس الغربيين يشير حسن (1998م) إلى أن علماء النفس ذوي الدلالة التاريخية في مجال الإنجاز من أمثال ماكيلاند يتناولون الحدود النظرية لمفهوم الإنجاز وفقا لمدخلين أساسيين الأول الإنجاز كمفهوم افتراضي كامن لدي الفرد وهنا يطرح مفهوم الإنجاز كدافع أو حاجة وكاستعداد أو ميل أو سمة شخصية تتسم بقدر من الاستقرار النسبي لدي الفرد، المدخل ينظر إلى الإنجاز كناتج تعبيري تخيلي أو كأداء فعلي صريح تعبيراً عن الإنجاز كمفهوم افتراضي كامن.

يميز جابر و كفافي (1988م) بين حافز الإنجاز ودافعية الإنجاز، فدافع الإنجاز يشير إلى الرغبة أو الحاجة للإحساس بالفخر والإعتزاز عند إتمام عمل ما أو اتخاذ أداء ناجح، كما يمثل الشعور بالإشباع خلال الإنجاز ومحاولة الاستمتاع بالنجاح في جوانب أساسية لدافع الإنجاز، ولا يتحقق دافع الإنجاز إلا في وجود أمارات موضوعية يدركها الفرد على أنها أشارات لإمكانية تحقيق أو توقع الحصول على الباعث أما الدافعية فهي مفهوم يشير إلى العلاقة التي توجد بين الدافع وتوقع الباعث ذاته، وهي العلاقة التي توجه السلوك تجاه تحقيق الهدف أو تجاه بعض مواضيع الهدف، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه العلاقة تحدد قوة وحجم السلوك المراد من الفرد لتحقيق الهدف.

يضيف حسن (1998م) بأن اتكنيون يفترض أن الحاجة للإنجاز لا تؤثر في السلوك تحت مجرد أي ظروف أو في ظل أي مهمة روتينية، بل فقط حينما يقدم الموقف نوعاً من التحدي الشخصي أو يفسر أتكنيون ذلك في إطار وجداني يتمثل في البحث أو الاستحسان أو الفخر. ويبدو أن الإطار الوجداني الذي أشار إليه أتكنيون يتكون في سياق النمو المعرفي الانفعالي للفرد خلال سنوات تنشئته الاجتماعية في طفولته فقد بين بتروفسكي وياروشفسكي (1996) أن دافع الإنجاز يتشكل خلال تربية الطفل داخل الأسرة تحت تأثير والديه حيث تأتي أمه في المقام الأول، وأن الأساس الذي يبني عليه هذا الدافع يتألف من التداعيات المصحوبة بالعاطفة بأشكال سلوكه.

سمات الشخصية ومؤشرات الإنجاز:

بين حسن (1998م) أن محواري قد أشار ومنذ وقت مبكر إلى بعض الأشكال السلوكية للإنجاز والتي تتمثل في كون الفرد أكثر نشاطاً، وحباً للتجريب وتكثيف الجهود لتحقيق شيء صعب. والعمل بشكل مستقل للوصول إلى هدف بعيد المدى، والتصميم على التفوق في مواجهة الآخرين، ومحاولة فعل شيء، والاستمتاع بالمنافسة، وممارسة إدارة قصدية للتغلب على الملل والتعب. ويضيف حسن (1998م) بأن دراسات عديدة قد كشفت عن توافر ارتباطات سلوكية لدافعية الإنجاز، حيث يبدو المفحوصون ذو التقدير المرتفع في الحاجة للإنجاز أكثر سرعة من حيث التعلم،

ويجتازون أداء المهام المألوفة، ويظهرون مرونة أكثر سرعة من حيث المشكلات، ويحاولون التعامل مع المشكلات بشكل أكثر فعالية، ويقاومون التعب، ويحصلون على درجات عاليه في معدل الأداء بأقل قدر من الأخطاء.

يشير عبد الحميد وكفافي (1998م) إلى أن الأفراد الذين يحصلون على درجات عالية في دافع الإنجاز غالباً ما يضعون لأنفسهم معايير أعلي في العمل، ويعملون بمثابرة أكبر من نظرائهم ممن يحصلون على درجات منخفضة في دافعية الإنجاز ويضيفان بأن ماكيلاند قد وجد علاقة ارتباط طردي بين دافعية الإنجاز ودرجة الاستقلالية التي خبرها الفرد في طفولته، وكذلك مع درجة الإنجاز الفعلي في الحياة فيما بعد.

يبين دويدار (1991م) أن الدافع للإنجاز يعد للإنجاز مكوناً جوهرياً مهماً في سعي الفرد نحو تحقيق ذاته وتوكيدها بحيث يشعر الإنسان بتحقيق ذاته من خلال ما ينجزه ومن الأهداف التي يحققها، وفيما سعي اليه من أسلوب حياه أفضل ومستويات أعظم لوجودها الإنساني الواعي، ويضيف بأن نظام القيم لدي الفرد – وبخاصة القيم الدينية، يؤثر على توجهاته ويحدد جودي الأنشطة التي يمارسها وأساليب ممارسته لها، ويشرح ذلك بأن الدافع المرتفع للإنجاز قد يزيد من القلق وبالتالي ربما يقود إلى العدوان وإلى خرق الأعراف الاجتماعية والأخلاقية، والأمر الذي يبرز دور الدين في تحقيق الضبط الاجتماعي والأخلاقي وفي ربط الإنجاز بالغاية الكلية لوجود الإنسان ومن ثم حماية ذوي الإنجاز المرتفع من القلق وما قد يصحبه من اضطراب نفسي – جسمي بما يحقق لذلك مستويات عالية من الصحة النفسية السليمة.

قياس دافعية الإنجاز:

تري لندا دافيدون (1983م) أن عالم النفس (هنري موراي) إفترض أن الحاجات الاجتماعية تنعكس بدقة في تفكير الأفراد حيث لا يكونون مضطرين إلى التفكير في شيء على وجه الخصوص وذلك من خلال وضع قصص لصور تعرض عليهم وقد اعتقد (هنري موراي) أن الأفراد وهم ينسجون القصص يسقطون حاجاتهم ومخاوفهم وآمالهم على صفات الشخصيات المعروضة عليهم.

هناك الحاجات لتطوير المقاييس التي تقيس بها الدافع للإنجاز ومن هذه الإتجاهات من تبني الأسلوب الإسقاطي بينما يتبني الإتجاه الثاني الأساليب غير الإسقاطية كامل (1997م)

دوافع الأداء الرياضي:

تعتبر داوفع الأداء الرياضي سواء كانت داخلية أم خارجية بمثابة دوافع إجتماعية مكتسبة من المجتمع، حيث يمكن تعلمها، واكسابها للنشء الرياضي. وأن كان الأمر من جهة نظرنا يحتاج إلى أن نلقي مزيدا من الضوء على أسباب إختيار الناشئ ممارسة نشاط رياضي معين، أو أكثر من نشاط رياضي؟ ولماذا يستمر هذا الناشئ في ممارسة هذا النشاط الرياضي المعين؟ وما هي أسباب العزوف الكلي أو الجزئي عن ممارسة النشاط الرياضي؟ (حسن، 2007م).

وربما يكون من المفيد في محاولة الإجابة عن الأسئلة السابقة وغيرها أن نتعرض لتحليل بعض العوامل الهامة المرتبطة بالاستعداد Reedness للتعلم والأداء الرياضي.

يعني الاستعداد الحالة التي يكون عليها الناشئ من حيث القابلية للتعلم والتدريب. فإن وسائل وطرق تنمية الدافعية تفقد قيمتها، إذا لم يكن الناشئ فعلاً لديه الاستعداد لتعلم المهارات الرياضية الخاصة لنشاط رياضي معين. ومفهوم الاستعداد يتضمن كلاً من الاستعداد البدني والاستعداد النفسي. ونستعرض فيما يلي شرحاً لكل من النوعين السابقين: (زبيدة، 2005م)

أ/ الاستعداد البدني.

ب/ الاستعداد النفسي (سعيد، 2006م).

بعض العوامل المؤثرة في الاستثارة الانفعالية والأداء الرياضي:

سبق أن أوضحنا أن بحث العلاقة بين الاستثارة الانفعالية، ومستوى الأداء الرياضي، دون الأخذ في الاعتبار العوامل الكثيرة الأخرى يعتبر نوعا من التضليل، غير المفيد من الوجهة العلمية، وقدمنا نموذجاً مقترحاً لكل من (أوكسندين" عام 1980م و (لوريتا) عام 1982م يفسر هذه العلاقة في ضوء عامل جوهري وأساسي وهو طبيعة

الواجبات الحركية والنشاط الرياضي، وفقاً لمحك أساسي هو مدي تعقد، أو بساطة المهارات الحركية المتضمنة في نشاط رياضي معين. والواقع العلمي يؤكد أن فهم العلاقة بين الاستثارة والأداء أكبر من أن يفسر من هذه الزاوية فحسب. لذا فقد اقترح بعض العلماء مثل (مارتنز) Martta عام 1971م و (اوكسندين) Oxending عام 1980م، ولوريتا Loretta عام 1982م أهمية أن يؤخذ في الاعتبار عملية المعلومات Information Processing الخاصة لكل مهارة ورغماً عن أن ذلك قد حظي باهتمام بعض الباحثين مثل (لاندرز) Londers عام 1980م، (مارتنوك) Marteniok عام 1976م، و (يلفورد) Welford عام 1976 فإن طبيعة العلاقة بين الاستثارة والأداء ظلت غير واضحة لاعتبارات تتعلق بالمتطلبات الإدراكية للمهارات الحركية، لذلك قد يكون من الملائم هنا أن نلقي مزيداً من الضوء على العلاقة بين الاستثارة والأداء الرياضي من خلال التعرف على ما يلي: (أحمد، 2004م)

أولاً: القدرات المطلوبة لأداء المهارة (القدرات الحركية- القدرات الإدراكية – القدرات المعرفية).

ثانياً: مراحل تعلم المهارات الحركية: (مكونات المهارة الحركية- طبيعة عملية التعلم – الفروق الفردية).

وفيما يلي مناقشة النقطتين السابقتين:

عوامل الدافعية المؤثرة في الإنجاز الرياضي:

يعرف دافع الإنجاز بأنه المنافسة من أجل تحقيق أفضل مستوى أداء ممكن وقد يستخدم أحياناً مصطلح الحاجة للإنجاز أو التوجهات الإنجازية ليعبر عن دافع الإنجاز، هذا ويندرج دافع الإنجاز بشكل عام تحت حاجة كبيرة أشمل وأهم وهي الحاجة للتفوق.

يبدو أن هناك خصائص عامة تميز الأشخاص الذين يتميزون بدرجة عالية من الإنجاز في مناشط الحياة المختلفة ومنها النشاط الرياضي ربما من المناسب أن نشير إليها كما يلي: (نجاح، 2008م)

1. يظهرون قدراً كبيراً من المثابرة في أدائهم.

2. يظهرون نوعية متميزة في الأداء.
3. ينجزون الأداء بمعدل مرتفع.
4. يعرفون واجباتهم أكثر من اعتمادهم على توجيهات الآخرين.
5. يتسمون بالواقعية في المواقف التي تتطلب المغامرة أو المخاطرة.
6. يتطلعون إلى أداء المواقف التي تتطلب التحدي.
7. يتحملون المسئولية فيما يقومون به من أعمال.
8. يحبون معرفة نتائج أدائهم لتقييم قدراتهم وتطويرها نحو الأفضل.

وجهة الضبط الداخلي وأهميتها في تطوير الدافعية نحو الأداء الرياضي:

يعتبر مفهوم وجهة الضبط من المفاهيم الحديثة نسبياً أشتق من (نظرية التعلم الاجتماعي) Social Learning Theory التي صاغها (جوليان روتر) Julian Rotter. وتذهب هذه النظرية إلى أن الناس يختلفون في إدراكهم لمصدر التدعيم، فبعضهم يرى أن التدعيم يأتي دائماً من الخارج، بينما يرى البعض الآخر أن مصدر التدعيم داخلي.

يمكن التفرقة بين هاتين الفئتين كما يلي: " عندما يدرك الرياضي التدعيم الذي يلي أفعاله وتصرفاته الشخصية باعتباره أمراً مستقلاً وغير متسق بصورة دائمة مع تصرفاته، فإنه يدركه كنتيجة للحظ أو للصدفة أو للقدر أو كنتيجة لتأثير الآخرين، وأمر لا يمكن التنبؤ به لتعقد العوامل المحيطة به. وعندما يفسر الرياضي نتيجة أدائه بهذه الطريقة فإننا نسمي هذا (أعتقاد في الضبط الخارجي) Belief in External Control، أما إذا كان إدراك الرياضي أن الأحداث تقع بصورة متسقة مع سلوكه الشخصي أو مع سماته المميزة والدائمة فإننا نسمي هذا (إعتقاداً في الضبط الداخلي) Belief in Internal Control مع ملاحظة أن التدعيم في هذه الحالة لا يقع إلا إذا كان الرياضي شاعراً به ومدركاً للعلاقة السببية بين أفعاله والنتائج المترتبة عليه.

على ضوء ما سبق يمكن أن نقرر أنه إذا أدرك الرياضي التدعيم الذي يصادفه مرتبطاً أو مترتباً على سلوكه فإنه قوة أو ضعف احتمال صدور السلوك عنه في المواقف المشابهة فيما بعد، يتوقف على إيجابية التدعيم أو سلبيته. وعندما يرى الشخص الرياضي أن التدعيم الذي يتبع سلوكه خارج نطاق تحكمه أو سيطرته، أو غير متسق مع سلوكه فإنه يعزو هذا التدعيم إلى عوامل خارج ذاته، مثل الصدفة أو القدر، أو قد يعزوه إلى عوامل يصعب التنبؤ بها، وعلى ذلك يحتمل أن يضعف هذا السلوك. بمعنى أن احتمال صدوره في المواقف المماثلة في المستقبل يصبح إحتمالاً ضعيفاً (Kremer,J. & Scully D , 2001).

النظريات المفسرة لدافعية الإنجاز:

أ/ نظرية العزو السببي للروتر: يشير الفرماوي (2004م) إلى أن نظرية العزو السببي والتي قدمها روتر عام (1972) قد انعكست على دراسة دافعية الإنجاز، وافترض روتر أن مصادر العزو السببي تحدث بوجه عام في ضوء بعدين أساسيين هما:

موضع الضبط (داخلي – خارجي) ومدي ثبات الشخص على إتجاه محدد للعزو. ويضيف الفرماوي أن دويك وليجيث قد إستخلصا أربع حالات في ضوء ما إفترضه روتر في نظريته للعزو هي:

تكون دافعية الإنجاز مرتفعة حينما يعزو الشخص نجاحه أو فشله إلى عوامل مثل القدرة أو المجهود. تكون دافعية الإنجاز منخفضة حينما يعزو الشخص نجاحه أو فشله إلى عوامل خارجية مثل صعوبة المهمة أو الحظ. تناقص دافعية الإنجاز عندما يعزو الشخص فشله لعوامل تتصف بالثبات مثل القدرة أو صعوبة المهمة. تتزايد دافعية الإنجاز عندما يعزو فشله لعوامل لا تتصف بالثبات مثل المجهود المهمة تنخفض دافعية الإنجاز.

ب/ نظرية اتكنسون: ذكر إبراهيم (1979م) أن أتكنسون قام بتطوير نظرية (ماكليلاند) في محاولة بناء للسلوك باستخدام دافعية الإنجاز وتقوم هذه النظرية على أساس ثلاثة عوامل مهمة تستثير دافعية الإنجاز هي:

العامل الأول هو قوة توقع أو إحتمال النجاح أو الفشل في تحقيق مهمة ما. أما العامل الثاني هو درجة الرغبة أو عدمها في النتائج المهمة. وأيضاً قوة الدافع للنجاح أو تجنب الفشل.

يعتبر أتكنسون من المنظرين المعرفيين في دافعية الإنجاز بسبب اهتمامه بإدخال مفهوم التوقع في نموذجه، وتوازناً مع هذا الدافع الإيجابي لإحراز النجاح يسلم (اتكنسون) أيضاً بالخوف من الفشل أو الدافع إلى تجنب الفشل، فالأنشطة المرتبطة بالإنجاز تستدعي توقعات إنفعالية موجبة بسبب ما.

ج/ النظرية المعدلة لنيجارد: تري صفاء (1974م) أن الأساس العام للنظرية المعدلة والمطورة يقدم على المسلمة التي نادى بها المتطرفون حول أقصي استثاره بمعني أن الاستثارة القوية تنبه الاستثارة الضعيفة من حيث إعتبارها خبره سارة وسالبة يجب تجنبها، وأن الاستثارة المتوسطة تعد خبره سارة موجبه يسعي إليها الفرد. وبطبيعة الحال أن هنالك أنظمة عديدة للدافعية يمكن أن تستثار عن طريق موقف معين، لذا فإن تساؤلاً مركزياً يمكن طرحه على النحو التالي:

ما هي خصائص الموقف أو المهمة التي يمكن أن تستثير نظام دافعية الإنجاز عند الطالب؟

إن خاصية النجاح أو الفشل في موقف ما يمكن أن تكون الجانب المبدئي عن الحديث عن استثارة أنظمة دوافع الإنجاز. فأضعف الاستثارات يجب أن تقدم عند المهمات التي لا يحتمل فيها الفشل أو عندما يكون الاحتمال ضعيفاً، أو عند المهمات التي يتم إدراكها على أنها فوق قدرات الفرد.

بناء على ذلك كلما زادت قدرة الفرد على تحديد درجة اقتداره على التغلب على الموقف، كانت زيادة الاستثارة وقوتها أمراً مطلوباً وبمعني أخر يفترض أن الاستثارة الأقوي تتقدم في المواقف التي يكون احتمال النجاح أو الفشل فيها بنسبه 50٪ وأن الاستثارة الأضعف هي التي تبدو وتتقدم في المواقف التي يكون احتمال النجاح أو الفشل فيها الواحد الصحيح أو الصفر.

هذه النظرية المعدلة التي جاء بها نيجارد حيث عدل وطور من خلال نظرية أتكنسون، وهي تمثل مفهوماً مختلفاً، فسواء أصبحت الدافعية موجبة أم سالبة أي سواء كانت النتيجة القيام بالعمل أم النشاط أم الميل إلى المقاومة فإن كل ذلك يعتمد على الدوافع وعلي كيفية إدراك صعوبة العمل.

د/ نظرية قيمة الذات:تفترض نظرية قيمة الذات أن أعلي أولوية إنسانية يبحث عنها الفرد من التقبل الذاتي، أي أن يشعر بأنه مقبول، ومحبوب من قبل الآخرين من حوله، ومن هم في مجتمعه، ويعتمد هذا التقبل الذاتي في المدرسة على قدره الطالب على التحصيل تنافسياً، وفي الغالب فإن الميل إلى الإنجاز عادة ما يكون قيمة إنسانية في حد ذاته، وبصورة أخرى يمكن القول أن الأفراد لا يعرفون قيمتهم إلا حينما ينجزون، طبقاً لهذا المفهوم فأنه يبدو أن الطلاب يربطون دوماً بين قدراتهم وقيمتهم الذاتية (نور، 2004م).

إن الطلاب الذين يجدون نوعاً من المخاطرة والتهديد عند حصولهم على قيمة لذواتهم. يميلون إلى الشعور بعدم الأمن. وفي ذات الوقت نجدهم لا يملكون استراتيجيات أخرى لتفادي الرسوب وتحاشي الفشل فيقعون فريسة لأفكار تجرهم إلى عدم محاولة تفادي الرسوب، أو بمعنى أدق ما يسببه الرسوب من ألم وأوجاع فيلجأون إلى تكوين فكرة عن ذواتهم وأنفسهم بأنهم أغبياء(نور، 2004م).وبالتالي فإنهم لا قيمة لهم، وفي حقيقة الأمر أن نظرية الذات ترى أن أفضل فهم للإنجاز الأكاديمي يكمن في إطار محاولات الطلاب الاستمرار في احتفاظهم بصورة إيجابية عن اقتدارهم وجدارتهم خاصة عندما تكون مخاطرة التنافس هي الفشل (نور، 2004م).

إستنتج الباحثان أن روتر في نظريه العزو السببي في موضوع دافعية الإنجاز أن الشخص يعزو إرتفاع أو إنخفاض الدافعية لديه إلى نجاحه أو فشله والتي يمكن أن تعزي لعوامل خارجية مثل صعوبة المهمة أو الحظ. أما أتكسون قد ركز على مفهوم التوقع في نموذجه، وتوازناً مع هذا الدافع فقد يكون إيجابياً مرتبطاً بالنجاح وسلبياً مرتبطاً بالفشل. أما لينجارد فقد أهتم بعامل الإستثاره التي تمثل خبره لدى الفرد فإذا

كانت هذه الخبرة ساره فقد يرتفع معدل الدافعية أما إذا كانت سالبه فقد تؤدي إلى إنخفاض معدلها. ومن نظريه قيمة الذات ركز أصحابها على مدى قبول الآخرين للفرد نفسه فكلما كان تقبل الآخرين للفرد جيداً كلما كان دافعه للإنجاز مرتفعاً والعكس صحيح.

تعقيب:

يرى الباحث أن الموقف الاجتماعي يلعب دوراً كبيراً في زيادة دافع الفرد للعمل وخاصة في الجانب الرياضي بمعني أن التوجهات الاجتماعية للإنسان تعكس حاجاته إلى تقديم صورة مرغوب فيها لدي الآخرين ورغبة الفرد في تكوين إنطباع جيد لدى الآخرين يعد دافعاً أساسياً وأن خوف الإنسان بشأن عدم حدوث ذلك ينشأ منه قلق بمستوي عالٍ. من هنا يؤكد الباحثان أن لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز السوداني لديهم مستوى كبير من دافع الإنجاز ولكن قد يعتمد بعضهم في المهام على الآخرين وخاصة إذا كان اللعيبة لديهم تفاهم في المستطيل الأخضر مما يؤدي ذلك إلى معرفة تحديد مهام كل لاعب ولكن عموماً نجد أن دافعية الإنجاز لهؤلاء اللاعبين قد تقل في بعض الأحيان نتيجة لبعض التغيرات الإنفعالية.

الاتزان الانفعالي

الإنفعال هو حالة تنبيه داخل الكائن العضوى، لها مكونات فيزيولوجية ومعرفية وموقفية، وتتسم بإحساس وسلوك تعبيرى معين، وهى تنزع إلى الظهور فجأة ويصعب التحكم فيها (احمد 1993).

تعريف الاتزان الانفعالي:

يعرفه أديب الخالدي بأنه الأساس الذي ينظم جميع جوانب النشاط النفسي التي إعتدنا أن نسميها بالانفعالات أو التقلبات الوجدانية من حيث تحقيقها لشعور الشخص بالاستقرار النفسي أو باختلال هذا الاستقرار، والرضا عن نفسه، أو بإختلال هذا الرضا وبقدرته على التحكم في مشاعره أو بإفلات زمام السيطرة من يديه (أديب، 2001م).

فيما تعرفه كاميليا عبد الفتاح بأنه الحالة التي يستطيع فيها الشخص إدارك الجوانب المختلفة للمواقف التي تواجهه في الربط بين هذه الجوانب وما لديه من دوافع وخبرات وتجارب سابقة (كاميليا، 1972م).

يشير دريغر إلى أن العصابية أو عدم الاتزان الانفعالي هو عيب متميز يتصف بالإثارة الانفعالية المتطرفة في حين يرى أيزنك أن العصابية أو الإنفعالية استجابة مبالغ فيها من جانب الفرد تجاه مجموعة من المنبهات وتأخذ هذه الاستجابة شكل الإنفعالات البالغة القوة في الظروف التي لا يشعر فيها معظم الناس إلا بانفعال ضعيف أو قد لا يشعرون فيها بانفعال على الإطلاق (إبراهيم، 1987م).

و عرفه مهيد المتوكل بأنه التحكم والسيطرة في الانفعالات المختلفة، بمعني أن تكون إستجابة الفرد الانفعالية معقولة ومقبولة ومناسبة للموقف وأن يتحرر الفرد من التغيرات أو التقلبات الحادة في المزاج ومن الإستجابات الدالة على التوتر والضيق والقسوة على نفسه أو على الآخرين من حوله (مهيد، 2003م).

يستخلص الباحثان من هذه التعريفات أن الاتزان الانفعالي هو قدرة الفرد على السيطرة في انفعالاته عند مواجهة مجموعة من المنبهات المختلفة التي يمكن أن تؤثر على سمات شخصيتها.

من هو المتزن انفعالياً؟

الشخص المتزن إنفعاليا هو:

- الشخص الذي تعلم تبادل الحب والوفاء والولاء في مراحل نموه المختلفة ويستطيع توصيل مشاعره إلى الآخرين بصورة تجعلهم يتعلمون تبادلها معهم.
- الذي تعلم كبح جماح غضبه واندفاعه دون أن يسلك بطريقة سلبية ودون أن يفقد تلقائيته ومبادئه ودون أن يفقد مشقة التعاون والمنافسة.
- هو الذي يستشف السرور من التبعية المتبادلة من الحاجة إلى الآخرين ومن أن يكونوا في حاجة إليه.

- هو الذي يستطيع أن يقوم بأدواره الإجتماعية بكفاءة وإيجابية(كاميليا، 1972).

سمات غير المتزنين انفعالياً:

1. كثرة الأخطاء الحركية.
2. الضغط بشدة عند الكتابة مما يدل على إرتفاع التوتر والسرعة في زمن الرجع لأنه أقل حدة في البصر والسمع.
3. يهتم باللون أكثر من الشكل كما لهم صفات عديدة كالغيرة وحب الذات والتناقض الوجداني وفقدان الثقة بالنفس وإسقاط انفعالاتهم وإتجاهاتهم على الآخرين.(أيزينك، 1960م)

النظريات المفسرة للإتزان الانفعالي:

نظرية التحليل النفسي:

على أساس مراحل تطور الغريزة الجنسية قسم فرويد الشخصية إلى ثلاثة أنماط:

الشخصية الفمية: ويغلب على سلوك صاحبها الإعتماد على الآخرين والخمول والتشاؤم والحنين إلى مرحلة الحضانة.

الشخصية الشرجية: وتتميز بحب النظافة والنظام، ويميل صاحبها إلى البخل والعناد.

الشخصية القضيبية: ويعرف صاحبها بنرجسيته وطموحه غير الواقعي الذي يجعله عرضة للإحباطات المستمرة.

وللتحقق من وجود هذه الأنماط وتوزيع الناس عليها صمم كراوت KROUT وتابين TABINأداة وتم تطبيقها على عينة من طلبة الجامعة لمعرفه خصائصهم النفسية. وجاءت النتائج مخيبة لآمال الفرويديين. فقد أسفر تحليل استجابات المفحوصين عن وجود ارتباط ضعيف بين الخصائص النفسية داخل النمط الواحد (محمد، 1998م).

يلاحظ الباحثان من خلال المفاهيم التي أشار إليها فرويد في نظريته أن الإنسان يكون متزن انفعالياً إذا اشبعت جميع احتياجاته الشخصية ومر بجميع مراحله

الثلاث بصوره جيدة دون إفراط في أي منها مما قد يؤدي ذلك إلى حالة النكوص التي قد يصاحب صاحبها العديد من التغيرات في سلوكه في المستقبل.

نظرية علم النفس التحليلي:

قسم يونغ البشر إلى نمطين: انطوائيين وانبساطيين. فالإنسان المنطوي ينزع إلى العزلة والانكفاء على ذاته. والإنسان المنبسط يميل إلى مخالطة الآخرين ومعاشرتهم. وفيما بعد طور يونغ تصنيفه هذا معتمداً على ما تؤديه النفس الإنسانية من وظائف. وتنحصر هذه الوظائف في التفكير والحس والحدس والوجدان. فوجد أن كلاً من المنطوي والمنبسط يمكن أن يكون مفكراً أو حسياً أو حدسياً أو وجدانياً. فالمنطوي –المفكر يهتم بالحقائق النظرية والمثل خلافاً للمنبسط – المفكر الذي يهتم بالحقائق الموضوعية المحسوسة. وتمثل شخصية الفيلسوف النمط الأول. بينما يمثل عالم الطبيعة النمط الثاني.

والمنطوي الحسي يصبغ العالم الخارجي بصفته الذاتية، ويخلع عليه ألواناً خاصة من وحي نزواته ونزعته إلى اللذة. وهذا النمط هو نقيض النمط المنبسط – الحسي الذي يتميز بالواقعية.

وهناك المنطوي الحدسي الذي يبتعد بفكرة وعمله عن الواقع، على العكس من المنبسط- الحدسي الذي يتميز بالنشاط العملي والاجتماعي. ويمثل الفنان ورجل الدين النمط المنطوي- الحدسي. في حين يمثل رجل الأعمال والمصلح الاجتماعي والصحفي والسياسي النمط المنبسط- الحدسي (محمد، 1998م).

أما المنطوي –الوجداني فهو إنسان سريع الانفعال، متقلب المزاج، متأجج العاطفة، كثير الأحلام. ويقابله المنبسط- الوجداني الذي يسيطر عليه الشعور بالواجب تجاه الآخرين ومراعاة التقاليد الاجتماعية.

ويتفق رورشاخ مع يونغ في تقسيم الناس إلى فئة المنطوين وفئة المنبسطين. ويعرف المنطوي بأنه إنسان ذو ذكاء عال، وقدرة على الإبداع والابتكار، وانفعال ثابت. ويعاني من صعوبات في إيجاد قنوات اتصال بالغير. والمنبسط –عنده- هو شخص

يمتاز بذكاء عادي، ومهارات اجتماعية عالية، وانفعال متغير، وشعور لين، ومرونة كافية (محمد، 1998م).

كما يستنتج الباحثان من خلال نظرية علم النفس التحليلي ليونغ أن الإنسان يكون متزناً إنفعالياً إذا لم يكن منبسطاً أو منطوياً وأنما يكون في الوسطية بمعني أن تكون هنالك درجة من الانبساطية ودرجة محددة من الانطوائية وأما إذا كان غير ذلك فقد ينحو منحي آخر وقد يصعب عليه الاتزان الانفعالي في جميع المواقف التي تواجهه.

نظرية عوامل الشخصية:

عمل كاتل على تخفيض قائمة السمات إلى أقل عدد ممكن ليتيسر استخدام طريقة التحليل العاملي في معالجتها. وبذل في هذا السبيل جهوداً ضخمة تُوجتّ بتصميم "استبيان الشخصية للراشدين"(P.F.16)(لازاروس، 1984م). ويحتوي هذا الاستبيان على عدد كبير من البنود لقياس 16 سمة اعتقد أنها كافية لتوصيف الشخصية. (إجلال، 2000م).

أما عن نظرية كاتل التي تتحدث عن عوامل الشخصية يلاحظ الباحثان أن هنالك وجه شبه بينها وبين آراء يونغ في نظرية علم النفس التحليلي وذلك يتمثل في أن كاتل وضع سمات محددة للشخصية المتزنه فهي تقع بين طرفين متناقضين مما يؤكد ذلك على أن الشخصية المتزنه إنفعالياً هي شخصية وسطيه بين السواء والشذوذ.

نظرية سيكلوجية الفرد:

مؤسسها جوردون البورت الذي يرى من خلالها أن الشخصية هي:

1. التنظيم الدينامي للأجهزة النفسية الفيزيقية: أي أن الشخصية نتاج مكونات فيزيقية (الجسم والأعصاب، مثلاً) ونفسية (العقل، مثلاً)، تتفاعل بطريقة منظمة. والشذوذ عن السواء ناتج جزئياً عن عدم تكامل عمل تلك الأجهزة. وعلى الرغم من أن الشخصية منظمة إلا أنها نامية متغيرة بإستمرار.

2. يحدد ألبورت أن الشخصية هي ما يكمن داخل الفرد وراء الأفعال الصادرة عنه. كما أن في هذا إشارة إلى أن الفرد ليس مجرد متلق سلبي للمؤثرات البيئية، وإنما يتولد سلوكه من الداخل نتيجة لبنية الشخصية.
3. طابع الفرد المميز في السلوك والتفكير: تأكيد على أهمية التفرد.
4. التمييز بين الشخصية والخلق والمزاج والنمط:
5. المزاج: يشير ألبورت إلى المزاج والذكاء والجسم باعتبارها المواد الخام التي تتكون منها الشخصية، وهي جميعها محددة وراثيا. ويشير المزاج إلى طبيعة الفرد الانفعاليه والتي تشمل قابليته للاستثارة الانفعاليه وقوة استجابته وسرعتها ونوعية حالته المزاجية السائدة، وجميع الخصائص المميزة لتقلب هذه الحالة وشدتها.
6. النمط: طريقة لتصنيف الناس. الشخصية تولد العناصر السلوكية التي نطلق عليها أنماط (احمد ، 1993م).

وفي هذه النظرية يستنتج الباحثان أن الشخصية تتكون من مجموع من المكونات منها الفيزيقية والنفسية وتفاعل هذه المكونات وتكاملها تنتج عنه الشخصية المتزنة انفعالياً. فإذا حدث اختلال لهذا التفاعل فقد تختل الشخصية ويصبح صاحبها غير متزن انفعالياً.

نظرية الأبعاد الأساسية:

نظرية أيزنك: والتي تعرف بالأبعاد الشخصية، والتي يعرف من خلالها البعد النفسي بأنه تجمع ملحوظ من السمات، وهو بهذا نوع من التنظيم أكثر عمومية يضم السمة بوصفها جزءاً مكوناً للشخصية الإنسانية، وتمخضت بحوث إيزنك في هذا الجانب إلى الوصول إلى ثلاثة أبعاد أساسية للشخصية هي بعد الانبساطية والعصابية والزهانية.

يعرف بعد العصابية: بأنه عامل ثنائي القطب يعني لديه طرفان هما العصابيه والاتزان الانفعالي. وهو المحور الذي ينظم مظاهر السلوك من حيث ما تتعرض له من

مظاهر حسن التوافق والنضج والإتزان الانفعالي " قوة الانا " وبين اختلال هذا التوافق " العصابية"

العصابيه الاتزان الانفعالي " قوة الأنا".

وقد أسفرت نتائج بحوث أيزنك عن الوصف التفصيلي للسمات الشخصية التي يتميز بها الشخص الحاصل على درجات مرتفعة بعد العصابية:

أ. هو في المتوسط شخص يشكو قصوراً في العقل والجسم.

ب. ذكاؤه نحو المتوسط وكذلك إرادته وقدرته على الضبط الانفعالي، ودقة إحساسه، وقدرته على التعبير عن نفسه.

ج. قابل للإيحاء، وتنقصه المثابرة، وبطيء في التفكير والعمل.

ح. غير اجتماعي، وينزع إلى كبت الحقائق غير السارة.

أما الشخص الحاصل على درجات مرتفعة في الاتزان الانفعالي يتميز بالآتي:

خ. القدرة على التفاعل مع الآخرين بصوره سليمة.

د. القابلية للتعلم.

ذ. سرعة الإدراك.

من خلال العرض أعلاه يستنتج الباحثان أن الشخص المتزن إنفعالياً هو شخص متحرر بدرجة كبيرة من سمات الشخص العصابي أي أنه حاصل على درجات منخفضة في بعد العصابية وهي بالتالي أقرب إلى الطرف المقابل العصابية والمتميز بقوة الأنا.

الدوري العام السوداني لكرة القدم (الدوري الممتاز)

يعتبر النشاط الحركي من الأنشطة عالية التنظيم للمادة الحية. ومنذ نشأة الإنسان على الأرض في سياق نموه التطوري تعمل كافة وظائفه وأجهزته بشكل طبيعي في ظروف إعتمد فيها على تأسيس أنماط حركية متنوعة، تعتبر الأنشطة الرياضية وسيلة مؤثرة جداً في حفظ وتوعية وصحة الأجيال الناشئة في المرحلة المعاصرة الحديثة لنموه وتطوير المجتمعات،وهذه الأنشطة طبيعيا تملؤها متطلبات الجسم الداخلية في حالات العمل والمجهود العضلي المتوتر والمتكرر(إدريس، 2008م).

لقد تطورت كرة القدم في العصر الحديث وأخذت أشكالاً جديدة من الجوانب العديدة التي يتطلبها الأداء التنافسي وضروب طرق اللعب وقد تباينت وتعددت ونشأ عنها اختلال في الخطط الدفاعية والهجومية والفردية والجماعية والتي استخدمت درجة عالية ودقة وتحركاً مستمداً طوال زمن المباراة وبكفاءة جميع اللاعبين وإن كرة القدم تتطلب حملات تدريبية أكثر تركيزاً بإعداد اللاعبين حسب اللعبه قد تكون أسهل رياضه للمرء أن يمارسها ولكنها في نفس الوقت أصعب رياضه إذا حاول التعمق فيها وقد ازدادت أهمية القدرات البدنية(دراج، 2004م).

تم تكوين كتلة الممتاز من عشرة أندية حسب التأهيل في مراحل التنافس، ففي المنافسة توجد أنديه قوية في الخرطوم وبعض الولايات وهي منافسه لها دور كبير في تكوين المنتخب الوطني الأول والشباب وتمكن بعض لاعبى الولايات بالظهور المشرف مع أندية ولاياتهم وتخلق نوعاً من المتعة والإثارة والتصرف بين اللاعبين في الأندية والجماهير في الولايات ومشجعي الفرق الكبيرة.

تم زيادة عدد الفرق في المرحلة الثانية إلى اثني عشر فريقاً وتم فتح باب الإحتراف فاحترف عدد مقدر من اللاعبين الأجانب للعب في الدوري السوداني وهي تجربة رائدة تدفع روح التنافس بين اللاعب المحلي والمحترف وفي ذلك رفع المستوى العام للكرة السودانية وروح التنافس بينهم.

تم رفع عدد الأندية في المرحلة الثالثة إلى أربعة عشر نادياً وحتى الآن لم تقيم تجربة الدوري الممتاز من قبل الإتحاد السوداني لكرة القدم أو أي جهة أخرى.

لكن حسب رأي رئيس الإتحاد العام قال: (آن تجربة الممتاز هي تجربة لا بأس بها وتحتاج لتعديل بعض القوانين واللوائح الخاصة باللعبة لتقييد اللاعبين وقوانين انتقال اللاعبين ودعم وتأهيل البنية التحتية للملاعب وتأهيل أخصائي طب إصابات الملاعب وأخصائي نفسي وتأهيل ورفع كفاءة الحكام (رجب، 2000م).

منافسة الدوري الممتاز:-

جاءت فكرة إنشاء منافسة الدوري العام أو الممتاز لاحقاً لتشارك فيه الأنديه من كل الاتحادات المحلية في السودان حسب المستوى التنافسي منذ نهاية الثمانينات، لكن الفكرة وجدت معارضة في بدايتها من الاتحادات المحلية الكبري كإتحاد الخرطوم – مدني – بورتسودان ورأى الإتحاد العام كان واضحاً وقوياً حتى يتسنى للسودان أن يكون في مصاف الدول التي تريد منافسات على مستوى كل القطر وكان كل تفكيرهم بسبب مصلحة المنتخبات الوطنية على أن كل ولاية يكون لديها فريق ضمن فرق الممتاز يجد الدعم الكامل من الولاية.

وبعد شد وجذب وجدل كبير قرر الإتحاد العام لكرة القدم بدء التنفيذ في العام 1995م وجد تصفية منافسات دوري السودان بطريقته القديمة المعتادة وبعد التصفية حصر عشرة فرق ومن عام 1995م في يوليو ضم الممتاز العشرة فرق التي تم حصرها للمرحلة قبل النهائية في اللعبة الأولي للدوري العام 1996م العشرة فرق مجموعة بورتسودان- الهلال – هلال بورتسودان، مريخ الحصاحيصا، أهلي مدني. مجموعة الخرطوم، المريخ، الموردة، حي العرب، بورتسودان،مريخ الابيض ، الميرغني كسلا(رجب، 2000م).

مجتمع البحث:

يقصد بالمجتمع جميع (الأفراد أو الأشياء أو العناصر) الذين لهم خصائص مشتركة يمكن بحثها.رجاء محمود (2001م). يضيف رجاء محمود (2004م) أن المجتمع هو الهدف الأساسي حيث أن الباحثين يعممان في النهاية النتائج عليه ويمكن القول أننا لاندرس عينات إنما ندرس مجتمعات.

وصف مجتمع البحث الأصلي:

ويتكون المجتمع الأصلي للدراسة الحالية من لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز، ويتكون الدوري الممتاز من أربعة عشر فريقاً وهم (الهلال، المريخ، الأمل عطبرة، الخرطوم الوطني، هلال كادقلي، اتحاد مدني، أهلي شندي، أهلي عطبرة، الأهلي

الخرطوم، النيل الحصاحيصا، هلال الفاشر، الرابطة كوستي، مريخ الفاشر، النسور)، والجدول التالى يوضح ذلك:

جدول (1) يوضح لاعبي كرة القدم بالدوري الممتاز مجتمع البحث

الفريق	العدد الكلي	الفريق	العدد الكلي
الهلال العاصمي	20	هلال كادقلي	19
المريخ العاصمي	23	الرابطة كوستي	17
الوطني الخرطوم	17	النيل الحصاحيصا	18
الأهلي الخرطوم	18	الاتحاد مدني	17
النسور	20	الأهلي شندي	23
مريخ الفاشر	18	الأمل عطبرة	19
هلال الفاشر	21	الأهلي عطبرة	20
العدد الكلي	280		

المصدر: مدراء الكرة بالأندية المعنية

طريقة اختيار العينة:

تم إختيار العينة بالطريقة العشوائية البسيطة والتى تعرف (بأنها إختيار أى فرد من أفراد المجتمع كعنصر من عناصر العينة فلكل فرد فرصة متساوية لاختياره ضمن العينة و إختيار فرد في العينة لايؤثر على إختيار أى فرد آخر.(رجاء أبو علام، 2007م).

فقد إختار الباحثان العينة بنسبة (54.6٪) من مجتمع البحث الحالي المتمثل في الفرق بالدوري الممتاز.

وصف عينة البحث:

من المتعارف عليه في أدبيات التراث البحثي، ومتفق عليه في كتب مناهج البحث النفسي والتربوي، استحالة إجراء البحث على كل مجتمع البحث في مثل هذه

البحوث لذا تأخذ عينة مسحوبة من مجتمع البحث في معظم البحوث والدراسات (رجاء محمود، 2004)

جدول رقم (2) يوضح لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز حسب عينة البحث

الفريق	حجم العينة	النسبة المئوية	الفريق	حجم العينة	النسبة المئوية
الهلال العاصمي	17		هلال كادقلي	11	
المريخ العاصمي	17		الرابطة كوستي	11	
الوطني الخرطوم	12		النيل الحصاحيصا	11	
الأهلي الخرطوم	11		الاتحاد مدني	11	
النسور	11		الأهلي شندي	11	
مريخ الفاشر	11		الامل عطبرة	11	
هلال الفاشر	11		الأهلي عطبرة	11	

الجدول رقم(3) يوضح عينة البحث حسب العمر

العمر	حجم العينة	النسبة المئوية
20- 25 سنة	68	٪44.4
26- 30 سنة	77	٪50.3
أكبر من 30 سنة	8	٪5.3
المجموع	153	٪100

الجدول رقم(4) يوضح عينة البحث حسب تاريخ التسجيل

تاريخ التسجيل	حجم العينة	النسبة المئوية
2010 -2009	24	٪15.7
2012 -2011	49	٪32
2014 -2013	80	٪52.3
المجموع	153	٪100

أدوات البحث:

لجمع البيانات من عينة البحث استخدم الباحثان بعض الأدوات وهي عبارة عن أدوات تتضمن مجموعة من الأسئلة آو الجمل الخبرية، التي يطلب من المفحوص الإجابة عليها بطريقة يحددها الباحثان. بما أن البحث الحالي يعتمد على القياس النفسي، كان لابد من إختيار أدوات مناسبة تقيس متغيرات البحث (عودة ملكاوى، 1992م).

إعتمد الباحثان لجمع البيانات من عينة البحث (لاعبي كرة القدم بالدوري الممتاز) على عدد من الادوات هي:

1. مقياس دافعية الإنجاز.
2. مقياس الاتزان الانفعالي.

1- **استمارة المعلومات الأولية** تتضمن المتغيرات الديموغرافية المتمثلة في: المستوى التعليمى، وفترة تسجيل اللاعب والعمر.

مقياس دافعية الإنجاز:

استند الباحثان على مقياس إبراهيم قشقوش المعد في دراسة بعنوان الضغوط النفسية وعلاقتها بالقلق ودافعية الإنجاز لدى لاعبى كرة القدم بمحافظة المنيا بجمهورية مصر العربية (2003م)، حاول الباحثان تعديل بعض الفقرات حتي تتناسب مع عينة البحث الحالي وحاولا الاعتماد على (35) عبارة صياغة الفقرات:

1. تجنب الباحثان الأسئلة الاستفهامية.
2. استبعدا الفقرات التي تحتوى على أكثر من معنى.
3. استبعدا الفقرات التي تبدأ بالنفي.

الصدق الظاهري:عرض المقياس على مجموعة من المحكمين لإبداء آرائهم قاموا بتعديل بعض الفقرات ولم تتم أي إضافة ولاحذف للعبارات والجدول التالي يوضح ذلك.

طريقة تصحيح مقياس دافعية الإنجاز: يعطي الخيارات الخماسية (دائماً- أحياناً- لايحدث) كانت تصحح كاللآتي: تعطى الفقرات الإيجابية (3، 2، 1) بينما تعطي الفقرات السلبية (1، 2، 3).

الخصائص السايكومترية: لمعرفة الخصائص القياسية للفقرات بمقياس دافعية الإنجاز لدى لاعبى كرة القدم بدوري الممتاز بمجتمع البحث الحالي، قام الباحثان بتطبيق صورة المقياس المعدلة بتوجيهات المحكمين والمكونة من (35) فقرة على عينة أولية حجمها (60) مفحوصا" تم إختيارهم بالطريقة العشوائية من مجتمع البحث الحالي، وبعد تصحيح الاستجابات قام الباحثان برصد الدرجات وإدخالها في الحاسب الآلى، ومن ثم تم الآتي:

صدق الاتساق الداخلي للفقرات:

لمعرفة صدق اتساق الفقرات مع الدرجة الكلية للأبعاد الفرعية بمقياس العدالة التنظيمية بمجتمع البحث الحالي، تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات كل فقرة مع الدرجة الكلية للمقياس الفرعي الذي تقع تحته الفقرة المعنية، والجدول التالي يوضح نتائج هذا الإجراء:

جدول رقم (5) يوضح الاتساق الداخلي لمقياس دافعية الإنجاز

رقم البند	الإرتباط	رقم البند	الارتباط	رقم البند	الإرتباط	رقم البند	الإرتباط
1	0.65	10	0.38	19	0.50	28	0.39
2	0.79	11	0.42	20	-0.10	29	0.38
3	0.55	12	0.52	21	0.49	30	0.39
4	0.61	13	0.71	22	0.32	31	0.46
5	0.41	14	0.54	23	0.58	32	0.61
6	0.52	15	0.01	24	0.41	33	0.35
7	0.47	16	0.55	25	-0.07	34	0.47
8	0.66	17	0.68	26	0.44	35	0.40
9	0.40	18	0.34	27	0.50		

يلاحظ من الجدول أعلاه أن البنود (20، 25) سالبة الإرتباط والبنود (15) ضعيفة وصفرية الارتباط لذلك يجب حذفها حتى لا تؤثر في ثبات المقياس لتصبح عدد بنود المقياس هي (32) بدلاً من (35) بنداً.

الثبات عن طريق معامل الفاكرونباخ = 0.77

الصدق الذاتي = 0.88

مقياس الاتزان الانفعالي:

قام الباحثان بالإستناد على مقياس الاتزان الانفعالي من إعداد سامية القطان (2007م)، إستفاد الباحثان من بعض الفقرات في تصميم المقياس الذي يتكون من (35) فقره.

الصدق الظاهري:

للتأكد من صلاحية فقرات المقياس تم عرضه على مجموعة من المحكمين وبعد اطلاعهم عليه أوصوا بتعديل بعض الفقرات أو حذفها ولم تتم إضافة.

الخصائص السايكومترية لمقياس الاتزان الانفعالي:

لمعرفة الخصائص القياسية للفقرات بمقياس الاتزان الانفعالي لدى لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز بمجتمع البحث الحالي، قام الباحثان بتطبيق صورة المقياس المعدلة بتوجيهات المحكمين والمكونة من (34) فقرة على عينة أولية حجمها (60) مفحوصا" تم إختيارهم بالطريقة العشوائية من مجتمع البحث الحالي، وبعد تصحيح الاستجابات قام الباحثان برصد الدرجات وإدخالها في الحاسب الآلى، ومن ثم تم الآتي:

صدق الاتساق الداخلي للفقرات:

لمعرفة صدق اتساق الفقرات مع الدرجة الكلية بمقياس الاتزان الانفعالي بمجتمع البحث الحالي، تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات كل فقرة مع الدرجة الكلية للمقياس الذي تقع تحته الفقرة المعنية، والجدول التالى يوضح نتائج هذا الإجراء:

جدول رقم (6) يوضح الاتساق الداخلي لمقياس الاتزان الانفعالي

رقم البند	الارتباط	رقم البند	الارتباط	رقم البند	الارتباط	رقم البند	الارتباط
1	0.58	10	0.76	19	0.46	28	0.08
2	0.73	11	0.55	20	0.09	29	0.44
3	0.60	12	0.64	21	0.63	30	0.31
4	0.44	13	-0.04	22	0.71	31	0.02
5	0.37	14	0.57	23	0.58	32	0.28
6	0.51	15	0.57	24	0.48	33	0.35
7	0.36	16	0.41	25	0.38	34	0.42
8	-0.06	17	0.45	26	0.36		
9	-0.12	18	0.38	27	0.40		

يلاحظ من الجدول أعلاه أن البنود (8، 9، 13) سالبة الارتباط والبنود (20، 28، 31) ضعيفة وصفرية الارتباط لذلك يجب حذفها حتى لا تؤثر في ثبات المقياس لتصبح عدد بنود المقياس هي (28) بدلاً من (34) بنداً.

الثبات عن طريق معامل ألفاكرونباخ = 0.80

الصدق الذاتي = 0.89

معاملات الثبات لمقياس الاتزان الانفعالي:

لمعرفة الثبات للدرجة الكلية لمقياس الاتزان الانفعالي في صورته النهائية المكونة من (34) فقرة في مجتمع البحث الحالي، قام الباحثان بتطبيق معادلتي ألفا كرونباخ وسبيرمان براون على بيانات العينة الأولية، فبيّنت نتائج هذا الإجراء النتائج المعروضة بالجدول التالي:

جدول رقم (7) يوضح نتائج معاملات الثبات بمقياس الاتزان الانفعالي بمجتمع البحث الحالي

المقاييس الفرعية	عدد الفقرات	معاملات الثبات	
		(ألفا كرونباخ)	س ـ ب
الاتزان الانفعالي	34	**0.80**	**0.89**

عرض ومناقشة النتائج

الفرض الأول: تتسم دافعية الإنجاز لدى لاعبى كرة القدم بالإرتفاع.

جدول (8) اختبار (T) للسمة العامة دافعية الإنجاز

البيان / المتغير	حجم العينة	عدد البنود	الوسط المحكي	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (T)	مستوى الدلالة	الاستدلال
دافعية الإنجاز	153	**32**	**64**	77.52	9.69	152	17.24	.000	ارتفاع دال

بالنظر إلى الجدول أعلاه والذي يتضمن السمة العامة دافعية الإنجاز لدى لاعبا كرة القدم نلاحظ أن الفروق بين المتوسط الحسابية والمحكي، دالة إحصائيا"، حيث

بلغت قيمة (T) 17.24 وهي قيمة دالة عند مستوى دلالة 0001.، كما نلاحظ أن الفرق لصالح المتوسط الحسابي في مقابل المتوسط المحكي، مما يدلل على ارتفاع السمة، على هذا تصبح النتيجة: (تتسم دافعية الإنجاز لدى لاعبي كرة القدم بالارتفاع).

من الجدول رقم (8) يلاحظ أن النتيجة أسفرت عن ارتفاع مستوى دافع الإنجاز لدى لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز مما يشير ذلك إلى تطابق هذه النتيجة مع أفتراض الباحثان ولقد أتسعت هذه النتيجة مع نتائج دراسة شحاتة (2002م) التي أكدت أحدى نتائجها بأن هنالك ارتباط سلبي بين دافع الإنجاز والضغوط النفسية مما يشير إلى إرتفاع مستوى دافع الإنجاز. كما اختلفت مع دراسة سعيد نزار سعيد (2010م) التى أسفرت نتائجها بعدم وجود علاقة بين التوافق الرياضي وأبعاد المهارات النفسية والتى من ضمنها دافعية الإنجاز الرياضي.

يشير الفرماوي (2004م) إلى أن نظرية العزو السببي والتي قدمها روتر عام (1972م) قد انعكست على دراسة دافعية الإنجاز، وافترض روتر أن مصادر العزو السببي تحدث بوجه عام في ضوء بعدين أساسيين هما :

موضع الضبط (داخلي – خارجي) ومدى ثبات الشخص على إتجاه محدد للعزو. ويضيف الفرماوي أن دويك وليجيث قد استخلصا أربع حالات في ضوء ما إفترضه روتر في نظريته للعزو هي:

تكون دافعية الإنجاز مرتفعة حينما يعزو الشخص نجاحه أو فشله إلى عوامل مثل القدرة أو المجهود. تكون دافعية الإنجاز منخفضة حينما يعزو الشخص نجاحه أو فشله إلى عوامل خارجية مثل صعوبة المهمة أو الحظ. تناقص دافعية الإنجاز عندما يعزو الشخص فشله لعوامل تتصف بالثبات مثل القدرة أو صعوبة المهمة. تتزايد دافعية الإنجاز عندما يعزو فشله لعوامل لا تتصف بالثبات مثل المجهود الذي يؤدي إلى إنخفاض دافعية الإنجاز.

يرى الباحثان أن خاصية النجاح في موقف ما يمكن أن تكون الجانب المبدئي عن الحديث عن استثارة أنظمة دافع الإنجاز ناتج الاستثارات يجب أن يقدمها اللاعب عند المنافسات التي لا يتحمل فيها الفشل أو أن يكون احتماله ضعيفاً، أو عند المنافسات التي يمكن إدراكها على أنها عند قدرات اللاعب.

بناء على ذلك يرى الباحثان أنه كلما إزدادت قدرة اللاعب على تحديد درجة قدرته في التغلب على منافسه أولاً كلما كانت زيادة الاستثاره وقوتها أكبر، وفي الغالب بأن ميل اللاعب إلى الإنجاز عادة ما يكون قيمة إنسانيه في حد ذاته بإعتبار أن اللاعبين لا يدركون قيمتهم إلا عندما يفوزون في المنافسات المختلفة.

كما يرى الباحثان أن الإعلام الموجب وزيادة الحوافز تلعب دوراً كبيراً في زيادة مجهودات اللاعب تجاه فريقه وإرضاء جماهيره إضافة إلى مدى ارتباط اللاعب بزملائه في الفريق والجهاز الإداري والفني.

الفرض الثاني: يتسم الاتزان الانفعالي لدى لاعبى كرة القدم بالإرتفاع.

جدول (9) إختبار (T) للسمة العامة للاتزان الانفعالي

البيان / المتغير	حجم العينة	عدد البنود	الوسط المحكي	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (T)	مستوى الدلالة	الاستدلال
الاتزان الانفعالي	153	**28**	**56**	64.29	9.61	152	10.66	.000	إرتفاع دال

بالنظر إلى الجدول أعلاه والذي يتضمن السمة العامة الاتزان الانفعالي لدى لاعبى كرة القدم نلاحظ أن الفروق بين المتوسط الحسابي والمحكي، دالة إحصائيا"، حيث بلغت قيمة (10.66 (T وهي قيمة دالة عند مستوى دلالة 0001.، كما نلاحظ أن الفرق لصالح المتوسط الحسابي في مقابل المتوسط المحكي، مما يدل على ارتفاع السمة، على هذا تصبح النتيجة:((يتسم الاتزان الانفعالي لدى لاعبى كرة القدم بالارتفاع.)).

يلاحظ من الجدول رقم (9) أن لاعبى كرة القدم بالدوري الممتاز يتميزون بدرجة مرتفعة في الاتزان الانفعالي وهذا يتطابق مع افتراض الباحثان ولقد اتفقت هذه النتيجة مع دراسة حسين الشريف (2011م) التي أسفرت إحدى نتائجها أن الاتزان الانفعالي يتميز بالارتفاع.

عمل كاتل على تخفيض قائمة السمات إلى أقل عدد ممكن ليتيسر استخدام طريقة التحليل العاملي في معالجتها. وبذل في هذا السبيل جهوداً ضخمة تُوجتّ بتصميم "استبيان الشخصية للراشدين"(P.F.16)(لازاروس، 1984م). ويحتوي هذا الاستبيان على عدد كبير من البنود لقياس 16 سمة أعتقد أنها كافية لتوصيف الشخصية.

أما عن نظرية كاتل التي تتحدث عن عوامل الشخصية يلاحظ الباحثان أن هنالك وجه شبه بينها وبين آراء يونغ في نظرية علم النفس التحليلي وذلك يتمثل في أن كاتل وضع سمات محددة للشخصية المتزنه فهي تقع بين طرفين متناقضين مما يؤكد ذلك على أن الشخصية المتزنه انفعالياً هي شخصية وسطية بين السواء والشذوذ.

يعزى الباحثان ارتفاع معدل الاتزان الانفعالي للاعبى كرة القدم إلى الحالة المزاجية والذكاء والجسم باعتبارها المواد الخام التى تتكون منها الشخصية وهي جميعها ترجع للوراثة ولكن يشير المزاج إلى طبيعة الفرد الانفعالية والتى تحوي القابلية للاستشارة الإنفعالية ومدى قوة استجابته وسرعتها ونوعية حالته المزاجية وهنالك عوامل كثيرة قد تؤدي إلى تقلب هذه الحالة سوآء كانت عوامل مختصة بالفريق الذي ينتمي له أفراد الجهاز الإداري أو الفني أو قد تكون عوامل شخصية من اللاعب نفسه.

كما يعزو الباحثان إرتفاع الاتزان الانفعالي للاعب كرة القدم إلى الجرعات التي يتلقاها اللاعبون من الجهاز الفني وخاصة عندما يكون المدرب ذو علاقة جيدة مع اللاعبين، وكذلك العلاقات الإجتماعية بين اللاعبين أنفسهم والقائد الجيد الذي يقوم بدور الموجه في الملعب وفي المعسكر.

الفرض الثالث: لمتغيري الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز القدرة على التنبوء بالضغوط النفسية لدى لاعبى كرة القدم.

جدول (10) نتيجة تحليل الانحدار الخطي المتعدد للضغوط النفسية في ضوء الاتزان الانفعالي والدافعية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة (F)	مستوى الدلالة	الإستدلال
الإنحدار	638.024	2	319.012	3.53	032	توجد قدرة على التنبؤ
البواقي	13552.617	150	90.351			
الكلي	14190.641	152				

يتضح من الجدول السابق (9- 4) أن لمتغيري الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز القدرة على التنبؤ بالضغوط النفسية لدى لاعبى كرة القدم، حيث بلغت قيمة (F 3.53 وهي قيمة دالة عند مستوى دلالة 05. بقيمتها المحسوبة بلغت.032. ولمعرفة القدرة التنبوئية النسبية لكل متغير تم استخراج انحدار المتغيرين على المتغير التابع كما في الجدول التالي:

جدول (11) نتيجة معاملات الانحدار النسبي لمتغيري الاتزان الانفعالي والدافعية (تحليل الإنحدار- Enter)

المتغير التابع	المتغيرات المستقلة	م. الإنحدار	الخطأ المعياري	الارتباط الكلي	قيمة بيتا	قيمة (T)	الدلالة	الاستدلال
الضغوط النفسية	ثابت التنبؤ	51.377	8.119			6.32	000.	الإنحدار دال
	دافعية الإنجاز	008.	080.	212.	008.	095.	925.	ليس له قدرة
	الاتزان الانفعالي	213.	080.		212.	2.65	009.	له قدرة

بالنظر إلى الجدول أعلاه الذي يوضح قدرة المتغيرات الكمية على التنبؤ بالضغوط النفسية لدى لاعبي كرة القدم، فإننا نجد أن المتغير الوحيد الذي له القدرة على التنبؤ بالضغوط النفسية هو الاتزان الانفعالي إذ بلغ معامل الانحدار له 2.65، وهي قيمة دالة عند مستوى دلالة 05. حيث بلغت قيمة (T) المناظرة لها 2.65 بقيمة احتمالية.009، بينما بلغت قيمة معامل الانحدار لمتغير دافعية الإنجاز.008 وهي قيمة غير دالة عند أدنى مستوى دلالة 05. حيث بلغت قيمة (T) المناظرة لها.095 بقيمة احتمالية.925، على ذلك فإن الاتزان الانفعالي يفسّر نسبة 21.2٪ من التباين في الضغوط النفسية. ويمكن صياغة معادلة التنبوء كما يلي: الضغوط النفسية = 51.377 +.213، وتكون النتيجة:

((لمتغيري الاتزان الانفعالي القدرة على التنبؤ بالضغوط النفسية لدى لاعبى كرة القدم، بينما ليس لمتغير دافعية الإنجاز القدرة على التنبؤ بالدافعية)).

يلاحظ من الجدول رقم (11) أن هنالك قدرة على التنبؤ بالنسبة للضغوط النفسية نتيجة تفاعل الاتزان الانفعالي ودافعية الإنجاز لدى لاعبي كرة القدم بالدوري الممتاز وهذا يتفق تماماً مع ما إفترضه الباحثان.

يشير دريفر المذكور في ابراهيم (1987) أن عدم الاتزان الانفعالي أو ضعفه هو عيب متميز يتصف بالإثارة الانفعالية المتطرفة في حين يرى أيزنك أن العصابية هي استجابة مبالغ فيها من جانب الفرد تجاه مجموعة من المنبهات وتأخذ هذه الإستجابة شكل الانفعالات البالغة القوة في الظروف التي لا يشعر فيها معظم الناس إلا بانفعال ضعيف أو لا يشعرون فيها بانفعال على الإطلاق.

مما ذكر توصل الباحثان إلى أن ضعف الاتزان الانفعالي قد يؤثر على اللاعب داخل الميدان أو خارجه وخاصة فيما يختص بالجوانب الصحية والنفسية وتدهور شخصيته بصورة عامة ولا سيما دافع الإنجاز عليه بمعني أن ضعف الاتزان الانفعالي يؤثر في دافع الإنجاز الرياضي للاعب وبالتالي قد يؤدي إلى إنتشار الضغوط النفسية وهذه بمثابه إشارة إلى أنه يمكن أن يتنبأ الفرد بزيادة الضغوط النفسية للاعبى كرة

القدم حينما يقل اتزانهم الانفعالي وإنخفاض دافعيتهم لإنجاز المهام التي توكل لديهم. وقد يؤثر إرتباط الاتزان الانفعالي وخاصه في شدته في دافع الإنجاز واللذين بدورهما يؤديان إلى إنخفاض مستوى الضغوط النفسية التي يعاني منها اللاعب.

التوصيات:

على ضوء النتائج التي توصل إليها الباحثان يوصى بالآتي:

1. ضرورة الاسترشاد بأهمية المهارات النفسية كأحد عوامل النجاح وتحقيق أفضل النتائج الرياضية.
2. الاستعانه بالأخصائي النفسي الرياضي لتخفيف حدة الضغوط بالنسبه للاعب.
3. ضرورة التنسيق بين الأخصائي النفسي الرياضي والمدرب لنجاح العملية التدريبية.
4. قيام الاخصائي النفسي بتنمية وتطوير سمة التوجه نحو أبعاد التفوق الرياضي للاعبي كرة القدم والاتزان الانفعالي لديهم.
5. ضرورة اختيار اللاعب وفقاً للمعايير النفسية والاجتماعية التي يضعها الأخصائي النفسي الرياضي.
6. القيام بالتأهيل والتدريب النفسي الجيد للاعبى كرة القدم من أجل رفع الروح المعنوية وزيادة دافع الإنجاز لديهم.
7. ضرورة اهتمام الأخصائي النفسي الرياضي بالتصور العقلي للاعبين وخاصه لاعبى المقدمة الهجومية.
8. ضرورة التدريب على ضبط الذات للاعبى كرة القدم لخفض الضغوط النفسية التى يعانون منها.
9. تشجيع اللاعبين للتعرف على مشاعرهم وتنمية مهاراتهم في التعبير عنها.
10. على وسائل الإعلام المختلفة تقديم برامج علمية ونفسيه تزيد من دافعية الإنجاز للاعب كرة القدم.

المقترحات:

يقترح الباحثان عدد من الدراسات المستقبلية التي قد تساهم في مسيرة العمل الرياضي تتمثل في الآتي:

1. فاعلية برنامج إرشادي للتخفيف من حدة الضغوط النفسية للاعبي كرة القدم بالدوري الممتاز.
2. القيام بدراسة الآثار النفسية التي يتعرض لها لاعبي كرة القدم.
3. فاعلية الذات وعلاقتها بالإنجاز الرياضي للاعبي كرة القدم.
4. العلاقة بين الضغوط النفسية وكل من أساليب التفكير وشده الإنتباه للاعبي كرة القدم.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أبو زيد (1987): **سيكولوجية الذات والتوافق**، دار المعرفة، الاسكندرية.
2. ابراهيم قشقوش وطلعت منصور (1990) **دافعية الإنجاز وقياسها**، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.
3. أبو العلا عبد الفتاح (2000) **الساونا للصحة والرياضة**، سلسلة الفكر العربي في التربية البدنية والرياضة، عدد (23)، القاهرة، دار الفكر العربي.
4. ابو العلا عبد الفتاح (2004) **فسيولوجيا التدريب والرياضة**، سلسلة الفكر العربي في التربية البدنية والرياضة(3)، القاهرة، دار الفكر العربي.
5. اجلال محمد سري (2000): **علم النفس العلاجي**، عالم الكتب، القاهرة.
6. احمد زكي صالح (2004) **علم النفس التربوي**، الطبعة العاشرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
7. احمد محمد عبد الخالق (1990)، **أسس علم النفس الاسكندرية**، دار المعرفة الجامعية الطبعة الثالثة.
8. أحمد محمد عبد الخالق (1993) **استخبارات الشخصية**. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

9. أحمد محمد عبد الخالق (1993) **استخبارات الشخصية**. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

10. ادريس شمس الهدي ابراهيم (2008) **كرة القدم السودانية**، شركة مطابع السودان للنشر، الخرطوم، ط1.

11. أديب الخالدي (2001): **الصحة النفسية**، غريان، الدار العربية.

12. أسامة كامل راتب (1999) **علم نفس الرياضة: المفاهيم والتطبيقات**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي.

13. اسامة كامل راتب (2004) **النشاء البدني والاسترخاء – مدخل لمواجهة الضغوط وتحسين نوعية الحياة**، دار الفكر العربي، مدينة نصر، القاهرة.

14. أمين أنور الخولي(2001) **أصول التربية البدنية والرياضة**، سلسلة مراجع التربية وعلم النفس، عدد (15)، دار الفكر العربي.

15. أيزنك(١٩٩١)**استخبار أي زنك للشخصية. دليل تعليمات الصيغة العربية للأطفال والراشدين**. تعريب: أحمد عبدالخالق، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

16. جابر عبد الحميد جابر (1986) **نظريات الشخصية**، بناء الديناميات لنمو طرق البحث، التقويم، دار النهضة العربية، القاهرة.

17. حسن احمد زيد (2007) **القلق كسمة وكحالة لدى متسابقي العاب القوي**، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية التربية الرياضية للبنين، القاهرة، جامعة حلوان.

18. دراج الفاضل (2004) **الحركة الرياضية في السودان شخصيات واحداث**، دار الاصاله للنشر، الخرطوم، ط1.

19. دويدار عبد الفتاح (2000م) **اصول علم النفس المهني و الصناعي** ،دار المعارف.

20. ديفيد فونتانا (1994) الضغوط النفسية ترجمة حمد على الفرماوي، رضا عبد الله ابو سريع، القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية.

21. رجاء محمود أبو علام (2001م): **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية** – ط3- معهد الدراسات والبحوث التربوية – جامعة القاهرة – دار النشر للجامعات – مصر

22. رجاء محمود أبو علام (2004)، **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية**، دار النشر للجامعات، القاهرة.

23. رجاء محمود أبو علام (2007م): **مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية**، دار النشر للجامعات، الطبعة السادسة.

24. صفاء الاعسر واخرون (1983)، **برنامج في تنمية دافعية الإنجاز**، مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، المجلد الرابع والعشرون.

25. كاميليا ابراهيم عبد الفتاح (1972): **دراسات سيكولوجية في مستوى الطموح والشخصية**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.

26. لندال دافيدوف(١٩٨٨) **مدخل علم النفس**. ترجمةسيدالطواب وآخرون.ط٣، الدار الدولية للنشر والتوزيع.

27. محمد السيد عبد الرحمن (1998): **نظريات الشخصية**، دار قباء، القاهرة.

28. ميخائيل اسعد (1986) **علم الاضطرابات السلوكية**، مؤسسة النوري للطباعة، دمشق - سورية

29. نايفة قطامي (1994) **أثر متغير الجنس والصف ودرجة داخلية الضبط في درجة الدافعية المعرفية للطلبة المتفوقين دراسياً**– مكتبة جابر الاحمدي المركزية – عمان.

30. هول وليندرزي (1978) **نظرية الشخصية** ترجمة فرح احمد فرح، دار الشائع.

31. يحي محمد شديقات (1999) **الرضا عن العمل لدي اعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك**، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد 35.

الرسائل الجامعية:

32.بتاجيليا Battaglia (2006) السمات الدافعية بين لاعبات منتخب الجامعة لكرة السلة ومجموعة من لاعبى كرة السلة.
33.رضا حفني احمد (2005) السمات الانفعالية وعلاقتها بالتعرف الخططي، ومستوي الأداء المهاري للاعبات السلة، بحث دكتوراة، كلية التربية الرياضية للبنات بالقاهرة، جامعة حلوان.
34.زبيدة اسامة عارف (2005) دوافع الإنجاز ودوافع الانتماء وعلاقتها بالتفوق في التحصيل الدراسي لدى طالبات الثانوية العامة بمدينة جدة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة ام القري.
35.سعيد نزار سعيد (2010) المهارات النفسية للاعبى كرة اليد وعلاقتها بأبعاد التفوق الرياضي.
36.سليم عبد المجيد الجزار (2008) التعرف على الاسلوب القيادي لمدربي بعض الالعاب الجامعية، بحث ماجستير، كلية التربية الرياضية للبنين، جامعة الزقازيق.
37.شادية عثمان (2004) بعنوان الفروق بين الجنسين في الاتزان الانفعالي.
38.صدقي نور الدين محمد (2007) اختبار العلاقة بين الثقة الرياضية كسمة والثقة الرياضية كحالة لدى ملاكمي الدرجة الاولي، المجلة العلمية للتربية البدنية والرياضة، مكتبة التربية الرياضية للبنين، جامعة حلوان، العدد 13.
39.عباس محمود عوض (2003) دراسة مقارنة للاتجاهات العدوانية لدى مجموعة من الطلاب الممارسين للألعاب الرياضة وغير الممارسين لها. صحيفة التربية، العدد الاول.
40. عبد الرحمن وهشام (1996) بعنوان الفروق بين الذكور والإناث في الاتزان الانفعالي.
41. عبد الله هزاع على (1994) القلق كحالة بإنجاز الأركاض القصيرة.
42.عصام الدين عبد الخالق مصطفي (2006) علاقة التدريب الرياضي ببعض خصائص الشخصية، رسالة دكتوراة، كلية التربية الرياضية للبنين بالاسكندرية، جامعة حلوان.
43. محمد(٢٠٠٥)الضغوط النفسية وعلاقتها بدافعية الإنجاز لدى سباحي المسافات القصيرة.

44. محمد صبحي حسانين، أمين انور الخولي (2001) برامج الصقل والتدريب أثناء الخدمة للعاملين في التربية البدنية والرياضة، والترويح، والإدارة الرياضية، والطب الرياضي والإعلام الرياضي، والعلاقات العامة، والرياضة للجميع، دار الفكر العربي.

45. محمود الأطرش،وهاشم إبراهيم (2008) مصادر الضغط النفسي لدى مدربي كرة القدم في الضفة الغربية والحلول المقترحة لها.

46. مهيد المتوكل (2003): تطوير وتقنين مقياس الخرطوم للسمات الشخصية، دلالات الصدق والثبات والمعايير لطلبة وطالبات الجامعة الحكومية بولاية الخرطوم، مجلة جامعة امدرمان الاسلامية، العدد الخامس، مركز البحوث للترجمة والنشر.

47. نادية محمد الباجوري (2006) علاقة بعض العوامل المساهمة في تحقيق المستوى الرقمي لسباحي المسافات القصية، بحث دكتوراه، كلية التربية الرياضية للبنات بالقاهرة، جامعة حلوان.

48. نجاح التهامي حسن (2008) القلق لدى الرياضيين وعلاقته ببعض المتغيرات المختارة، رسالة دكتوراة غير منشوره، كلية التربية الرياضية للبنات بالقاهرة، جامعة حلوان.

49. وصفاء الاعسر محمد سلامة (1983)، برنامج لتنمية دافعية الإنجاز لدي التلاميذ والطلاب، جامعة قطر، مركز البحوث التربوية المجلد الثاني.

نظرية العقوبة بين الفقه الإسلامي و القانون الوضعي.

د. صالح أحمد التوم
أستاذ مشارك
جامعة القصيم - كلية الشريعة

ملخص الدراسة:

شملت هذه الدراسة فكرة العقوبة قديماً وحديثاً، وخلاصة النظريات والمذاهب القانونية التي عبرت عن العقوبة بصورة مقننة، وتناولت أنواع العقاب التي تعارف عليها الناس وجدواه وأهدافه وخصائص العقوبة العادلة وذلك حسب التوصيف الآتي:

أولاً: الخلفيات التاريخية لفكرة العقاب ومجمل النظريات التي نبعت منها العقوبة ، فكرة العقوبة قديمة قدم الحضارات الإنسانية ولكنها كانت تقليدية لا تعدو على أن تكون ردة فعل فطرية من قبل المعتدى عليه تمليها غريزة الانتقام والصراع من أجل البقاء، ثم أخذت الطابع المنظم منذ الحضارة البابلية القديمة لكنها كانت عبارة عن جزاء وحشي ضد من يرتكب الجريمة بناء على أن الجريمة تعدي على هيبة الإمبراطور ولذلك كانت تأخذ الطابع الوحشي كالتحريق بالنار وإطلاق الأسود الجائعة على المجرمين وقطع الأطراف، ثم مرت نظرية العقوبة بمرحلة التأثر بالعقائد الدينية والتشريعات السماوية فاعتبر الفقه الكنسي المجرم مذنب يحتاج للتطهير فابتدع فكرة الحبس الانفرادي ليعطى الجاني فرصة للوم نفسه وعتابها ليتوب من ذنبه.

ثم تطورت النظرية وطرأ عليها كثير من التحديث حتى ابتدعت المذاهب الغربية المتأخرة فكرة إلغاء العقاب البدني واستبدالها بنظرية الدفاع الاجتماعي، على اعتبار أنّ المجرم ضحية لأخطاء مجتمعه وإهماله له، ولذلك اتجهت هذه النظرية لمنحى إصلاح المجرم وإدماجه في المجتمع بدلاً من العقوبة البدنية.

بعد ذلك جاءت النظرية الإسلامية وبلورت فكرة العقوبة بصورة أكثر تكاملاً، فهي لم تتعامل مع المجرم كضحية كما ذهبت نظرية الدفاع الاجتماعي كما أنّها لم تنظر إليه كشيطان رجيم يجب استئصاله، لذلك قسمت الجريمة إلى مستويات يعامل المجرم بحسب مستوى جرمه وما ارتبط به.

ثانياً: اشتمل البحث على خصائص العقوبة في الفقه الإسلامي والوضعي و ما تقتضيه قواعد العدالة الجنائية، كتنويع العقوبة وتفريدها وشرعيتها وقضائية العقوبة وعدالتها وشخصية العقوبة والمساواة أمام العقوبة.

ثالثاً: تضمنت الدراسة (أغراض العقوبة وأنواعها) وذلك من وجهة النظر الفلسفية الوضعية والتشريعات الدينية(التوراتية والإنجيلية) ومن زاوية التشريع الإسلامي والذي اشتمل على رؤية أكثر تكاملا من كافة النظريات الوضعية إذ تضمن الأغراض الإصلاحية من خلال العقوبة والأهداف الأخروية كما أنّه تميز حتى على التشريعات الدينية الإنجيلية والتوراتية بوسطية جعلته أكثر مرونة وإحكاماً منها وقد فصلنا ذلك في ثنايا البحث وخلصت الدراسة للنتائج والتوصيات الآتية:

1/فكرة العقاب قديمة قدم الحضارات الإنسانية.

2/ للعقوبة أهداف دنيوية وأخروية.

3/ التدابير الاحترازية إجراءات ضرورية لحماية المجتمع من الجريمة

4/ القاضي مطبق للعقوبة وليس مشرعاً لها.

5/فكرة الدفاع الاجتماعي كبديل للعقوبة له أثر سلبي على مستوى الجريمة.

6/ العقوبة شخصية ولا تصح فيها النيابة.

7/ عقوبة الإعدام على بعض الجرائم حل وليست مشكلة.

8/ إصلاح الجاني وإدماجه في المجتمع مبدأ متفق عليه في كل نظريات العقاب الإسلامية والوضعية.

التوصيات:

1/ إلغاء عقوبة السجن قصيرة المدة لعدم جدواها.

2/ إصلاح المؤسسات العقابية بتكثيف البرامج التربوية لتلافي الآثار السلبية للسجون.

3/ فصل النزلاء في دور العقاب حتى لا تنتقل عدوى الجريمة.

4/الإبقاء على عقوبة الإعدام في بعض الجرائم والحذر من الأفكار الفطيرة المنادية بإلغائها

مقدمة:

إن الكتابة عن نظرية العقوبة وتحليل الاتجاهات القانونية التي تناولتها يكون عملاً مكملاً لموضوع ظاهرة الجريمة وأسبابها وطرق الوقاية منها والذي تناولته في بحث منفصل.

:تتمثل أهمية هذا الموضوع في أنه يناقش قضية تعتبر من المعالجات المهمة لظاهرة الجريمة، والجريمة بجميع أشكالها من أكبر معكرات صفو الحياة لأنّ حياة الناس لا تستقيم الا بالأمن والطمأنينة.

تجسدت مشكلة الدراسة وأسئلتها التي يحاول الباحث الإجابة عليها:

1. ما هو مفهوم العقوبة في عصرنا الحديث ؟ وهل ينحصر في الإيلام البدني فقط؟
2. كيف نواجه الجريمة إذا كان مصدرها انسان غير مسئول جنائياً كالمجنون والحدث؟.
3. هل عقوبة الإعدام حل لمشكلة الجريمة أم إفراز لمشكلات أخرى ؟ما جدوى عقوبة السجن ؟هل هو فرصة لتأهيل المجرم وإصلاحه ؟ أم محضن لإفراز مجرمين أشد احترافاً ؟.

تهدف الدراسة لتحقيق الآتي:

1. إثراء مجال البحث الجنائي بالجديد المفيد؟
2. الرد على منتقدي العقوبات الحدية.
3. إبراز مميزات النظرية الإسلامية للعقوبة.

4. تقديم دراسة علمية لإمكان توظيفها لمعالجة المشكلات الجنائية في مجال العقاب.

* استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي والمنهج التحليلي مع مراعاة الضوابط الآتية:
* احترام الرأي المخالف مهما كان مصدره ومناقشته بمنطقية.
* مراعاة وضوح الألفاظ وتجنب تعقيد العبارات.
* مراعاة المنطقية في ترتيب مفردات البحث لتسهيل فهمها.
* أخذ المعلومة من مصدرها الأساسي بقدر الإمكان.

عزو الآيات بالرقم وذكر السورة والاحاديث إلى مصدرها دون الدخول في تفاصيل الحكم عليها.

قسم هذا البحث إلى مقدمة وأجزاء وخاتمة منها الخلفيات التاريخية لفكرة العقوبة وخلاصة النظريات التي نبعت منها فكرة العقوبة بوضع خلفية تاريخية لفكرة العقاب، والنظريات التي عبرت عن العقوبة.وخصائص العقوبة في الفقه والقانون. وأغراض العقوبة وأنواعها في الفه والقانون. اختتمت الدراسة بخاتمة و نتائج.

فكرة العقاب على السلوك البشري المنحرف قديمة قدم الحضارات الإنسانية، حيث كانت العقوبة عند الإنسان البدائي لا تعدو أن تكون ردة فعل على الاعتداء تمليها طبيعة حب الانتقام والصراع من أجل البقاء، ثم مرت فكرة العقوبة بمرحلة التنظيم فكانت الشرائع البابلية القديمة لها نظام عقوبات معمول به في تلك الحضارة فكانوا يقطعون يد الولد الذى يعتدى على أبيه ويقلعون عين من يسترق النظر ويقتلون على السرقة وقطع الطريق وتهديد أمن المدينة البابلية.

كما أن الشرائع الفرعونية لها نظام عقوبات كعقوبة القتل على من تعلق جرمه بالملك وأسرته ويجدعون أنف من يتعسف في اخذ اموال الضرائب (صو في 1972م)

وعقوبة السجن عند الفراعنة معلومة كما حكى عنها القرآن (ودخل معه السجن فتيان).(سورة يوسف آية 36)

كذلك نصت الشرائع الدينية على عدة عقوبات كما جاء في القرآن أن التوراة نصت على نظام القصاص قال تعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين) (سورة المائدة آية 45) وكذلك العقوبات الكنسية التي كانت سائدة في أروبا إبان فترة القرون الوسطى ومنها عقوبة الحبس الانفرادي في الفقه الكنسي لأن الفقه الكنسي ينظر إلى الجريمة كذنب يرجى توبة المجرم منه بالحبس الانفرادي، أما المجتمع العربي القديم فليس له نظام عقوبات محدد غير القصاص ونظام عقل الدماء بالإبل والذى يعد تقليداً معتبراً عند القبائل العربية ومن المقولات الشائعة عندهم (القتل أنفى للقتل) وكان يغلب عليهم عادة الثأر فإذا قتل أحد ظلماً يثور أولياء الدم على أهل القاتل ويقتلون ما شاء لهم قتله ولا يتقيدون بالقاتل نفسة ولا بعدد معين، فكانت حماقة الثأر سبب عدوان واسع وحروب طاحنة تنشب بين المجموعات القبلية حتى جاء الإسلام الذى اخرجهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الوحي، والعدالة الربانية المطلقة التي لم تعرف لها البشرية مثيلاً، وحرم عليهم الظلم في الدماء وجعلها من أشد المحرمات ومنعهم من قتل غير القاتل ومن أن تقتل قبيلة أكثر من المقتول بحجة الشرف وأصل لهم التشريع الاسلامي قواعد في العدالة الجنائية لم تشهد لها البشرية مثيلاً.

كان في العرف الجاهلي إذا قتل الوضيع الشريف لا يقبلوا به كفؤاً للشريف وإنما يقتلوا في مقابله العشرات من القبيلة الوضيعة في نظرهم ،فجاءهم الإسلام بقاعدة النفس بالنفس ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى وأن الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، وأن المسلمين تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وألا تزر وازرة وزر آخرى، وآن الجاني لا يجني إلا على نفسه، وآن الناس سواسية كأسنان المشط أمام الأحكام الجنائية وأنه لا يفضل عربي على عجمي ولا ذكر على أنثى وغيرها من المبادئ العادلة والتي وضعت حدا لقانون التفاضل الجاهلي الذي كان سائداً عند العرب. ولم يكن حال الشعوب الأخرى بأحسن وضعاً من حال العرب قبل الإسلام فكانت العقوبة عند الرومان وحشية وانتقامية لأنها تفرض من باب حماية هيبة الإمبراطور لأنهم ينظرون للجريمة والمجرم كمهدد لسلطة الإمبراطور فكانت وحشية،

يقتلون بتقطيع أوصال المحكوم عليه أو تحريقه بالنار أو إطلاق الأسود الجائعة على المناوئين لسلطة الحاكم في ساحة معدة لذلك ويأتي الحاكم وأعوانه يجلسون على منصات مرتفعة ويستمتعون برؤية الأسود تمزق خصومهم تمزيقاً.

ثم جاءت مرحلة ما بعد الثورة الفرنسية فمنذ عام 1800م شهدت أوربا اتجاهاً جديداً تتبع منه فكرة العقاب وهو ما يسمى بنظرية الدفاع الاجتماعي والتي غيرت نظرة الناس للمجرم والجريمة وكأنها صورت المجرم وجريمته كنتيجة حتمية لإهمال المجتمع لهذا الشخص ولذا غلبوا فكرة العقوبة الإصلاحية أكثر من أي جانب آخر (محمد الأمين 1961م:123) وسيأتي الحديث بتفصيل اكثر عن ذلك لاحقاً.

خلاصة الاتجاهات التشريعية التي نبعت منها فكرة العقاب:

استناداً على ما ذكر في سابقاً من خلفيات تاريخية لفكرة العقاب أن خلاصة الاتجاهات التشريعية التي نبعت منها فكرة العقاب تنقسم إلى الاتي:

أولاً: المدرسة التقليدية الانتقامية: وهذه المدرسة تعاملت مع الجريمة والمجرم كمهدد سياسي لسلطة الحاكم ولذلك كانت العقوبة وحشية وقاسية لأنها تطبق كردة فعل انتقامية فتنفذ العقوبات عن طريق التحريق بالنار أو إطلاق الاسود الجائعة على المحكومين أو تقطيع أوصالهم وهكذا.

ثانياً: المذهب الجبري وهذه المدرسة أثرت عن بعض الفلاسفة القانونيين الذين يعتبرون المجرم مدفوع من القوة العصبية المتحكمة في تصرفاته ولذا هو لا خيار له غير الاستجابة لهذه المؤثرات العصبية ونادت هذه المدرسة بفكرة إلغاء العقاب.

ثالثاً: المدرسة التوفيقية والتي تبلورت بعد الثورة الفرنسية وغلبت جانب العطف على المجرم واعتبرته وجريمته خطأ اجتماعي نتج بسبب اهمال المجتمع لهذا الشخص ولذا لابد من إصلاحه بدلاً من استئصاله، وهذا الاتجاه متأثر بتلك المظالم المرة التي كانت تمارسها المحاكم الكنسية إبان حقبة الحكم الثيوقراطي في القرون الوسطى والتي توصف بعصر الظلام في أوربا وهذا الاتجاه أصبح ذو أثر كبير على منظومة التشريع العقابي في القوانين الغربية،

وإلى يومنا هذا نلحظ القوانين الغربية يغلب عليها جانب العطف على المدان وهذه النظرة نتجت عنها آثار سلبية خطيرة على المجتمع دفعت ببعض القضاة ورجال العدالة أن يهاجموا القوانين ويصفوها بالضعف وانها محفزة على الإجرام وبعض القضاة استقالوا عن المهنة بسبب ضعف القوانين والتي غالباً ما تفرضها مخرجات السياسة الجنائية على الأجهزة العدلية ولنأخذ مثالاً على ذلك من السوابق القضائية المعاصرة(قدمت قضية إلى محكمة نايزبرج في بريطانيا بتاريخ 1988/11/29م.

ملخص وقائع هذه القضية:أن شرطياً سابقاً عمره ثلاثون عاماً عندما قام بالاعتداء الجنسي واغتصاب طفلة معوقة تبلغ من العمر 12سنة وهي ابنة زوجته من رجل آخر وبعد أن استمع قاضي المحكمة إلى الحيثيات أصدر قراره (بإطلاق سراح المعتدي واكتفى بوضعه تحت المراقبة لمدة سنتين، على ألا يقترف عملاً مخلاً بالقانون خلال مدة المراقبة) وقال القاضي في حيثيات حكمه:(أن المغتصب قد اضطر للقيام بعملية الاغتصاب، ذلك لأن زوجته كانت حامل، واستطرد القاضي قائلاً وأن فترة الحمل دائما تسبب للمرأة انزعاجات وانفعالات، مما تمنعها من الشعور بالرغبة الجنسية، بعكس زوجها وهو شاب قوي البدن وممتلئ صحة، مما دفعه كل ذلك لاغتصاب الطفلة، ثم قال ولكن الزوجة لا تخلو من الذنب لأنها كانت تشجع ابنتها كي تعانق زوجها ولهذه المبررات فقد أصدر القاضي قراره المشار إليه. وعندما غادرت الزوجة قاعة المحكمة بعد سماعها للقرار، ذهبت لزوجها المغتصب وصفعته على وجهه وصرخت فيه (بأنك رجل حقير) والتفتت إلى الصحفيين الذين كانوا موجودين أمام قاعة المحكمة قائلة أنها كانت تضاجع زوجها حتى خلال فترة حملها، إلا أن زوجها كان يطارد ابنتها المعوقة ويغازلها كلما أخذها معه ليوصلها إلى المدرسة، وكان يغريها لمضاجعته وعندما ترفض ذلك كان يخيفها ويسئ معاملتها، وقالت إن القاضي إذا لم يصدر حكماً بمعاقبة زوجها لذا ستتوجه إلى الرأي العام لمناصرتها ولمعاقبة هذا

القاضي الذي لم يعاقب المغتصب (صحيفة الديلي ميل البريطانية الصادرة في 1988/12/1م).

رابعا: المدرسة الإسلامية الوسطية: لم تتعامل مع المجرم كشيطان رجيم يجب قتله واستئصاله، و لم تنظر إليه بعين العطف والتدليل وتتعامل معه كضحية لأخطاء الآخرين وهو الجلاد، ولم تتعامل معه كمكون بيونور فيسيولجي مدفوع نتيجة تأثيرات عصبية ولا قدرة له على التحكم في تصرفاته كما صورته بعض نظريات علم الإجرام الوضعية. وإنما المدرسة الإسلامية كانت نهجاً وسطياً جمع كل الجوانب الحميدة التي أسهمت بها الجهود البشرية والتعاليم الدينية في علم العقاب، واستبعدت صور الوحشية الانتقامية التي تعامل بها الإنسان البدائي مع فكرة العقوبة. كما مخرجات التشريعات الوضعية التي غالت في فرض العقوبة على السلوك المنحرف ففي بلد كبريطانيا كانت عقوبة الإعدام تطبق على مئتين جريمة بما فيها سرقة شلن واحد، وكذلك في فرنسا كانت عقوبة الإعدام تطبق على مئة جريمة حتى جاء الفقيه القانوني (بكاريا)عراب فقه الثورة الفرنسية ونقصت الجرائم التي يطبق عليها حكم الإعدام إلى (32) جريمة، بل حتى بعض التشريعات الدينية في الأمم السابقة كانت شديدة، فمثلاً جاء في سفر الخروج من التوراة نص 21_28(وإذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل لحمه. ولكن إذا كان ثوراً ناطحاً من قبل وأشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلاً أو امرأة، فالثور يرجم وصاحبه يقتل أيضاً) وجاء التشريع الاسلامي متوازناً وبعيداً عن الإغلال والإصار التي كانت في الامم السابقة فجميع الجرائم التي يعاقب عليها بالقتل في التشريع الاسلامي لا تتجاوز أصابع اليدين (رباح، 2005م، 25).

فكانت نظرية العقوبة على الجريمة في التشريع الاسلامي نهجاً وسطاً ومتوازناً وجامعاً لكل ما في التجارب السابقة من خير وأضاف ملامحاً جديدة لمفهوم العدالة في التعامل مع الجريمة والمجرمين بعيداً عن الأهواء الانتقامية والدوافع الشخصية وتشديدات بعض الشرائع السماوية واستوفت حكمة العقاب في التشريع

الإسلامي جميع الغايات النبيلة والأغراض السامية التي تعود على المجتمع والشخص المعاقب بخيري الدنيا والآخرة يقول ابن القيم رحمه الله عن حكمة العقوبات ودقة نظامها في الشريعة الإسلامية (حكمة العقوبات في الفقه الاسلامي :قال ابن القيم رحمه الله {ومن قال متسائلاً لم قطع يد السارق التي باشر بها الجناية ولم يقطع فرج الزاني الذى باشر به الجناية ولا لسان القاذف الذى باشر به القذف ؟ قال فجوابه أن هذا من أوضح الدلائل على أن هذه الشريعة منزلة من عند أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، إن الله لما خلق الموت والحياة ليختبر عباده ويبتليهم أيهم أحسن عملاً اقتضت حكمته تهيئة اسباب الابتلاء فجعل في أنفسهم العقول الصحيحة والسمع والبصر والإرادات والشهوات والقوى والطبائع والحب والبغض والميل والنفور والأخلاق المتضادة المقتضية لآثارها اقتضاء السبب لمسببه وأكد أسباب هذا الابتلاء بأن وكل بها قرناء من الأرواح الشريرة والأرواح الخيرة وجعل دواعي القلب وميوله مترددة بين هذه وهذه. ليتم الابتلاء في دار الابتلاء وتظهر حكمة الثواب والعقاب في دار الجزاء. وأوجب في حكمته وعدله ورحمته أن أرسل الرسل وأنزل الكتب وشرع شرائعه ليتم ما اقتضته حكمته في خلقه وأمره.

فكان من بعض حكمته سبحانه ورحمته أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس في النفوس والأبدان والأموال والأعراض. كالقتل والجراح والقذف والسرقة فشرعها على أكمل الوجوه المتضمنة للردع والزجر والتطهير مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني فلم يشرع في الكذب قطع اللسان ولا القتل ولا في الزنا قطع الفرج والخصاء ولا في السرقة إعدام النفس وإنما شرع ما هو موجب رحمته وحكمته ولطفه وعدله.

وأن لهذه الجنايات الأربع مراتب متفاوتة وبها تتفاوت عقوباتها.

ولو تركت العقوبات لعقول الناس لذهبت بهم الآراء كل مذهب وتشعبت بهم الآراء كل مشعب ولكن أحكم الحاكمين كفاهم ذلك ووضع لهم لكل جناية ما يناسبها من العقوبة والنكال ثم بلغ من سعة رحمته أن جعل لهم هذه العقوبات كفارة

لأهلها وطهرة لهم في الدنيا قبل الآخرة. وجعل هذه العقوبات تدور على ستة أصول القتل، القطع، الجلد، النفي، التغريم، التعزير.

وجعل القتل عقوبة على أقبح الجرائم وأشنعها، وجعل القطع عقوبة مثلة عدلاً، وعقوبة السارق أبلغ من عقوبته بالجلد وهى إبانة العضو الذي جعله وسيلة لأذية الناس وأخذ أموالهم فلما كان ضرر المحارب أشد من ضرر السارق ضم إلى قطع يده قطع رجله ليكف عدوانه وشر يده التي بطش بها ورجله التي سعى بها وجعل ذلك من خلاف حتى لا يفوت عليه مصلحة الشق بكامله.

وأما الجلد فجعله لجناية الأعراض والعقول ولم تبلغ الجنايات مبلغ موجب القتل ولا إبانة طرف إلا الجناية على الإبضاع من المحصن لأن مفسدتها انتهت سببا لأبشع القتلات ولكن عارضها في البكر شدة الداعي وعدم المعوض فانتهض ذلك سبباً لإسقاط القتل ولم يكن الجلد وحده كافياً للزجر فأضيف له التغريب ليزجر عن المعاودة.

تعليل عقوبة السرقة:

وأمّا قطع يد السارق في ثلاث دراهم وجعل ديتها خمسمائة ديناراً فمن أعظم المصالح والحكمة فإنّه قطعها في ربع دينار حفظاً للأموال وجعل ديتها خمسمائة دينار حفظاً للأطراف وسلامة الأجسام.

وأمّا تخصيص القطع بثلاثة دراهم فلأنّه لا بدّ من مقدار يجعل ضابط بوجوب القطع فلا يمكن أن يقال أن يقطع بسرقة فلس أو تمرة أو حبة حنطة، فإن الشرع ينزه بأن يأتي بهذا وتنزه حكمة الله وعدله عن ذلك أيضاً. والثلاثة دراهم أو ربع دينار هي الحد الأدنى لكفاية الإنسان ومن يعوله في يومه، وقال إبراهيم النخعي: (وجرت عادة الناس التسامح في الشيء التافه إذ لا يلحقهم ضرر بفقده).

قال ابن القيم:اعترض أناس على بعض العقوبات بعقولهم القاصرة فقالوا الشرع فرق بين المتماثلات: فأوجب الحد بشرب الخمر ولم يحد بشرب الدم والبول وهى أخبث من الخمر !

أوجب قطع اليد في سرقة ربع دينار ذهب ومنع قطعها في من انتهب ألف دينار!
أوجب الحد في رمى الرجل بالفاحشة ولم يوجبه في رميه بالكفر و هذا أعظم من الفاحشة !
رتب الحد على الخمر ولم يرتب حداً على الربا وهو أشد!
قال ابن القيم والجواب من وجوه: (هذا مما يدل على اعتبار المعاني والحكم في الشرع – فإنّ الشرع ينظر إلى المحرم ومفسدته ثم ينظر إلى وازعه وداعيه، فإذا عظمت مفسدته رتب عليها العقوبة بحسب تلك المفسدة ثم ان كان في طباع البشر وازعاً عن ذلك المحرم اكتفى بذلك الوازع عن الحد فمثلاً لم يرتب على شرب الدم والبول حداً لما في الطباع من الامتناع عن ذلك ولا تكثر مواقعتها فاكتفى بذلك.

بخلاف شرب الخمر والزنا والسرقة فإن الباعث عليها قوى فلو لا ترتيب الحدود عليها لعظمت مفاسدها، وعظمت المصيبة بارتكابها، أما النهبة لم يرتب عليها حداً كالسرقة لأن باعث الطباع لا تدعو اليها خوف الفضيحة وسرعة الأخذ.

وأما الربا فلا يرتب عليه حد لأنه يقع في الأسواق وفى الملأ فوكلت إزالته إلى إنكار الناس وأجود من هذا أن يقال لأن الربا ذنبه لا يكفر بحد كأكل مال اليتيم وحالف اليمين الغموس ومفطر العمد في رمضان فهذه ذنوب لا تكفرها عقوبات لشناعتها.

وإذا تأملت أسرار هذه الشريعة وجدتها في غاية الحكمة ورعاية المصالح لا تفرق بين متماثلين البته ولا تسوى بين مختلفين ولا تحرم شيئاً لمفسدة وتبيح ما مفسدته مساوية أو راجحه على مصلحته ولا تبيح شيئاً لمصلحة وتحرم ما مصلحته مساوية لما أباحته البته ولا يوجد فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً من ذلك ولا يلزمه الآراء المستندة لأقوال الناس واجتهاداتهم ففيها من التفريق بين المتماثلات والجمع بين المختلفات وصنوفاً من التناقضات مما يدل على قصر عقول البشر و ضعفها (ابن القيم: 395).

خصائص العقوبة في الفقه والقانون (م العوجي 2003م:24)

كما سبق أنّ العدالة قيمة أخلاقية قديمة في كل الشرائع السماوية والقوانين والنظم البشرية، ولكن صورة العدالة المتمثلة في جانب العقوبات في الشريعة الإسلامية هي الأكمل على الإطلاق والأنفع للبشرية لما فيها من السعة والمرونة والشمول والثبات لأنّها لم تكن وليدة أمزجة بشرية ولا نتاج تجارب إنسانية ولا انتقام لخصومات سياسية وإنّما وحي معصوم ممن خلق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه ويقوّمه. ولنأخذ هذه الخصائص وفقاً للترتيب الآتي:

شرعية العقوبة:

يُعني بهذا المبدأ في المجال الجنائي، أنه: (لا تجريم ولا عقاب إلا بنصٍّ سابق). أي أن عملية التجريم والعقاب يجب أن تكون خاضعة لنصوصٍ سابقة لأفعال المتهم ومُحدَّدَة، كذلك مما يقتضيه العمل بهذا المبدأ أنه إذا سُنَّ قانون يُجَرِّم ويُعاقِب على أفعالٍ مُعينة فإنه لا ينطبق على الأفعال التي وقعت قبل صدوره، وإن كانت تعتبر مخالفات قانونية في التشريع اللاحِق.

تاريخ هذا المبدأ:

بما أن الشريعة الإسلامية هي من رب العالمين الذي يعلم ما يُصلِح عباده في الدنيا والآخرة، وهي أكمل الشرائع وأفضلها وأشملها وليس هناك شِرْعَةٌ مما عرفه الناس من القوانين والنظم تُداني أو تُقارِب شرعة الإسلام بل كل القوانين الوضعية فهي تقصر عنها، وما في القوانين التي عرفها البشر من العدالة ففي الشريعة الإسلامية مثله وأحسن منه بأضعاف، وهي تحمل في أحكامها أكمل صور العدالة وأحسنها وأنفعها في العاجل والآجل، يقول تعالى: (اليوم أَكْمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمْتُ عَلَيكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلامَ دينًا (سورة المائدة آية 3)،وهذا المبدأ "مبدأ الشرعية" منصوصٌ عليه في كتاب الله تعالى، يقول الله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَى نَبعَث رَسُولاً) (سورة الإسراء آية 15)ويقول تعالى: (رُسُلاً مُبَشِرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَةٌ بَعْدَ الرَسُل) (سورة النساء آية 165)، يعني قبل الرسل يمكن للمخالف

للشرائع اللاحقة أن يَحتَج بالبراءة الأصلية، لأن مبدأ البراءة الأصلية يقضي بإباحة التصرف بناءً على عدم ورود نص يحظره، ولذا القرآن الكريم نصَّ على عدم المؤاخذة قبل الشرائع وبَعْث الرسل، وهذا هو مضمون مبدأ الشرعية ومحتواه.

أول ما عرف العالم هذا المبدأ بصورةٍ واضحة ومعمَّمَة على المستوى القُطْري، واستحسنه المشرعون عام 1948م عندما أخرجوا الميثاق العالمي لحقوق الإنسان، فجاء في نص الفقرة (2/11) من الميثاق العالمي لحقوق الإنسان: "لا جريمة ولا عقوبة إلا بنصٍّ تشريعي سابق" وكذلك ظهر هذا المبدأ في الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان والشعوب لسنة 1981م، والميثاق العربي لحقوق الإنسان عام 2006م.، وهكذا توالت القوانين القُطْرِية في الأخذ به والنَصّ عليه بوضوح في جميع القوانين والدساتير.

شخصية العقوبة:

هذه الخاصية من المبادئ التي يتفق عليها الشرع والقانون، فإن الجزاء على الجريمة ينزل على من ارتكبها بالانفراد أو الاشتراك والمعاونة ولا يجوز مبدأ النيابة في العقوبة. كما سبقت الإشارة إلى ذلك. عند قول الله تعالى عن أخوة يوسف: { قالوا يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (سورة يوسف آية 7,8) حكى القرآن ذلك وأقره ولم يبطله مما يدل على سلامته (سيد قطب: 1972م.:15)

وكان العمل بمبدأ "شخصية العقوبة" من قوانين قدماء المصرين، ولكنه كان مبدئاً سليماً وجاء التشريع الاسلامي ونص على هذا المبدأ في نظام العقوبات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يجني جان إلا على نفسه (رواه مسلم برقم/2577) " وقال تعالى:{ ولا تزر وازرة وزر أخرى) (سورة الزمر آية 7) وفي جميع نظم وقوانين الإجراءات الجنائية يعتبر موت المتهم منهياً للدعوى الجنائية عليه انظر المادة 22من نظام الإجراءات الجنائية للمملكة العربية السعودية تحديث 1422هـ.

تنويع العقوبة:

من المبادئ التي تدل على سعة النظام ومرونته وكماله وجماله كثرة الخيارات والبدائل في العقوبة: والعكس صحيح ضيق الخيارات في النظام العقابي يدل على محدودية نطاقه ويكون الأمر فيه أبعد من اليسر مثلاً في شريعة اليهود " قتل القاتل " ولا خيار غير ذلك وفي شريعة النصارى " لا يقتل القاتل " بل يدفع العوض وفي شريعة الإسلام أهل القتيل بخير النظرين إن شاءوا أقادوا وإن شاءوا أخذوا الدية وإن شاءوا عفوا بالكلية " فتعدد الخيارات يدل على سعة النظام العقابي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

وهذا التنوع غير عملية تفريد العقوبة وهي مسألة التنوع المبنية على الظرف المخفف والظرف المشدد فهذا تنويع من نوع آخر، ويدل على كمال التشريع وسعته (غسان رباح: 157/158).

تفريد العقوبة:

هو إنزال العقوبة على الجريمة الواحدة، بصورة متنوعة حسب ما يقتضيه الظرف المخفف أو المشدد مثلاً في جريمة الحرابة. قد تكون العقوبة القتل مع الصلب وقد تكون القطع من خلاف، وقد تكون السجن فقط وذلك بحسب نوع الجرم الذي أقترفه المحاربون.

فالجريمة واحدة وهي " الحرابة " ولكن العقوبة تختلف باختلاف السلوك الذي سلكه الجناة، والجرائم التي اقترفوها.

وهذا التقدير في العقوبة يدل على كمال الشريعة الإسلامية واستيعابها لأحدث ما توصلت إليه نظم العدالة الجنائية المعاصرة وأساليب التعامل مع المجرمين، ومثل هذا حالة القتل العمد والقتل شبه العمد فعقوبة العمد العدوان قد تكون القصاص " قتل القاتل " وفي شبه العمد لا يقتل القاتل به لأن الجاني لم يقصد القتل، وإن كان قد قصد الفعل، ولكن حصل الموت بصورة مدهشة للرجل المعقول، لدرجة أنه قد يتفاجأ الجاني بنبأ موت الضحية لأنه لم يقصده كمن ضرب بسوط أو حجر أو عصا صغيرة لا يقتل مثلها وحصل الموت بصورة غير متوقعة (صالح التوم: 140).

المساواة أمام العقوبة:

هذا من المبادئ المحترمة و المقدسة في كل الشرائع السماوية وحتى القوانين البشرية الوضعية تسير على هذا المبدأ وتحرص على الا تحيد عنه لأن الازدواجية في القوانين وتطبيقها على فئة دون أخرى كما لو سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد فهذا سبب هلاك الأمم وتدمير الحضارات السابقة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذراً قريشاً لما أرادوا أن يشفعوا للمخزومية التي سرقت قال صلى الله عليه وسلم: (إنما أهلك الذين من قبلكم كان إذا سرق الشريف فيهم تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله أن لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها) (صحيح مسلم::1688). فالعدل أساس الملك ومن أعظم صور العدالة استواء الناس أمام القضاء فليس لعربي فضل على عجمي ولا لعجمي على عربي والناس يجب أن يكونوا أمام العدالة سواسية كأسنان المشط.

قضائية العقوبة:

الجهة المنفذة للعقوبة هي القضاء وليس الأفراد ولا يقر العقلاء ولا الشرائع المحترمة أن يكون القانون بيد الأفراد وهم الذين ينفذوه. وإنما مؤسسة القضاء هي المنوط بها تنفيذ العقوبة المحكوم بها حسب الإجراءات النظامية لأن الفرد قد تنحرف به النفس الأمارة بالسوء عن العدل ويميل للانتقام الشخصي. ولا تعتبر حالات الدفاع الشرعي عن النفس أو المال أو العرض، تطبيق للقانون بواسطة الأفراد وإنما هي ظروف استثنائية أجيز للإنسان أن يدفع الخطر الداهم عن نفسه وذلك وفقاً للضوابط التي تحكم تلك الظروف ولا يصح لأي جهة في أي بلد تحترم العدالة ان تصدر العقوبات وتحكم بها غير مؤسسة القضاء مهما كان نفوذها وسلطانها (المشهداني:124).

عدالة العقوبة:

شرعت العقوبة لحفظ التوازن في المجتمع وإقامة العدل لأن الجريمة خروج عن الاتزان وميل عن النظام والقاعدة الفيزياتية أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومعاكس له في الاتجاه، فجرياً على هذه القاعدة وحفظاً للنظام كانت العقوبة،

وحتى تكون عادلة ومقبولة ومرضية للشعور العام ومحققة للهدف لابد أن تكون متناسبة مع حجم الفعل المضادة له من حيث نوعها ومقدارها وأثرها على الجاني.

فليس الهدف من العقوبة الانتقام وإيقاع الألم المادي فقط على الجاني فلها أبعادها التربوية والإصلاحية والأخروية والتي تهدف لتحقيق جملة مقاصد حميدة، فميزان العدالة وإرضاء الشعور العام لن يكن متحققاً إذا لم يكن هناك تناسب بين العقوبة والفعل المجرم، فمثلاً أن القضاء البريطاني في حقبته الأخيرة أصبح يعاني من انعدام سمة عدالة العقوبة - وبشهادة رجاله - فمثلاً مجرم في وسط بريطانيا يقوم بتكرار جريمة اغتصاب الأطفال وقتلهم بوحشية لأكثر من سبع مرات ويكتفي القضاء بسجنه فقط حتى ولو لمدى الحياة ؟ لأن هذه أقصى عقوبة يمكن أن يحكم بها القاضي وذلك بعد إلغاء عقوبة الإعدام والتي كان معمولاً بها حتى عام 1969م. ويقول أحد خبراء علم العقاب:(خطورة الدعوى لإلغاء عقوبة الإعدام أنها تضعف هيبة العدالة ومؤسساتها ويظل المجرم بذلك مطمئناً لأنه يدرك أن حكم العدالة لن يكون أكثر من إرساله إلى السجن والذي أصبح أشبه بالمتنزه ويظل وهو فيه حالماً دوماً بالإفلات منه في أي لحظة ليعاود إجرامه مرة أخرى وبصورة أبشع ففي قضية المجرم العائد (روبرت بلاك) والتي شغلت الرأي العام البريطاني لأكثر من 12سنة والذي اختطف الطفلة (سوزان ماكويل) وعمرها 11سنة وقام باغتصابها وقتلها، والطفلة (كارولين هوج) وعمرها 5 سنوات فاغتصبها وقتلها والطفلة (سارة هابر) 10سنوات اغتصبها وقتلها ووصلت جرائمه لأكثر من عشر فتيات قاصرات اغتصبهن وقتل بعضهن. فقال القاضي في حيثيات الحكم عليه: (هذا القاتل رجل خطير جداً) وأكتفي بإرساله إلى السجن لأن هذه أقصى عقوبة أمامه، ويقول صاحب موسوعة القضاء البريطاني:(إن عقوبة السجن لا يمكن أن توقف هذا الزحف الخطير من الإجرام خاصة بعد أن أصبحت السجون في عالمنا محل إقامة وتنزه وترفيه أكثر من كونها مكاناً للعقاب يذكر المجرم بجرمه وما اقترفه من حق إنسان آخر برئ وقال والد إحدى الفتيات الضحايا بعد أن

سمع قرار القاضي بالحكم بالسجن على المغتصب القاتل (إن ابنتي الآن على قيد الحياة لو كانت بريطانيا لاتزال تطبق عقوبة الاعدام بالقاتل، لأن القاتل سوف يفكر ملياً عند إقدامه على القتل من أن هذه الجريمة سوف تؤدي إلى الاعدام (شكري: 148).

أغراض العقوبة وأنواعها في الفقه والقانون:

أغراض العقوبة هي الغايات التي يسعى القانون لتحقيقها من خلال إنفاذ العقوبة ومنها

(المشهداني: 118(عادل عبد العال، 2012م:25):

أولاً: إصلاح الجاني: من أهم الأهداف التي يسعى لتحقيقها من فكرة العقوبة إصلاح الجاني وتحسين وضعه النفسي والاجتماعي والأخلاقي وإعادة تأهيله ودمجه في المجتمع، لأن الإنسان بشر والبشر ضعيف قال تعالى: (وخلق الإنسان ضعيفاً) (سورة النساء: آية 28)وقال تعالى: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً) (سورة طه: آية 115). وقال ﷺ :(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) (أخرجه ابن ماجة: 4251) (والترمذي:2499) وأحمد في المسند: ج/3/198) فالنص العقابي الإسلامي والوضعي ركز على ضرورة معالجة المجرم وإعادة التوازن في المجتمع برد الفعل المقابل للجريمة وهي العقوبة المناسبة، ولم تأخذ العقوبة في الشرع الإسلامي والقانون الحديث جانباً انتقامياً من المجرم وإنما إصلاحاً له وتقويماً.

ثانياً: إرضاء الشعور العام: وذلك بالإحساس بالعدالة وأن من يرتكب جرماً يعاقب على جرمه وفيها تطمين للمجتمع بأنه لا كبير على القانون والنظام وبذلك تعزز ثقة الناس في الحكم ومؤسساته وقدرتها على بسط العدالة وردع الخارجين عن النظام.

ثالثاً: الزجر: زجر من تحدثه نفسه بارتكاب الجرائم، فلما يرى الناس عقوبة المجرم وتأديبه يخافون من ارتكاب الجرائم ومن إنزال العقوبات والإهانة التي يتعرض لها من يرتكب الجرم فيحصل الكف عن الجرم.

فتحقق العقوبة غرض حماية مصالح الناس وتحيطها بسياج منيع، من الخوف من العقاب لأن من الناس من ليس له وازع ديني يمنعه من ارتكاب الجريمة ولكنه يصده عنها الخوف من العقاب والتنكيل،ولذا هناك عقوبات يصحبها نوع من التنكيل ومظاهر الردع كالقتل مع الصلب للمحارب الذي يقطع الطريق فينهب المال ويقتل النفوس فإنه بعد قتله يصلب أمام الملأ لتحقق غرض العقوبة بتخويف الناس من ارتكاب هذا النوع من الجرم البشع ولذا قال تعالى في شأن المعاقبين {وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين.... ولا تأخذكم بهما رأفة في دين اللّه...) (سورة النور: آية 2).

رابعاً: البعد الأخروي من العقوبة: هناك بعد أخروي مقصود من العقوبات في النظام الجزائي الإسلامي، وهو تطهير الجاني من ذنبه في الدنيا قبل الآخرة، لما ثبت عن النبي عليه وسلم انه قال "(من اقترف شيئاً من هذه القاذورات فأقمنا عليه حد اللّه فهو كفارة له ومن استتر بستر اللّه فهو تحت مشيئة اللّه، إن شاء اللّه غفر له وإن شاء عذبه) (أخرجه مسلم في صحيحه/ في باب الحدود كفارات: 1707) وهذا ما يميز النظام الجزائي الإسلامي على سائر النظم الوضعية الأخرى إذا لا تهدف لمثل هذا الغرض النبيل الذي يسعى لتحقيقه من خلال العقوبة والجزاء الذي يطال المجرم على جرمه، ويطهر من ذنبه في الدنيا **قبل** الآخرة لأن عذاب الآخرة أشد وأبقى.

خامساً: الحد من ظاهرة الجريمة.

سادساً: تطهير بؤر الجريمة وتنقية الأجهزة الحكومية من المفسدين كإبعاد المرتشين من الوظائف العامة.

سابعاً: نشر الأمن والطمأنينة بين الناس و بأن العقوبة يمكن أن تطال كل من تسول له نفسه العبث بمصالح الناس.

ثامناً: إيقاع الألم والنكال بالمجرم حتى لا يعود لفعلته وجرمه الذي اقترفه.

تاسعا: استئصال المجرم بالكلية وإزاحته من الوجود لأنه لم يعد في بقائه بين الناس فائدة كالمجرم العائد لارتكاب الجرائم الخطيرة والساعي في الأرض بالفساد.

أنواع العقوبات: من خلال الاستقراء لمصادر علم العقاب يتضح أن أنواع العقوبات المذكورة فيها سواء كانت المصادر الشرعية أو القانونية هي: اولاً :عقوبة سالبة للحياة، ثانياً: عقوبة سالبة للحرية، ثالثاً: عقوبة مالية واعتبارية، رابعاً: تدابير احترازية، خامسا: عقوبات بدنية كالجلد والقطع وهذا مالم يذكر في مصادر علم العقاب الوضعية التي وقفت عليها. فربما أعرض القانونيون عن ذلك لشيء في نفوسهم ولكن مصادر التشريع الإسلامي العقابية نصت على هذا النوع من العقوبات كجلد الزاني البكر والقاذف وشارب الخمر وقطع يد السارق وقطع المحارب من خلاف. ولاشك أن هذه العقوبات البدنية الغرض منها النكال وتحقيق الردع العام والخاص وفيها بعداً غيبياً وهي التطهير من الذنب إذا أقلع مقترفها وتاب إلى ربه. وللمزيد سيكون بآخر هذه الفقرة.

أولاً: العقوبة السالبة للحياة (الإعدام) وهذه العقوبة استصعبها وعارضها كثير من القانونيون وأصبحت تعقد مؤتمرات دولية للتخطيط لإلغائها واتجهت أغلب الدول الغربية لإلغائها (رباح: 245). وهذه الدعوة لإلغائها لا نشك في بطلانها لأن تشريعها جاءنا من أحكم الحاكمين وممن يحكم ولا معقب لحكمه وهو رب العالمين قال تعالى (و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)، ونتعرض باختصار لحجج وشبهات من ينادي بإلغاء عقوبة الإعدام وهي تتلخص في الآتي:

م	أدلةالمعارضين(هم أغلب أعضاء منظمة الأمم المتحدة	أدلة المبيحين والرد على أدلة المعارضين (وهم الدول المتحفظة على اتفاق إلغاء عقوبة الإعدام بما فيهم السعودية والسودان ومصر والخ....)
1	أن الحياة منحة من الله لا يحق لأحد سلبها	الرد على هذه الشبهة نقول أيضاً الحرية منحة من الله ولا يجوز سلبها بالسجن لأنكم دعوتم لاستبدال الإعدام بالسجن.
2	عقوبة الإعدام تعارض مبدأ إصلاح الجاني وهي غير هادفة	الرد على هذه الشبهة ،ان هذه العقوبة خير من السجن المؤبد لأن السجن لا يزيد الشخص إلا إهانة وإذلالاً والسجن المؤبد كالقتل ولكنه قتلاً بطيئاً وهذه العقوبة إذا نظر إلى الجرائم التي ترتبت عليها فهي عين العدل لأنها شرعت على أكثر الجرائم خطورة كجريمة القتل العمد العدوان ، فمن يقتل شخصاً بريئاً معصوماً عدواناً وظلماً وغيلة فبأي وجه يستحق الحياة ؟ وكيف يقال غير هادفة والله تعالى يقول (ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب)؟
3	فيها تفويت فرصة التدارك.	الرد على هذه الشبهة الإعدام وإن لم يحقق إصلاح الجاني إلا أنّه يحقق أغراض العقوبة الأخرى كالردع العام والعدالة والمجرم إذا تم فحصه وعرفت خطورته فلابد من استئصاله حماية للمجتمع فالجريمة العصية كالمرض العصي فإنّه لا دواء له، فيترك المريض فريسة للموت حتى يموت.
4	الحكم بها بطئ غير مؤثر وإذا وقعت العقوبة لا تتدارك.	الرد على هذه الشبهة ورود الخطأ محتمل على أي عقوبة وهذه العقوبة تحاط بضمانات كبيرة توقيع قضاة الموضوع ومصادقة محكمة الاستئناف ومصادقة المجلس الأعلى للقضاء مصادقة رأس الدولة فتواطؤ الجميع على الخطأ مستبعد.

أيضاً: مما يعزز مشروعيتها:

ـ أنها مفيدة اقتصادياً لأن السجن المؤبد مزيد كلفة وهدر للوقت في حراسة السجناء الأكثر خطورة مما يكون خصماً على برامج الإصلاح والتربية التي يمكن أن يستفيد منها السجناء الأقل خطورة.

❖ انخفاض معدل الجريمة البشعة لمّا أقرت بعض الدول هذه العقوبة على جريمة السرقة تحت تهديد السلاح.

❖ أن المحكمة إذا رأت الجاني غير مستحق للإعدام فلها استبدال العقوبة بعقوبة أخف (عوض محمد، 2000م:54).

ثانياً :العقوبات السالبة للحرية: (الجنزوري، 1977م:47)

مشاكل هذه العقوبة:

1. مشاكل اقتصادية، وزيادة الكلفة المالية والنفقات بالصرف على النزلاء، وخاصة عقوبات الحبس القصيرة المدة لا جدوى منها،لأنها لا تتمكن فيها إدارة السجون من تكثيف برامج الإرشاد السلوكي والتربوي بل تكون الإدارة مشغولة بإدخال وإخراج النزلاء وتنصرف بذلك عن دورها الإرشادي والتربوي للنزلاء المحكومين بمدد طويلة.
2. مشاكل اجتماعية وانتقال عدوى الجريمة بين المسجونين وهذا الذي يحدث في أغلب السجون المختلطة.
3. قابلة لمخاطر ردة الفعل السلبية عند انهيار السجون وهرب المسجونين الأكثر خطورة والذين يهددون حياة الناس وأمنهم.
4. عدم تحقيقها لأهداف إصلاح الجاني بل قد تكون نتائجها عكسية وتعتبر في أغلب الأحوال محاضن لإخراج مجرمين محترفين.

ثالثاً :العقوبات المالية والاعتبارية:

ويشمل هذا النوع من العقوبات:الغرامة كجزاء جنائي على جريمة فيها حق عام للمجتمع كجرائم الرشوة وتزييف العملات والمستندات واستغلال الوظيفة للحصول على كسب غير مشروع ونحوها والهدف من مثل هذه العقوبات تنقية الجهاز

الحكومي من الفساد والمحافظة على ميزان العدالة. جاء نص المادة الأولى من نظام مكافحة الرشوة في المملكة العربية السعودية: (كل موظف عام طلب لنفسه أو لغيره أو قبل أو أخذ وعداً أو عطية لأداء عمل من أعمال وظيفته أو يزعم أنه من أعمال وظيفته ولو كان هذا العمل مشروعاً، يعد مرتشياً ويعاقب بالسجن مدة لا تتجاوز عشر سنوات وبغرامة لا تزيد عن مليون ريال أو بإحدى هاتين العقوبتين، ولا يؤثر في قيام الجريمة اتجاه قصد الموظف إلى عدم القيام بالعمل الذي وعد به). وجاء نص المادة 13 من نفس النظام: (يترتب على الحكم بإدانة الموظف العام أو من في حكمه بارتكاب إحدى الجرائم المنصوص عليها في هذا النظام:

أ/ العزل من الوظيفة.

ب/حرمانه من تولي الوظائف العامة.

ج/مصادرة الأموال والفوائد التي تم الحصول عليها عن طريق الرشوة.

د/نشر الأحكام الصادرة في حالة الإدانة بهذه الجرائم وإعلانها للجمهور. والملاحظ أن هذه المصفوفة من العقوبات الأصلية والتبعية هدف القانون منها النكال والردع العام والخاص وايقاع الخسارة المادية بالجاني الذي استعجل الثراء وطلب أموالاً بالطرق المحرمة والقاعدة: (من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه).

أما الإتلاف فقد نصت نظم الإجراءات الجزائية على أن الدعوى إذا كانت متعلقة بعين محرمة كالخمر والأعيان النجسة يأمر القاضي بإتلافها وبأشراف المحكمة، وقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه حرق متاع الغال وأمر بكسر القدور التي يصنع فيها المحرم (الجنزوري: 737، الشاذلي، 2012م:54)

رابعاً :التدابير الاحترازية:

التدابير الاحترازية هي مجموعة الإجراءات التي يقررها المقنن على شخص معين حمايةً

للمجتمع من خطورته الإجرامية، وبما أن التدابير الاحترازية إجراءات ضبط تمس حرية الفرد يجب أن تستند على قاعدة الشرعية الجنائية المعلومة (لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص سابق) كذلك لابد لهذه التدابير أن تكون حصراً على الشخص المعني بها والذي تكمن في نفسه الخطورة الإجرامية ولا تتعدى لأي شخص آخر مهما كانت درجة قرابته به، وهي قسرية التطبيق على الشخص الذي يشكل الخطورة الإجرامية ولا خيار له فيها لأن الهدف منها حماية المجتمع من خطره الإجرامي. وهذه التدابير تختلف من العقوبة إذ يمكن إيقاعها على المجنون والصغير إذا ظهرت منه أمارات الجنوح نحو الإجرام فيرسل المجنون إلى مستشفى الأمراض العقلية والحدث إلى دار الملاحظة بمدة يحددها القاضي المختص في نظر قضايا الأحداث، وبعد كل فترة حسب تحديد النظام يعرض على المحكمة للنظر في حاله فاذا تبين للقاضي صلاحه وحسن سلوكه فليس هناك مكان أفضل من العائلة للطفل فيأمر بإخراجه وتسليمه لأسرته. ومن صور التدابير الاحترازية الإقامة الجبرية والوضع تحت رقابة الشرطة والمنع من السفر والحظر من التجمعات والتفتيش الدوري على الطرقات وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر (عبد العال: 65، حسني:34).

خامساً:عقوبات بدنية: وهي كالجلد والقطع من العقوبات المقررة في نظام الحدود في الشريعة الاسلامية ولاشك في نجاعتها وتحقيقها للفوائد والحكم التي يسعى إليها المقنن من تشريع العقوبات وقد سبق حديث ابن القيم رحمه الله عن ذلك في حديثنا السابق عن هذا الحكم، وتطبيق الحدود الشرعية بالنسبة للمسلم جزء من اعتقاده الديني لا يسمح له دينه بالتنازل عنه، وعلى الشعوب الأخرى التي لديها اعتراض على العقوبات البدنية أن تحترم ثقافة الآخرين ولا تتدخل في خصوصياتهم الثقافية واعتقاداتهم الدينية، ونحن المسلمون نتعاون مع الآخرين في كل ما فيه تعظيم للحرمات وصيانة لكرامة الإنسان وحقوقه المضمنة في كل المواثيق الدولية وعلى الآخرين احترام هذه الخصوصية. ومن المحزن أن يتبنى الهجوم على العقوبات

البدنية شريحة من أبناء جلدتنا وممن يتكلمون بألسنتنا وهم إما يجهلون وجوب العمل بهذه العقوبات وأن ليس للمسلم خيار فيها كما هو منصوص على ذلك قال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) (سورة الأحزاب آية 36) ويقول تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) (سورة النساءآية 65) أو يعلمون ذلك ولكن يصرون على مهاجمتها وكلا الأمرين مصيبة والله المستعان.

خاتمة:

بعد أن تناول هذا الموضوع (نظرية العقوبة بين الفقه والقانون) من خلال المفردات المذكورة في هيكلته تم التوصل إلى النتائج الآتية:

1/ للعقوبة أهداف دنيوية وأخروية.

2/السعي لا صلاح الجاني وإعادة تأهيله وإدماجه في المجتمع هدف لفكرة العقاب يتفق فيها الشرع والقانون.

3/عقوبة الإعدام على بعض الجرائم حل وليست مشكلة.

4/فكرة العقاب قديمة قدم الحضارات الانسانية.

5/منهج الشرع الإسلامي في تقرير العقوبة هو الأحكم والأصلح لمواجهة الجريمة.

6/فكرة الدفاع الاجتماعي كبديل للعقوبة له أثر سلبي على مستوى الجريمة.

7/التدابير الاحترازية إجراءات ضرورية لحماية المجتمع من الجريمة.

8/التعويض المدني عن الضرر الناجم من الجريمة حق مكفول للمضرور وإن نال المجرم عقابه الجنائي.

9/القاضي مقرر العقوبة وليس مشرعاً لها.

10/العقوبة شخصية ولا تصح فيها الاستنابة.

11/عقوبة السجن قصيرة المدة لا جدوى لها.

12/تحقيق العدالة في العقوبة يعزز ثقة الناس في الحكم ومؤسساته.

قائمة المراجع.

1. القرآن الكريم.
2. مسلم/مسلم بن الحجاج النيسابوري/صحيح مسلم/طبعة دار السلام 1412ه
3. صوفي حسن أبو طالب/تشريع حور/طبعة القاهرة 1972م.
4. مصطفى العوجي/الامن الاجتماعي/طبعة مؤسسة نوفل/لبنان 1983م.
5. محمود الأمين/ترجمة قانون حمورابي من البابلية للعربية/طبعة الثانية 1961م.
6. غسان رباح/عقوبة الاعدام حل ام مشكلة/طبعة مؤسسة نوفل بيروت 1987م.
7. فهمي محمود شكري/موسوعة القضاء البريطاني/طبعة دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان 2004م.
8. صحيفة daily mail البريطانية عدد1/12/1988م.
9. ابن القيم /شمس الدين محمد بن ابي بكر الدمشقي/الضوء المنير في التفسير/طبعة مؤسسة النور بالرياض بدون تاريخ.
10. مصطفى العوجي/القانون الجنائي/طبعة منشورات البابي الحلبي الحقوقية.
11. جلال ثروت/الظاهرة الاجرامية/طبعة دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية 1996م.
12. زينب أحمد عوين/قضاء الاحداث/طبعة دار الثقافة للنشر الاولى 2003م الاردن /عمان.
13. صالح احمد التوم/الجرائم المعاقب عليها بالإعدام/ طبعة دار عزة للنشر 2005م/ الخرطوم.
14. /قانون الاجراءات الجزائية للمملكة العربية السعودية /تحديث 1422هـ.
15. محمد أحمد المشهداني/اصول علم الاجرام والعقاب/طبعة دار الثقافة للنشر/عمان 1429ه.
16. عادل عبد العال/مبادئ علم الاجرام والعقاب/طبعة الاولى 2011م.

17.محمد صبحي نجم/اصول علم الاجرام والعقاب/طبعة دار الثقافة للنشر2008عمان الاردن.

18.عوض محمد/قانون العقوبات/طبعة دار الجامعة الجديدة للنشر عام 2000م الاسكندرية.

19.سمير الجنزوري/الاسس العامة لقانون العقوبات/طبعة دار الثقافة للنشر القاهرة 1977م.

20.فتوح عبد الله الشاذلي/شرح نظام الجرائم التعزيرية في المملكة العربية السعودية/ طبعة دار المطبوعات الجامعية الاسكندرية 2012م/1433ه.

21.محمود نجيب حسني/دروس في علم الاجرام والعقاب/طبعة دار النهضة العربية 1988م.

22.الندوي/ على احمد الندوي/القواعد الفقهية/طبعة دار القلم دمشق 2013م.

المؤثرات القيمية على الثقافة المرورية في المدن الجزائرية

د.شنافي ليندة
ربوح لمبارك (طالب دكتوراه lmd)
جامعة عباس لغرور خنشلة - الجزائر

ملخص:

تشهد حركة المرور في الجزائر حوادث مميتة و تجاوزات لقانون المرور لا يمكن التغافل عنها ولا تجاهلها نظراً للنتائج و الخسائر المعتبرة التي تنجم عنها في الجانب الاقتصادي والبيئي والجانب الاجتماعي والنفسي، ويعتبر سائقو المركبات هم العنصر الأساس في الحوادث المرورية وهذا مايجعلنا نطرح العديد من التساؤلات حول هذا العنصر البشري:

* لماذا يوجد العديد من السائقين اللامباليين و الأنانيين الذين غالباً ما يقودون سياراتهم بطريقة عدائية متجاهلين حقوق السائقين الآخرين بأن يعاملوا بأدب و أمان؟ ❖ كيف يمكن إقناع السائقين اللاإجتماعيين لكي يصبحوا سائقين متقيدين بأعراف وقيم المجتمع، يقودون سياراتهم بأمان مراعين سلامة الآخرين؟
* كيف يمكن الحيلولة دون اقتباس السائقين المبتدئين عادات و تقاليد السائقين اللاإجتماعيين؟
* كيف يمكن تغيير مفهوم الطرق المرعبة إلى مفهوم الطرق الخضراء ومفهوم سائقي عجلات الموت إلى مفهوم القيادة الآمنة و المواطنة المرورية؟

يحاول الباحثان الإجابة على هذه الأسئلة من خلال التطرق إلى العلاقة الكامنة بين القيم الاجتماعية و الثقافة المرورية و مدى تأثير تلك القيم على سلوكيات السائقين، الأمر الذي أدى إلى وجود مشكلة ثقافة مرورية في الجزائر.

لقد تم توديع القرن العشرين و معظم الدول العربية تعيش أكثر من ثلاثة أرباع شعوبها في مراكز حضرية، وهي في حقيقتها أقرب ما تكون إلى قرى كبيرة عدا بعض العواصم الكبرى مثل القاهرة، الجزائر العاصمة، دمشق وغيرها فإن بقية المدن العربية كانت ريفية الظاهر و المحتوى (عبد الوهيد، 1،2008).

كما حدث التغير الكبير في البنية الحضرية على مستوى نسبة الحضر، ومن هنا بدأ يظهر نظام المدينة المهنية في بعض المدن العربية، ولا شك في أن التضخم الحضري الذي شهدته المدن العربية في السنوات الأخيرة قد جاء نتيجة التطور الهائل في وسائل المواصلات من برية و جوية و بحرية، حيث اختفت تدريجياً الوسائل التقليدية التي كانت تستخدم خلال القرون الماضية، ومع توسع المدن واستقطاب الهجرة من الريف شُقت الطرق الواسعة ونُظمت حركة السير والمرور وأصبحت السيارة تشكل نمطاً حياتياً مألوفاً لا يستغني عنه لضخامة المدن وامتدادها الفيزيقي. كما أن وجود السيارة أطلق العنان لتضخم المدن، فأخذت دور التفاعل المتبادل بين المرور وسهولة الانتشار الحضري تسير على وتيرة متسارعة حتى أصبح المرور في شوارع العواصم العربية والمدن يعاني من مشكلات الازدحام المروري والفوضى والتلوث البيئي والإصابات البشرية ما بين إعاقة ووفاة، كما انتشرت أيضاً أنماط من السلوكيات المرتبطة باستخدام السيارة و كثرت إشكالات الأنظمة المرورية وتطبيقها، وبدأت تبرز على السطح كثير من المشكلات المرورية، وأصبحت قضية المخالفات والحوادث المرورية همًا يلازم الجهات المختصة لمواجهتها وتنظيم البرامج المختلفة للحد من آثارها المدمرة.

يمكن التأكيد مرة أخرى أن أبعاد المشكلة تتمثل في (المركبة، السائق، الطريق) باعتبارها عناصر متلازمة ينجم عن أي خلل فيها أو في أحدها عواقب مؤلمة، وقد تذهب ضحيتها الأنفس والأموال، ومهما بُذل من جهد للعناية بالطرق وسلامة المركبات، فإن السائق يشكل العنصر المهم والأساسي في السلامة المرورية المرجوة.وذلك من التعامل الصحيح مع المركبة، والاستخدام الأمثل للطريق ووفق

الأنظمة وقوانين المرور، لكن كثير من المعوقات ذات المنشأ الاجتماعي تبرز من خلال القيم الاجتماعية والثقافية المؤثرة في سلوك الأفراد التي تؤدي بدورها إلى وجود مشاكل مرورية عديدة، وسوف يحاول الباحثان في هذه الدراسة التعرف على مجموعة العوامل التي أدت إلى ظهور مشكلة سيولة المرور في المدن و حتمية الحاجة للثقافة المرورية.

أولاً: مفاهيم الدراسة

1- **الثقافة المرورية**: الثقافة في اللغة أصلها ثقف: ثقف الشيء ثقفًا وثقافًا وثقوفة: حَذَقَه، ورجل ثَقْف وثَقف وثقف: حاذق، فهم، وأتبعوه فقالوا ثقف لقف، ويضيف ابن منظور: وقال أبو زياد: رجل ثقف لقف رام راو، وقال اللحياني: رجل ثقف لقف وثقف لقف، وثقيف لقيف أي بين الثقافة واللقافة (ابن منظور، 18،2005).

والخلاصة أن معنى ثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقاً خفيفاً، وذو فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه.

وفي الأدب العربي فإن الرجل المثقف هو الشخص الذي له معرفة في كل المجالات نسبياً فأصل الكلمة لغة يعكس بلاغة وبيان اللغة العربية في الدلالة عن الأشياء.

أما كلمة "CULTURE" فحسب قول مالك بن نبي من الواجب أن نترجم هذه الكلمة في ضوء النفسية والأدب الأوروبي وخصوصاً الأدب الفرنسي، حتى نفهم لما اختيرت كلمة CULTURE المشتقة من الأصل اللاتيني CULTUVARE والعبقرية الألمانية KULTURE فالواقع أن الأوروبي عامة والفرنسي خاصة هو (إنسان أرض) وأن الحضارة الأوروبية هي (حضارة الزراعة) على عكس الحضارة العربية فهي حضارة لغة، وكلام، وشعر ونثر وبيان، وعليه فإن العمليات التي تنتج من الأرض خيراتها كالحرث والبذر والحصاد لها بالضرورة دورها الهام في صياغة رموز الحضارة الأوروبية، إذ أن الزراعة هي العملية التي تضم بين دفتيها جميع العمليات السابقة، فهي التي تحدد وتنظم إنتاج الأرض (بن نبي، 2000، ص26).

فإذا حدث في بعض الظروف كتلك التي صحبت حركة النهضة الأوروبية، أن تعاظم إنتاج الفكر، فلن تكون هناك غرابة إذا ما أطلق عليه الرجل الفرنسي كلمةCULTURE التي تعني الزراعة إطلاقاً مجازيًا.

تلك هي الدرجة الأولى في سلم التعريف، وتأتي قوة اللفظة أنها مرت بهذه الدرجة ثم نمت في اللغات الأوروبية منذ ذلك الحين (بن نبي:2000، ص26) ويرى الباحث أن لا تفاضل بين أصلي الكلمة العربي أو الأوروبي فلكل واحد حضارته وأصوله في اختيار المفاهيم، بخلاف مالك بن نبي وآخرين والذين يعتبرون أن الأصل الأوروبي هو أكثر عبقرية وأدق وأدل من المعنى العربي.

والمرور موضعه ومصدره الممر، قال ابن سيده: (والمرة الفعلة الواحدة والجمع مَرٌ ومرارٌ ومرَرٌ ومرور، وقال بن سيده، وذهب السكري إلى أن مرورًا مصدر ومر يمر من المرور(ابن منظور:2005،ص51).

الثقافة المرورية اصطلاحاً: يطلق عليه كذلك الوعي المروري، وقد تباينت الرؤى تجاه مفهوم الثقافة أو الوعي المروري من لدن الباحثين الذين تعرضوا له في مختلف دراساتهم وبحوثهم، وقد يرجع سبب ذلك إلى اختلاف مضمونه من مجتمع إلى آخر، ومن فترة إلى أخرى داخل المجتمع الواحد وفقاً لمعطيات الواقع المروري.

يرى كل من نايف المعاني وأديب محمد الحضور على أن هناك مفهوماً شاملاً للثقافة المرورية وهو " تعزيز اليقظة الحسية والمعنوية والإلمام الواسع بكل ما يتعلق بالمرور من مركبة وطريق وإشارات وأنظمة وغيرها ما ينعكس إيجاباً على الشخص وحسن قيادته ومراعاته للأنظمة المرورية المختلفة(خضور:2007، 10)

بينما يراها صلاح رمضان بأنها تبسيط المفاهيم الأخلاقية والنظم والتعليمات ذات العلاقة بكيفية استخدام المركبة والطريق ووضع المنبهات الضرورية والأساليب التي تجعل الالتزام بها بصورة ذاتية(رمضان:2010،61)

ويراها السليماني على أنها "الإلمام بمعلومات أساسية مرتبطة بمواقف يتعرض لها المشاة والسائقين أثناء السير أوفي المواقف الطارئة والحوادث(الخلف:2005،59).

يعرف ياسين الثقافة المرورية على أنها " المعلومات المرورية كما يدركها الأطفال، وقد يطلق عنها أيضاً الوعي المروري، و يرتبط ذلك بأهداف نظرية وعملية عن التعليمات المرورية التي تضمن السلامة على الطريق سواء للمشاة أو السائقين أو المركبات(الخلف:59،2005).

نلاحظ مما سبق أن الاختلاف الطفيف في تلك التعاريف يظهر في اختلاف الباحث الذي تعرض للمفهوم، حيث هناك من عرفه بخصائصه البنائية (صلاح رمضان، السليماني) وهناك من عرفه بخصائصه الوظيفية (المعاني، وأديب محمد خضور).

ونلاحظ أيضاً أن المفهوم الشامل للثقافة أو الوعي المروري قد تعرض للمكونات الثلاثة للوعي بمفهومه العام (الوجداني، المعرفي، المهاري) بينما لا نلاحظ هذه المكونات في غيره من التعريفات للثقافة المرورية، كما نلاحظ أن جل التعاريف ركزت على ثلاث جوانب مرتبطة بالثقافة المرورية وهي سائقي المركبات، المركبات والمشاة.

يرى محمد خضور أن الوعي المروري "يمثل شكلاً خاصاً من أشكال الوعي فهناك ذات بشرية (السائقون والمشاة ورجال المرور...إلخ تتفاعل مع محيط خارجي أي واقع موضوعي له معطياته وقواعده ونظمه وقوانينه، إن معرفة معطيات هذا الواقع الموضوعي (المجال المروري) ومعرفة نظمه وقوانينه، ومن ثم السلوك المروري السليم في ضوء هذه المعرفة، هو ما يعكس الوعي المروري ويجسده" وهذا النوع من الوعي لا يحدث دفعة واحدة بل من مجموعة من المعارف والخبرات المتراكمة، التي يأتي بعضها من خلال التجربة والخبرة والممارسة والاحتكاك(خضور:10،2007) والتنشئة، حتى تصبح ثقافة يومية.

وقد اعتبرها عبد العزيز الهزاع على أنها نتاج للتوعية المرورية وهدف من أهدافها، لها أهميتها وأهدافها ومقوماتها، وأجهزتها ومحاورها أو القطاعات التي

ينبغي أن ينصب عليها. وأشار أيضاً أن وقوع حادث مروري في مكان ما نتيجة منطقية لنقص الوعي المروري لدى مرتكب الحادث.(الهزاع:39،2004).

ويشترط محمد خضور لكي يتحقق الوعي المروري أن يتضمن الآتي:

1. وعي واقع الأطراف المختلفة المعنية بالمسألة المرورية (السائقين، والمشاة، وصانعو المركبات ومهندسو الطرق...الخ).
2. وعي الآثار المتعددة لمشكلة المرور (النفسية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية).
3. وعي مسؤولية الجهات المعنية بمواجهة المشكلة المرورية وطبيعة الأدوار التي يجب أن تؤديها لمواجهة هذه المشكلة وحلها أو التخفيف من أثرها(خضور:13،2007).

نلالحظ من خلال هذه الاشتراطات التي أوردها محمد خضور أن الثقافة المرورية لا تقتصر على الطريق والالتزام بالقواعد المرورية المتعلقة به فقط بل يتعدى ليشمل الوعي بالآثار المترتبة عليها، إذ أن إحساس الفرد بخطورة هذه القضية يجعله أكث حرصاً على تجنبها والابتعاد عن مسبباتها.

يورد عادل الكندي، مجموعة من مظاهر الوعي المروري (الكندي:14،2006) والتي تتشابه إلى حد ما أورده محمد خضور من الاشتراطات الضرورية للوعي.

من خلال ما سبق عرضه يمكن تعريف الثقافة المروريةإجرائياً أنها: قدرة الفرد على المعرفة وفهم وإدراك الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية المتصلة بحركة السير والمرور وهى السلوك اليومي لمستعمل الطريق، لكل ما يحقق السلامة والأمن المروري.

ب:القيم:

القيم لغة: القيمة بالكسر واحدة القيم، وفي مختار الصحاح للرازي: "تقويم السلعة ،أي بيان قيمتها(البشير:3،2007).

أما المعنى الاصطلاحي للقيمة فقد تعدد بتعدد مجالات استخدامها في النشاطات الإنسانية، وأن كل معنى من هذه المعاني يتخذ خاصية المعيار للمجال الذي استخدم فيه، وهكذا ظهرت نظرية القيم أو علم القيم (Axiology). ويعزى ظهور هذا المفهوم إلى الفيلسوف الألماني "نيتشه"وتنحصر وظيفة هذه النظرية في القيام بتحليل طبيعة القيم ومعاييرها وتُعتبر وثيقة الصلة بكثير من العلوم ومنها الأخلاق(الزهران، 1977، ص32).

أما التعريف الإجرائي للقيم فيقصد بها الباحثان تلك الخلفيات و المعتقدات والسلوكيات التي يتعامل بها الفرد يومياً مع القوانين و الأنظمة المرورية

ج: السلوك المروري السلوك هو فعل أو أداء الفرد أو مجموعة من أفراد، قابل للملاحظة و القياس،وهو استجابة كلية مترتبة على تجربة سابقة،يبديها فرد ما تجاه موقف يواجهه و قد يكون السلوك فطري أو مكتسب. و السلوك المرور ي هو استجابة مستعملي الطرق (مشاة،سائقو السيارات) تجاه القوانين الرسمية و غير الرسمية التي تنظم حركة المرور(جرجس، كامل، 2004، ص23).

ثانياً: ثلاثية التواصل التكنولوجي: تتشكل هذه الثلاثية من النقاط الآتية:

أ) نمط جدير بالاستقدام و الاستخدام،وكانت السيارة تحقق هذا الهدف لأن هناك حاجة ماسة إليها،فضلاً عن فائدتها.

ب) وسيلة لنقل هذا النمط الجديد وهذه أيضاً متوافرة،حيث بواخر النقل وقطارات الشحن و غيرها،و معاهد العلوم و بعثات نقل التقنية يسرت إيصالها إلى مجتمعاتنا العربية.

ج) مجتمع ينقل هذه التقنية و يقبل على استخدامها، والمجتمع العربي أقبل على هذه التقنية، وهو أحوج ما يكون لها لقهر المسافات والسيطرة على مخاوف الطريق التقليدية، ومن هنا أصبحت السيارة سيدة الموقف وازداد عدد السيارات وانتشرت بين فئات المجتمع بشكل كبير، وأصبحت ظاهرة معتادة دون أي تقاليد عريقة تحكمها، بل أثرت عليها بعض أنظمة المجتمع

وعاداته وقيمه، مما جعلها تزداد خطورة ومن ثم تقل فاعليتها و فائدتها المرجوة(عبد الوهيد:14،2008).

بناءً على ما سبق، فإن هناك عوامل ومتغيرات اجتماعية، تؤثر في تبني التكنولوجيا تشمل خصائص وسمات الفرد، كما هناك خصائص تتعلق بمنظومة القيم الاجتماعية، تحكم أساليب استخدام السيارات و تحدد انعكاسات حجم السير و كثافة المرور التي تؤدي إلى حوادث كثيرة تنبع من الهوة أو الفجوة الثقافية " culture gap " بين قيم الفرد و شروط استخدام الآلة،مما يقود إلى حالة تشهد فيها الطرقات حوادث مؤسفة.

ثالثاً: مرتكزات المخترعات التكنولوجية:

من المناسب الإشارة هنا إلى أن أي مخترعات تكنولوجية أو تقنية هي في الأصل تقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

أ) فكرة الاختراع: وهي عبارة عن آمال و طموحات اجتماعية تبلورت في أذهان بعض أفراد المجتمع، فيبدع فيها أحدهم، ثم تعلن المرحلة الأخيرة للاختراع، و يسجل باسم مخترعه كما هو معروف (الفارسي:14،1990)

ب) التنفيذ التكنولوجي: وتتمثل هذه المرحلة في نقل الفكرة إلى حيز الوجود الملموس تم تطويرها وفق مقتضيات الاستعمال و قواعد الرشاد الاقتصادي،و ينطبق ذلك حتماً على السيارة.

فمثلاً عند اختراع المركبة كانت في الأساس تمثل خيالاً و فكرة تداعب الأذهان بأن يسير الفرد من مكان إلى آخر وهو جالس في مقعده وهكذا استغنى علماء الفيزياء والحركة والميكانيكا عن هذا الحلم، وتم تطويره إلى آلة الاحتراق الداخلي التي كانت بدايتها في تسيير أبطأ من الخيل و يسبقها رجل يجري و معه علم أحمر ومصباح مشتعل لينذر المارة بأن العربة قادمة، ثم تطورت الأنظمة المرورية مع تطور السيارة والعربات ذاتية الحركة، وقسم الطريق بين المشاة والسيارات وتغير نظام تصميم المدن

وأعيد تخطيطها وزاد اتساع الشوارع، ثم استحدثت الإشارة الضوئية،و حددت أماكن القوانين المرورية (الفارسي:114،1990).

رابعاً: المؤثرات القيمية على الثقافة المرورية:

يمكن تحديد إبرز المؤثرات القيمية التي تؤدي إلى مشكلات مرورية على النحو التالي(العوجي:1983،ص91):

أ) مشكلات مرتبطة بإدراك مفهوم الوقت، وهي قضية عميقة الجذور حيث قد يستغرق الفرد في مجالات أو أعمال تجعله ينطلق بمركبته في وقت ضيق وبسرعة كبيرة،خاصة وأن التكيف مع واقع المدينة باعتبار أن حياة المدينة ترتبط بالوقت أمراً لم تستوعبه القيم الاجتماعية، ولم تتكيف معه الأفراد وإن خضعوا له، فإنهم لم يستوعبوه، فالفرد قد يتجاوز السرعة المحددة أو الإشارات الضوئية أو يهمل في تفقد سلامة المركبة نظراً لضيق الوقت ولسوء إدارة برنامج العمل اليومي،مما يجعل الفرد يعرض نفسه و الآخرين للمخاطر.

ب) إن مشكلات التواصل الاجتماعي وتبادل التحية يساهم أيضاً في قلة الانتباه نحو الطريق، وتجاوز قواعد المرور ونسيان الذات في خضم السعي نحو إرضاء الآخرين و الوفاء بالاتزامات الشخصية.

ج) التفاوت الاجتماعي في المكانة جعل الأفراد يحملون ضغوطاً نفسية كثيرة، حيث أصبحت السيارة تمثل جزءاً من المظهر الاجتماعي، كما دُعمت القيم الاستهلاكية "consuming values"،ومن ثمة السلوك الاستهلاكي لديه وبالتالي امتلأت الشوارع بالسيارات وأصبحت حركة المرور بطيئة ومثيرة للأعصاب، وخاصة أن القيم الجماعية" group values" و احترام الدور لاتزال متداخلة مع قيم الفردية "individualistic values" و الريادة و المهارة ولم تتضح بعد قيم الخضوع للنظام وإعطاء الأولوية الآخرين (العوجي:1983، 91)

د) الأنظمة المرورية وعلاقتها بقيم المجتمع:الأنظمة المرورية كما هو معلوم وليدة فكرة وقيم وقوانين المجتمع، حيث أصبحت المركبات الآلية تحمل شقين بارزين هما المركبة التكنولوجية، ونظم سيرها وقواعد استخدامها، وقد انتقلت العربات إلى أماكن أخرى لم تنشأ فكرتها ولم تنفذ تقنيتها بواسطة أبنائها، وكانت الأولوية حسب استحقاقهم لها، الأمر الذي كثف من ازدحام الطرق بالسيارات، حيث نجد مثلاً في مدينة خنشلة، أفراد يقصدون وسط المدينة في أوقات الذروة دون أي ضرورة أو حاجة وإنما لغرض المباهاة بسياراتهم أو لقضاء حاجات تافهة لا ترتقي بأن تسمى بحاجيات(العوجي:91،1983).

هـ) التعامل مع الآلة بدون حرص أو إدراك لخطورتها، و الذاتية المرتفعة لدى الأفراد جعلت السيارة تصبح مصدر تهديد لسلامة وأمن الآخرين، حيث أن بعض الأفراد يضيفون ويحذفون من المركبة ما يريدون مما يخل بسلامتها وأدائها على الطريق.

و) قيم الذكورة "male values": لا زالت تأخذ تفسيرات خاطئة و منها إعطاء الابن الصغير سيارة لمجاراة أبناء الحي أو جيله أو لخدمة أسرته وهو غير مؤهل أساساً لهذه المرحلة وما تتطلبه من روية واتزان في السلوك (العوجي:91،1983) ونتائج هذا معروف لدى الجميع.

ز) الحديث مع المرافقين في المركبة"social and hospitality values":من الخصائص البارزة في المجتمع الجزائري الانفعال والمشاركة في الحديث باليد و الوجه واللسان، وهى أمور تعكس سجلات المرور نتائجها الوخيمة على مستعملي الطريق، كما أن إحلال قيم العمل والمسؤولية محل قيم الكريم والطوعية هي مرحلة لم تناقش بصورة جدية، ونادراً ما نجد سائقاً يقول أن الحادث كان بسبب إنهماكه في الحديث ونسيانه للطريق وأوضاع السير.

ح) الوساطة "nipotism values": تلعب أدواراً خطيرة في هذا المجال ففي أحيان كثيرة يتم التجاوز على مخالفي أنظمة المرور وتمنح رخص قيادة للصغار و ضعاف النظر وغير القادرين على قراءة مؤشرات السيارة وإشارات الطريق مما يجعل جزءاً كبيراً من مستعملي الطريق هم من الفئة التي لا يحق لها استخدام المركبات أساساً كسائقين، وذلك لعدم توافر شروط السلامة لديهم إلا أن عمليات التساهل الناجمة عن الوساطة كان لها تأثير كبير في العملية.

ط) الراجلين: من عابري الطريق من يرون أن انتظارهم لإشارة المشاة غير لازم لأن قائدي السيارات أيضا لا يلتزمون بذلك، خاصة وأن المناورة بالدوران إلى اليمين، مما يجعل اغتنام فرصة توقف السيارة أو مؤشر كاف للعبور و ليس نظام العبور ذاته من خلال الإشارات الضوئية(عبد الوهيد: دت،16).

ي) لعل مجمل الخلل يرجع إلى الهوة الثقافية، والتي تتمثل في أن التقدم التكنولوجي(الجوانب المادية) لم يصاحبه تقدم في الجوانب المعنوية والمعرفية للمجتمع مثل أنظمة السير وقيم التعامل مع الآلة ومع الآخرين و من ثم تظل قضايا التخلف المعنوية والقيمية تشكل عائقاً أمام الاستفادة من معطيات التكنولوجيا و من ضمنها السيارات، وذلك لسبب جوهري يتمثل في عدم الإعداد الاجتماعي قبل نقل التكنولوجيا، لأن التغير التكنولوجي يحتاج للمال وزمن قصير للنقل، فإن نقل القيم الاجتماعية لمسايرة التقنية هي قضية تستغرق زمناً طويلاً، كما أنها تحتاج إلى تضافر الجهود من قبل مؤسسات التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع و تربيتهم على الالتزام بها، وذلك لتنمية الوعي لديهم أولاً بمفاهيم السيارة، والطريق والسائق و الراجلين وثانياً تحديد حقوق وواجبات الأفراد والجماعات في استخدام تسهيلات التنقل ضمن ضوابط المصلحة العامة.

لا شك أن تجاوز تلك الهوة الثقافية والقيمية يستلزم غرس قيم الغيرية بجانب قيم الذاتية ثم بعد ذلك يمكن طرح مفهوم (سلامة الفرد من سلامة المجتمع)و(تنتهي حدود حريتك عند حرية الآخرين)، وكذلك تطبيق قوانين المرور وأنظمتها بطريقة حازمة وودية في نفس الوقت من خلال إدراك مفهوم (أن النظام المروري لحمايتك و ليس لمضايقتك) عندها يمكن إبدال قيم الفردية والأنانية ومعاداة رجل المرور و النظام، وغرس قيم الأمانة مع الذات، كما يمكن كذلك استبدال قانون القوة (السلطة) بمفهوم (قواعد النظام) وننتقل من مفهوم الثقافة المرورية إلى مفهوم المواطنة المرورية.

خامساً: ظاهرة النمو الحضري ومشكلة الثقافة المرورية في الجزائر:

إن النمو الحضري السريع بشقيه، واتساع نطاق العمران وزيادة عدد السكان والتحضر له تأثير مباشر على سلوكيات ساكني المدن الجزائرية، وذلك لأنه يظهر ميكانيزمات دفاعية لمواجهة ضغوط الحياة ومسايرة الحياة في المدينة كما يرى زيمل في نظرية المطروحة في الفصل الثاني من الدراسة، وقد عرفت الجزائر في العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولات عميقة كان لها الأثر الكبير على تغير النسق القيمي لدى المجتمع، وظهرت في المدينة أنماط سلوكية مخالفة للمجتمع، يراها البعض الآخر بأنها من تداعيات التمدن أو التحضر ونتيجة حتمية للحياة في المدينة، ومن بين هذه السلوكيات:

1/ ثقافة العصر(الجوهري:2007،ص303): وهي عبارة عن أنماط من السلوك والممارسات والعلاقات تعبر عن تخطي الواقع اليومي المعاش القاسي، وتنتشر هذه الثقافة في الأحياء الشعبية بشكل عام، ويحاول من خلالها قاطنو هذه الأحياء التعايش مع الظروف الصعبة والتغلب على الآثار النفسية للفقر، ومن مظاهر ثقافة الفقر:

- المبالغة في الإستهلاك والتظاهر على تخطي مرحلة الفقر.
- الخوف من المستقبل.
- إظهار مشاعر الرفض تجاه من يعيش في مستوى اقتصادي أعلى.
- تدني مستوى التعامل مع المرفق العام.

2/ عدم الاتساق في خط التقدم: الثقافة السائدة في معظم المدن الجزائرية هي ثقافة مستعجلة لا تقف على أرض صلبة، تسعى إلى التقدم ولكن بطريقة سريعة وتقفز على الأمور بخطوات سريعة وغير محسوبة ولا منسقة، وبالتالي تكون النتائج عكسية في كثير من الأحيان، فالتوسع الهائل في استخدامات المركبات الخاصة والعامة لم يواكبه ويتسق معه زيادة في حجم الطرق والبنية التحتية التي تستوعب هذه الزيادة الضخمة فضلاً عن تعقد مشكلة المرور وتلوث الهواء.

3/ ثقافة الزحام: الزحام من السمات التي يتميز بها الفرد الجزائري، سواء أكان ذلك في الطرقات والمركبات أم في مختلف الأماكن العمومية وهذا عند الأفراد، فنجد الكثير من مستعملي المركبات يتوجهون إلى المناطق المركزية في المدينة وفي أوقات الذروة دون أي فائدة ومصلحة، الأمر الذي يزيد عدد المركبات وبالتالي درجة الازدحام، ولا يخفى على أحد حجم الآثار النفسية وحدة القلق التي يحدثها هذا الأخير.

4/ ثقافة اللانظام: إن الازدحام المروري في الدول المتقدمة لا يؤدي بالضرورة إلى الفوضى، لأن الثقافة النظامية و القيم السائدة قادرة على أن يكون الازدحام مقبولاً، ففي مقابلة مع أحد سائقي الأجرة أشار إلى أن مشكلة الشارع في مدينة خنشلة هو عدم توفر النظام، وأعطى مثالاً على ذلك بأن الحجرة الصغيرة يستطيع أن ينام فيها عشرة افراد مستريحين إذا نظموا أنفسهم جيداً، إلا أن الكثير من سكان المدينة يستفيدون من حالة اللانظام ويعملون على بقائها واستمرارها لأنها تحقق لهم أهدافاً ومصالح خاصة، وإن كانت على حساب المصلحة العامة، في ظل غياب الرقابة أو نقصها من طرف الجهات المختصة، فالعقلية أو الثقافة اللانظامية السائدة تعكس انتشار ثقافة مرورية لم ترتق بعد حتى يمكن أن نصفها بأنها ثقافة.

5/ ثقافة اللامبالاة وعدم الإحساس بالآخر: وهي من أخطر الأنماط السلوكية ضرراً وتأثيراً على الثقافة المرورية في المدن الجزائرية، بل هي من السلوكيات التي يمكن أن تعصف بكل قيم المجتمع وذلك لأن اللامبالاة فكرتها قائمة على التأكد من عدم الحساب أو عدم التعرض للعقاب وفقدان الرقابة الحازمة، فكيف يعبر المشاة طريقاً رئيسياً وفي ميدان عام دون وجود إشارات تلزم السائقين بالوقوف، وهذا الخطأ يتشارك فيه الجميع، فالمسؤول ملزم بوضع الإشارة، والفرد عليه التصرف بحكمة وإظهار ثقافة مرورية راقية العبور من الأماكن المخصصة للراجلين أو تلك التي تحوي إشارات توقف السيارات.

الملاحظ أن سائقي المركبات بالرغم من أن بعض الأماكن ذات كثافة مرورية عالية بالمشاة، إلا أنهم لا يحاولون إنقاص سرعة سياراتهم أثناء سيرهم في هذه المناطق أو وقوف السيارات على الأرصفة المخصصة للمشاة، أو سير المركبات بطريقة ترعب الجميع حتى الشرطي، أو عدم إحساس الشباب بحاجة كبار السن والمعوقين بالمرور بتأني، فأصبح التعامل بين الأفراد كما أنهم يتعاملون مع أشياء وليسوا أشخاصاً.

6/ ثقافة الاستسهال: وتتمثل في استصغار الأمور وعدم الاكتراث للعواقب خلال مخالفة قوانين المرور، فمثلاً بعض سائقي المركبات يستصغر أو يتهاون في وضع حزام الأمان ويعتبره غير ضروري ولا قيمة له، أو يتجاوز الضوء الأحمر أو يتوقف على جوانب الطرقات في الأماكن المزدحمة، دون الاكتراث للقانون، ويرى في عمله أنه لا يشكل أي مشكلة، ولكن العبرة ليس في نوع المخالفة وإنما العبرة في مخالفة القانون نفسه، وعليه فإن اكتساب ثقافة الاستسهال يجعل الأفراد لا يعترفون بأخطائهم ويعتبرون أنفسهم دائماً مظلومين، ويظهر ذلك عندما يحاول مثلاً شرطي معاقبة صاحب المركبة المخطئ، فيظهر هذا الأخير وكأنه في صورة المظلوم، والغريب في الأمر أنه يكسب تعاطف الكثير من الحاضرين!

7/ ثقافة ضعف الانتماء العام: ويتمثل في الانصراف عن الاهتمام بهموم المواطن، بل امتد إلى عدم الإحساس بالآخر –أيا كان هذا الآخر- ويؤدي ذلك إلى الشعور بالعزلة والتعامل بأنانية وعشوائية، فلا نظام أو قانون في التعامل مع المرافق العامة ولا مع قانون المرور ولا مع أعراف المجتمع، ويؤدي ذلك إلى ضعف منظومة الالتزام الذاتي عند الأفراد.

إن ضعف رموز السلطة الاجتماعية مثل الأب، المدرس، ورجال الشرطة، سواء تعلق الأمر بتقاعس بعض أعوان الأمن العمومي في تطبيق القانون أو في تساهلهم مع مستعملي الطريق، كل ذلك يعد مؤشراً على تفكك المجتمع وانهيار النسق القيمي له، وهما ركيزتان أساسيتان في التنشئة الاجتماعية،والمحقق أن لكل نمط من الثقافة أو السلوكيات التي ذكرناها سلفاً لها من التأثير على الثقافة المرورية في المدينة مما لا يترك مجالاً للشك، فتصور إذا كانت تلك الأنماط الثقافية السلوكية مجتمعة وتتداول بامتياز في أوساط فئات متنوعة لمستعملي المركبات، فمستوى ثقافة المرور في الجزائر يمكن قياسه بحجم المخالفات والتصرفات اليومية التي يعرفها ساكنو المدينة الجزائرية، وفي هذا الإطار أكد السيد مسعود ناصر نائب مدير حركة المرور بوزارة النقل أنه "ينبغي أن يكون هناك برنامج وطني لجميع مدارس تعليم السياقة، كما يجب تطبيقه على المستوى الوطني، كما أكد على أهمية إجراء عملية تقييمية من جوانب عدة منها: الوسائل المتوفرة والتطبيق لقانون المرور والنقائص الملاحظة".

من الملاحظ أن تكوين السائقين يفتقر إلى خطة بيداغوجية تأخذ في الحسبان الخصائص النفسية والاجتماعية للمترشحين والمستوى الثقافي والوعي لديهم، بل حتى المشرفين على امتحانات السياقة يفتقدون لتكوين جيد أو لايولون أهمية لأخلاقيات المهنة، فعليه فلابد من إعادة النظر في منظومة التكوين والمعايير التي ينبغي أن تتوفر في المترشح وحتى المؤطر، والمشرف على الامتحان، وتعتبر الإجراءات التي

تتخذ على الميدان كسحب رخصة السياقة وحملات التحسيس غير كافية، وكذلك لابد من إعادة النظر في التنظيم الحالي للأمن المروري برمته في سبيل إعداد سياسة وطنية وقائية للأمن المروري. فضلاً على أن القوانين التي يتضمنها التشريع الوطني في هذا المجال لم تستطع ردع المخالفين.

خاتمة:

رغم الإجراءات المتخذة كصدور مخططات استعجاليه في الجزائر العاصمة ومختلف المدن الكبرى، ويتعلق الأمر هنا بلامركزية ميناء الجزائر العاصمة الذي يضم أكثر من 70٪ من الحاويات من خلال استحداث موانئ جهوية وفتح حوالي 12 موقفاً ضخماً وإنشاء مستودعات جهوية لفائدة وكلاء تسويق السيارات، إلا أن مختلف المدن الجزائرية تشهد يوميا ازدحام مروري ومخالفات تكدر وتنغص الحياة في المدينة.

و بالنظر كذلك لتجارب بعض الدول العربية والغربية والتي تتمتع بموارد مالية طائلة وبنية تحتية جيدة وإرادة سياسية قوية كالإمارات العربية المتحدة وألمانيا على سبيل المثال لا الحصر، إلا أن هذه الدول لم تتمكن من القضاء نهائياً على مشاكل المرور وما زلنا نسمع إلى حد اليوم عن ازدحامات مرورية بالساعات وحوادث مرورية مميتة رغم ما سخرته هذه الدول من خطوط نقل ومواصلات متعددة وأجهزة مراقبة صارمة مجهزة بأحدث الوسائل و العتاد.و عليه فالمراهنة على الحلول التنظيمية المادية التقنية البحتة هي مراهنة خطيرة إن لم نقل خاسرة و محسومة النتائج.

وكبديل لتلك الحلول يمكن المراهنة على الجانب القيمي والثقافي للأفراد، والوصول بهم إلى أعلى درجات مستوى الثقافة المرورية وهي المواطنة المرورية، وتعتبر الصين من الدول الرائدة في هذا المجال، إذ أن بلد تجاوز عدد سكانه ثلاثة مليارات وثلاثمائة نسمة، و لا نسمع بكوارث مرورية و ازدحامات مرورية هذا يعني الكثير، ويعني بأن هناك عبقرية ومعجزة في تنظيم النقل والمرور بالمدن الصينية.

و المواطنة المرورية هي "أن تمتلك السيارة،لكن لا تمتلك الحرية في استعمالها كما تشاء".

الهـــوامـــش:

1. ابن منظور، 2005، لسان العرب، المجلد الرابع عشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، طبعة.
2. ابن نبي مالك، ،2000،مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق.
3. البشير محمد بشير محمد، القيم الحضارية،مفهومها و أهميتها، 2007، مجلة دراسات دعوية، جامعة افريقيا العالمية، السودان، العدد 15، ص3
4. الجوهري محمود، الشكري علياء، 2007، في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، .
5. الهزاع عبد العزيز، 2004، برامج مدارس تعليم السيارات ودورها في زيادة الوعي المروري (دراسة تطبيقية على مدارس تعليم قيادة السيارات علانية الرياض، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
6. الفارسي فؤاد، 1990، الحداثة و التقليدية، كيجان بول أنترنشينال، لندن.
7. الوهيد محمد سليمان، القيم الاجتماعية و أثرها على مشكلة المرور، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود ص ص4- 8.
8. الخلف عبد الله، 2005، دور أفلام التوعية المرورية في رفع مستوى الوعي المروري، رسالة ماجستير غير منشور جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
9. العوجي مصطفى، 1983، الأمن الاجتماعي، مؤسسة نوفل للطباعة و النشر لبنان، د.ط، .

10. الخضورأديب محمد، 2007، حملات التوعية المرورية العربية العدد (416) جامعة نايف للعلوم الأمنية الرياض.

http://bohoot.blogspot.com/201411 -

المعتقدات الشعبية وأثرها على الأسرة السودانية

د.الماحي أدونا أمينا
قسم الاجتماع – جامعة دنقلا

د.على صديق حاج حمد
قسم الاجتماع - جامعة النيلين

مقدمة:

إن المعتقدات الشعبية بالنسبة للأسرة السودانية تمثل في كثير من الأحيان قيم يتطلب من الباحثين في علم الاجتماع والفولكلور ورجال الدين والإعلام تفحصها حتى يتمكنوا من ترشيدها، لأن هذه الممارسات حقيقة واقعية ملموسة وقيم اجتماعية يمكن الرجوع إلى جذورها التاريخية والثقافية للوقوف على وظائفها الاجتماعية.

تلك المعتقدات حتى إذا تبين أنها غير ملائمة ولا تستوعب التغير الاجتماعي، من الضروري العمل على استبدالها بغيرها بشيء من التسامح بعيداً عن محاولة إلغائها أو محاربتها بالقوانين المدنية، فهذه المعتقدات أصحبت من القيم وجزءاً من التراث الثقافي الموروث، وبالتالي فإن الإبقاء عليها مع ترشيدها أمر مقبول، لأن محاولة القضاء عليها أمر مستحيل.

يحاول هذا البحث الكشف ومعرفة عما إذا كانت هذه المعتقدات الشعبية التي تتمثل في الولي والسحر، الكجور والزار لها آلية الاستمرار في البناء الأسري مع التغير الاجتماعي السريع الذي يسود في المجتمع السوداني شأنه شأن المجتمعات الأخرى.

مفاهيم البحث:

يستخدم هذا البحث مفاهيم: المعتقدات الشعبية، الأسرة، التغير الاجتماعي، الولي، الفكي، السحر، الكجور، الزار.

المعتقدات الشعبية:

يقصد بها الممارسات التي يؤمن بها الشعب بكافة طبقاته الاجتماعية ومستوياته الفكرية والتعليمية فيما يتعلق بالدين والنظرة إلى الكون والحياة الاجتماعية، وأن تكون هذه الممارسات موجهة إلى جهة اعتقاد ما مثل: الولي، السحر، الكجور والزار، والاستناد بشكل أساسي على اعتقاد في تلك الجهة وصادرة عن ذلك

الاعتقاد (الأمين، 2008: 183)، وصفة الشعبية للمعتقدات في الدراسات الفولكلورية وصف لمختلف أشكال التعبير عموماً، مثلما تستخدم عبارات العادات الشعبية والحياة الشعبية وغيرها.

فلا بد من التفرقة بين العقيدة الدينية في جوهرها والمعتقد الشعبي في صلته بها، فالعقيدة الدينية لها نصوصها الثابتة غير قابلة للتغير أو الزيادة والنقصان، وهي تقوم على الفكرة الدينية المنزلة والمنسوبة إلى القوة الإلهية، بينما المعتقد الشعبي يقوم على فكرة الإنسان حول العالم ومدركاته وما يتصل بها من حركة خفية غير متطورة في كثير من الأحيان وهو يستعين في تفسيرها وفحصها أو تقليدها أو تغييرها وتسخيرها كمنفعته أياً كانت بالتمثيل الديني أو التصرف السلوكي تجاهها أو حتى إعطائها الصبغة الدينية ليسهل التعامل معها (محمد، 2010: 120).

كما أنه ليس بالضرورة أن المعتقدات الشعبية نابعة من أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الإلهام، فقد تكون أصولها معتقدات دينية رسمية إسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ثم تحولت في صدور الناس إلى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال، فلم تعد بذلك معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح، أي أنها لا تحظى بقبول وإقرار رجال الدين الرسميين، وكان يطلق على هذه المعتقدات في الماضي خرافات، وكذلك الحال في اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية كان يطلق عليها (Superstition) ثم أصبحت تسمى المعتقدات الشعبية Beliefs Folk(الجوهري، 1980: 21).

الأسرة:

تعني في اللغة: أهل الرجل وعشيرته، وفي الاصطلاح الشرعي الجماعة المعتبرة نواة المجتمع، تنشأ برابطة زوجية بين الرجل والمرأة، ثم يتفرع عنها الأولاد وتظل ذات صلة وثيقة بأصول الزوجين من أجداد وجدات، وبالحواشي من أخوة وأخوات، وبالقرابة القريبة من الأحفاد والأسباط، والأعمام والعمات، الأخوال والخالات وأولادهم (الغتامي والمنذري، 2014: 324).

يقوم نظام الأسرة في الإسلام على التشريع السماوي في كل جوانبه مرتبطاً في ذلك بقضية الخلق من نفس واحدة وخلق زوجها منها، وتكوين الجنسين الذكر والأنثى الذين تقوم عليهما الحياة، وتؤكد حقيقة الخلق أن نظام الأسرة في الإسلام يستند إلى هذا المبدأ العقائدي الذي يجعل من الأسرة نظاماً محكوماً بتوجيهات الخالق (مكاوي، 2010: 140)، وفي مقابل الحق الفردي في المفهوم الغربي يأتي الواجب الديني، وفي مقابل الحرية المنفلتة من أي ضابط تأتي المسئولية الأخلاقية، بينما يتم إشباع اللذة بالممارسة الحرة بوصفها حقاً مدعوماً بالحرية في الرؤية الغربية، ويكون إشباع اللذة في الرؤية الإسلامية بالزواج فقط، ويتحمل مسئولية المساهمة في بناء المجتمع الصالح، وفي تشكل اللذة الجنسية نمط حياة الغرب (الغتامي والمنذري، 2014: 325).

التغير الاجتماعي:

تدل كلمة تغير في اللغة العربية على معنى التحول والتبدل، فتغير الشيء هو تحول هذا الشيء بغيره، ويشير المصطلح change في اللغة الإنجليزية أيضاً إلى معنى الاختلاف في أي شيء يمكن ملاحظته في فترة زمنية معينة (الجولاني، 1997: 10).

يعرف التغير الاجتماعي في قاموس علم الاجتماع بأنه أوضاع جديدة تطرأ على البناء الاجتماعي والعادات وتقاليد المجتمع نتيجة لتشريع قاعدة جديدة لضبط السلوك، أو كنتاج لتغاير إما في بناء فرعي معين أو جانب من جوانب الوجود الاجتماعي أو البيئة الطبيعية أو الاجتماعية (غيث، 2006: 382)، ويذهب جينزبيرج Ginsberg إلى أن التغير الاجتماعي هو كل تحول يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدوار اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن (Ginsberg, 1997: 40).

يعرف السيد الحسيني التغير الاجتماعي بأنه يشير إلى كل تحول يطرأ في مجتمع من المجتمعات خلال فترة زمنية محددة يصيب الأنساق والنظم والظواهر الاجتماعية سواء كان ذلك في البناء والوظيفة، كما أنه يشمل أيضاً التغير في السلوك والأفكار والمعتقدات (الحسيني، 1991: 267).

مما سبق وبصدد هذا البحث نقصد بالتغير الاجتماعي كل تحول يحدث في البناء الاجتماعي للأسرة، والأدوار الاجتماعية للأنساق والنظم، والأفكار والمعتقدات الشعبية مع استمرار بعض جوانبها.

الولي:

يستخدم مصطلح الولي في هذا البحث كما هو مستخدم عند عامة الناس وهو معروف، أن الأولياء هم بعض الصالحين الذين يتميزون بالتقوى عادة ويظهرون من الكرامات ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية هذا، فالأولياء من وجهة النظر الدينية هم الذين كانوا في حياتهم لله عباداً مخلصين، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله، ولم يرفعوا أكف الضراعة إلا إليه، وقد كانوا يدعون الناس إلى هدي الله وشرعه (الأمين، 2008: 186).

هنالك خصائص كثيرة مميزة للولي في المعتقد الشعبي يمكن أن نوجزها في الآتي:

1. الترخيص: فالولي في المعتقد الشعبي لابد أن يحتاج إلى رخصة من السلف حتى يتسنى له أن يصير ولياً، وتلمح ذلك في ما يعرف بأخذ الطريق أو الأساس، كما أن هنالك تدرج في الولاية ومقامات وفئات شتى ومستويات متباينة.
2. أن الولي يحصل على هذا اللقب أو الوظيفة الدينية في الغالب عن طريق الوراثة، وأحياناً قد ينصب الفرد ولياً على إتباع طريقة خليفته، وليس من الضروري أن يكون الولي ذكراً، فهنالك عدد كبير في السودان من الأولياء من النساء، ولكن يشترط هنا أيضاً عنصر الوراثة والانتماء إلى طريقة الأسلاف.
3. أن طقوس الموت في حالة الأولياء تختلف عن تلك التي تمارس في موت الإنسان غير الولي، كما أن قبورهم غالباً أن تكون هنالك أضرحة وقباب وأماكن زيارات وصلاة بجوار هذه القبور، وتذبح حولها القرابين وتقام الاحتفالات ويتبرك بها الناس وما إلى ذلك من ممارسات تسندها كثير من المعتقدات.

كما يوجد في المجتمع السوداني معتقد شعبي شبيه بالولي وهو يعرف بالفكي ويمارس دور الوساطة بين الأنس والقوة الإلهية، ومثله ذلك أيضاً الاعتقاد في رجالات وشيوخ الطرق الصوفية باعتبارهم صادقين في وساطتهم بين الأتباع والمريدين بين الله سبحانه وتعالى من جانب آخر (محمد، 2010: 121)، ونجد أن الفئة التي تعتقد في الفكي تكمن في السن العمرية (25-35) سنة، ويكثر لدى النساء خاصة فيما يتعلق بمشكلات الزواج والطلاق والعين أو الحمل أو الصداع المزمن، ويستخدم الفكي الآيات القرآنية أو كتاب معين برموز خاصة في ورقة، وقد يزيل الألم لأن المتردد لديه إيمان اعتقاد قوي بالفكي أو الفقير (حاج حمد، 1997: 45)، ويلاحظ من تلك الفئة العمرية، هي مرحلة الشباب المتأخرة للفتيات في الزواج، الأمر الذي يدفع بعضهن اللجوء إلى الفكي لإيجاد حظها من الزواج.

السحر:

السحر في المعتقد الشعبي هو حرفة يقصد منها إحداث الخوارق بأساليب غير مرئية وغير محسوسة، تقوم على أساس استخدام بعض المواد وإجراء بعض الطقوس والتعاويذ spells لتحقيق أهداف أو أغراض معينة بوسائل لا تخضع للضبط والملاحظة الحسية، والساحر في حد ذاته هو الذي يقوم بممارسة تلك الطقوس والأشياء لحل مشكلات الأفراد أو الجماعة الذين يترددون عليه(حاج حمد، 1997: 43)، ويمكن توضيح مفهوم السحر بتعريف ريموند فيرث، حيث أنه يرى أن السحر عبارة عن طقوس تتمثل في المعاملات الشخصية، ويوضح فيرث أن السحر هو أداة هامة جداً من أدوات الضبط الاجتماعي وله غاية العالمية أو نظرية لتحقيق الرفاهية.

أما "إيفانز بريتشارد" فيعرّف السحر بأنه عبارة عن اعتقاد الإنسان البدائي في وجود قوة فطرية وراثية وعضوية لدى شخص يستطيع بواسطتها أن يلحق الأذى بالآخرين بوسائل غير ملموسة ولا يمكن ملاحظتها، أيا كانت المسافة بينه وبينهم ويشترط أن يشعر بدوافع عدائية نحوهم، والسحر في التصور الشعبي يأتي من ثقافة المجتمع ذاته، حيث أن الشخص الذي يزاول السحر أو يؤمن به يعتقد في وجود روح

تساعده على التحكم في البيئة المحيطة به وتخضع لمشيئته فهي مسخرة له، ولذا فإن الساحر لا يعبدها ولا يقدسها بل تكون تحت أمره متى ما عرف طريقة الاتصال بها (الجوهري، 1980: 196)، وهنالك نوعان من السحر هما:

1. السحر الرسمي أو المحترف وهم فئة محدودة من الناس أي السحرة المحترفين، وهم معروفون لدى جميع أفراد المجتمع، وهنالك علاقة خصوصية بين الساحر والمتردد عليه ولا يصرح المتردد بأي شيء عنه، وغالباً ما يُمارس السحر في سرية.
2. السحر الشعبي ملك للجميع للجدة وللأم وللأسرة كلها تعيشه في الحياة اليومية، وتتمثل أشكال السحر الشعبي في السحر للإنتاج ويدخل فيه سحر الصيد وخصوبة التربة، وهذا الشكل شائع كثير في الأنشطة الاقتصادية والإنسانية مثل سحر جلب الأمطار أو ما يسمونه في بعض المجتمعات بصانع المطر(Rain Maker)، وهنالك نوع ثاني من السحر يعرف بالسحر الأبيض وهو للوقاية يقوم به أفراد متخصصون، كما يوجد نوع ثالث وهو السحر الأسود أو التدميري عبارة عن ممارسات سحرية موجهة نحو إلحاق الأذى بالآخرين، ويقوم به شخص إذا تعلم ذلك النوع لجلب الأعاصير وغيرها من الكوارث، ويمكن القول أن في المعتقد الشعبي السحر الأسود لا يضر إلا الذين مارسوه لإيذاء الآخرين، وأيضاً هنالك نوع رابع من السحر الشعبي هو سحر الشفاء من الأمراض ويحقق رفاهية الإنسان.

الكجور:

ورد في قاموس اللهجة العامية في السودان أن الكجور هو ساحر وزعيم روحي لدى كثير من القبائل في جبال النوبة بجنوب كردفان وبعض المناطق الأخرى في جبال الأنقسنا بمنطقة النيل الأزرق (قاسم، 1972: 655).

يلاحظ من ذلك التعريف ربط الكجور بعالم السحر، وهو رابط سائد في معظم مناطق السودان وبخاصة شماله، ولكن الكجور في المعتقد الشعبي عند النوبة ليس بساحر لأنه يفعل الخير ولا يضر الناس، كما هو الحال أن الساحر عندهم هو

المختص بعالم الشياطين والعالم السفلي، بينما الكجور متعلق بعالم الإله أي عالم السماء (أمينا، 2004: 133)، ولفظ سحر هو اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات في مقابل مساعدة الشيطان له وطاعته فيما يطلب منه (عبد السلام، 2000: 13).

رغم شيوع مصطلح الكجور في اللغة القومية في المجتمع السوداني، إلا أن جماعات النوبة لا تزال تعرف الكجور بأسماء مختلفة نسبة لاختلاف ألسنتهم، فجماعة النيمانج يطلقون عليه (كوني) وعند جماعة ميري (تامصلا)، عند الكواليب (بل أو بيل) وعند الغلفات (أرو) ويعرف الكجور بجبال تلشي عند جماعة كارلنجا باسم (يورافانتا).

الكجور في مجتمع النوبة هو الشخص الخبير الذي بواسطته يقوم الوسيط الروحي بمهامه نحو البشر والبلاد معاً، مثلاً إرشادهم إلى ما فيه نجاتهم من المصائب، مثل القيام بأداء الطقوس والأسبار المختلفة، والهدف من السبر عند النوبة هو تطهير النفس أو البلاد من الكوارث والمصائب بصورة تقليدية، أو يتم عن طريق توجيه الدعاء للإله (الخالق) عن طريق الآباء أو الأسلاف الميتين، وبهذه الوظيفة الدينية المقدمة نال الشخص (كجور) صفة الزعامة الروحية (أمينا، 2004: 139)، ويشير بعض الباحثين إلى أن الكجور هو المرشد وحافظ الأسرار التي تتعلق بعالم الأرواح وهو مستشار المجتمع وجالب الخير ورافع الشر عنه.

الزار:

يرتبط بالزار الاعتقاد في الريح الأحمر ما يسمى بالدستور والمشاهرة أي العين الساحرة وسكون الأرواح والنفوس الشريرة في بيوت النمل والأشجار الضخمة والمناطق المهجورة وغيرها (محمد، 2010: 121)، وهنالك عدد من الأرواح أو الأسياد المعروفين لدى حلقات الزار ويطلق عليها، الست، السودانية، السلطان، الحبشية، سلطان وساما، حيث تستخدم في ممارسة الزار ملابس خاصة لهذه الأرواح أو الشياخات من الصوف والذهب، الفضة والخرز(حاج حمد، 1997: 46)، وتعد منطقة النيل الأزرق

خاصة في مدينة الدمازين وحولها أكثر المناطق التي تمارس فيها احتفالات وطقوس الزار.

الثبات والتغير في المعتقدات الشعبية بمجتمع البحث:

تميزت الثقافة السودانية باستمرارية معتقداتها الشعبية لفترات تاريخية طويلة، ذلك أن التطور التاريخي للسودان مع أنه استغرق قروناً عديدة وتطور عبر حقب تاريخية وسياسية متعددة، إلا أن الموروث الثقافي الشعبي لم ينقطع بل سار على نهج تراكمي استمراري، وقد أدت هذه الاستمرارية إلى شكل من أشكال المحافظة الثقافية التي تتمحور حول قيم ثقافية بمعتقداتها الشعبية(النقرابي، 2000: 3).

يلاحظ أن ذلك الشكل الثقافي المميز قد استطاع أن يستوعب الكثير من المؤثرات الثقافية التي تعرض لها السودان، بل استطاع أن يشكل الكثير من سمات الثقافة الآتية من خارجه لتلائم المنظومة الثقافية والمعتقدات المحلية، ولعلنا نلاحظ أن دخول الإسلام والعربية في السودان كان تلقائياً وتمازجاً للأعراف والمعتقدات الشعبية التي لا تتعارض مع ثوابته، ولعل هيمنة القطاع الريفي في المجتمع السوداني حتى فترة ما بعد الاستقلال سبباً في المحافظة على هذه المعتقدات الشعبية المميزة، إلا أن الخلخلة الواسعة والكبيرة في هذا القطاع خلال العقود الأخيرة، قد أدت إلى تغير سكاني كبير تمثل في معدلات واسعة من الهجرة من الريف إلى المدينة ومن ثم تغير اجتماعي كبير بالريف والمدينة على حد سواء له الكثير من الانعكاسات (النقرابي، 2000: 3)، الأمر الذي أدى إلى تغير بعض عناصر المعتقدات الشعبية خاصة في المجتمع الحضري.

إن التغير الاجتماعي السريع الذي يشهده المجتمع السوداني منذ العقد الأول من الألفية الثالثة، شأنه شأن أي تغير اجتماعي ذو مدى واسع قد أثر على البناء الأسري بصورة واضحة، وتعد الأسرة الممتدة هي الأكثر انتشاراً، حيث الأم والأب والأبناء وأقارب آخرين مثل الجد والجدة، وبذلك يمكن القول إن الأسرة السودانية أسرة ما زالت تحتفظ بالشكل التقليدي (حاج حمد، 1997: 16)، ورغم التغيرات التي طرأت على الأسرة الممتدة وبروز الأسرة النووية في المجتمع الحضري، وكان لهذا التغير أثره

في وظائف الأسرة السودانية، فبدل أن كانت جميع الوظائف محصورة لشخص رب الأسرة أخذ المجتمع الجديد ينتزع منه الوظائف، الأمر الذي أدى إلى الانعكاس الإيجابي والسلبي على اتجاهات أفراد الأسرة نحو المعتقدات الشعبية.

الممارسات للمعتقدات الشعبية في مجتمع البحث:

السودان بلد متعدد السلالات واللغات والديانات والنشاطات الاقتصادية، وبالتالي فإن ثقافته مركبة أي أنها هجينية ذات سمات وملامح أفريقية وأخرى عربية إسلامية مسيحية، وبذلك المجموعة الهائلة من القبائل والأعراف والتقاليد الضاربة في القدم، خاصة وأن لكل مجموعة منها لها من العادات الشعبية والقيم الاجتماعية والمعتقدات الدينية، وظلت كل مجموعة تحافظ على معتقداتها لأن جذورها تاريخية، ومن الخطأ تجاهلها أو احتقارها أو مهاجمتها، ولا بد من أخذها على أساس أنها نوع من الثقافة culture، وقد كان للمعتقدات الشعبية حتى في المناطق التي يمكن أن نطلق عليها حضارية أثر كبير في سلوك الأفراد سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة وعلى وجه التحديد في الأسرة (حاج حمد: 42).

ففي المجتمع الريفي نجد أن المعتقد الشعبي يأتي في سياق الحدث الجماعي أو الفردي، فكثيراً ما نجد أن إيمان الفرد كذات مستقلة عن غيرها وقناعته ما يدفعه لانتظار النتيجة التي في الغالب تكون صحيحة، على سبيل المثال لذلك الشخص الذي استيقظ من نومه وفمه معوج وعلى الفور جاء من يقرأ له بعض التعاويذ وبعد ذلك ذهب إلى الطبيب، الذي قام بفحص حالته الصحية وإعطائه الأدوية، فإذا حل المساء إلا والمريض قد شفي، ففي هذه الحالة يؤمن أن التعاويذ كانت سبب شفائه، ويصبح المعتقد في هذه الحالة إيمان جماعي (حاج حمد، 1997: 42)، وبحكم تداخل وترابط العناصر والمؤثرات الداخلية والخارجية المكونة للمعتقدات الشعبية في المجتمع السوداني نستعرض منها نماذج فيما يلي:

النموذج الأول: الاعتقاد في الولي

المعتقد الشعبي حول الولي أنه يستطيع ممارسة ألوان وصنوف عديدة من المعجزات والإتيان ببعض الكرامات، ولا نستطيع ولا أعتقد أن أي أحداً يستطيع حصرها جميعاً، فذلك أمر عسير فوق أنه غير مطلوب، ولعل من أشهرها: مخاطبة الأولياء الموتى، تجفيف البحر والمشي على الماء، والقدرة على تحويل الأشياء، مثل تحويل الماء إلى عسل، قطع المسافات البعيدة في لمح البصر، مخاطبة الحيوانات وغيرها من عناصر الطبيعة (الأمين، 2008: 188).

كما يعتقد في الولي بأنه يقوم بشفاء الأمراض بمختلف الوسائل، وإخضاع الحيوانات المتوحشة، التواجد في أكثر من مكان في الوقت نفسه، تلبية دعوة من يلجأ إليه من الناس في أي أمر من الأمور، التنبؤ بالكوارث أو بالغيب ومعاقبة الله لمن يهين الولي أو يعتدي عليه وخلافه (الأمين، 2008: 191).

يلاحظ في معرفة التصور الشعبي حول الولي محاولة الإنسان الشعبي إضفاء طابع إسلامي على تصوراته، مثل ربط هذه التصورات بالرسول عليه السلام أو الخلفاء أو الصحابة أو التابعين، وذلك يعكس مدى عمق هذا التصور في نفس صاحبه، كما يشير إلى محاولة العقلية الشعبية تقريبه إلى الإسلام أو إضفاء الصبغة الإسلامية عليه.

كما هنالك اعتقاد شعبي أساسي في المجتمع السوداني حول الفكي هو العلاج الذي يوصى به، ويكون العلاج الذي يوصى به بطرق مختلفة، أحياناً بالكتابة "المحاية" أي كتابة بعض الآيات القرآنية ومعها بعض الرموز التي لا يعرفها غير الفكي في لوح من الخشب تذاب الكتابة في كوب من الماء يشربها المريض المعالج أو في شكل حجاب مكتوب في ورقة ومغلف بالجلد يعلق حول الذراع أو الوشاح، وأحياناً على الرأس إذا كان المريض يعاني من ألم في رأسه، كما تكتب الحجابات للوقاية من الشرور والمصائب العارضة، كالوقاية من قطع السكين والحديد (حاج حمد، 1997: 49).

حياة الفكي في دار حمر بغرب السودان هو المعلم "التقابة"، فهو يقوم بذلك الدور في علاج المرضى، وبجانب الفكي يرتاد الحمر في غرب السودان ضرائح للأولياء الصالحين الذين يعتقدون فيهم أنهم يجلبون الخير والبركة.

أما في مجتمع الفور بدارفور يُطلق لفظ الحجاب على نوعين من المعتقدات مبني على أسس دينية، الأول ما يعرف "بالورقة" وهي عبارة عن كتابة بعض آيات القرآن الكريم وعبارات أسماء لا يعرفها إلا ممارسيها على ورقة بيضاء بحبر من مادة سوداء مخلوطة بالصمغ والماء، كما تكتب نفس الآيات والعبارات في لوح من الخشب يصب عليها ماء ثم توضع في إناء يشربها المريض وهو ما يعرف "المحاية"، أو في شكل حجاب مغلف بالجلد يلبس في الرقبة أو في أحد اليدين أو في الوسط وبعضهم يضعه في الرأس أو الأرجل آخر الحجلة، ومن الحجابات الهامة عند الفور ورقة الحماية من السلاح، وورقة حماية الفتيات والصغار من العين والعوارض (حاج حمد، 1997: 52).

بينما ظهرت أهمية دور الفكي في مجتمع النوبة بعد انتشار الإسلام، وصار الفكي يتبوأ مكان الكجور الذي أصبح لا يحظى بدور كبير للاستعانة به في علاج بعض الأمراض مثل السحر خاصة في مجتمع المدينة، وهذا يعزى إلى تزايد الوعي الديني لدي أفراد الأسرة، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم (1)

دور الفكي في إذا اعتقد أن شخصاً عمل سحراً للفرد لدي جماعات النوبة

إذا عمل لك شخص سحر(العمل) ماذا تعمل	العدد	النسبة
أذهب للكجور	4	٪2
أذهب للعراف (ست الودع)	2	٪1
أذهب للفكي	33	٪16.5
اتجه إلى الله بالدعاء للخلاص منه	153	٪76.5
أخرى حدد	8	٪4
المجموع	200	٪100

المصدر: أمينا، 2004، ص207

يتضح من الجدول رقم (1) أن الدراسة التي أجريت عن التغير في البناء الاجتماعي لجماعات النوبة بالعاصمة القومية السودانية أوضحت أن غالبية النوبة في ردود أفعالهم تجاه إصابة الإنسان بالسحر أو الأمراض النفسية والعقلية والعصبية يتوجهون إلى الله بالدعاء للخلاص منه وهم يمثلون نسبة 76.5٪، أما الذين يذهبون إلى الفكي يمثلون نسبة 16.5٪، بينما الذين يذهبون إلى الكجور يمثلون نسبة 2٪، أما الذين يذهبون إلى العراف فيمثلون نسبة 1٪، ومن الأفراد الذين يلجأون للتخلص من عمل السحر بطرق أخرى تتمثل في شيوخ الطرق الصوفية أو حفظة القرآن الكريم هؤلاء يتمثلون نسبة 4٪.

النموذج الثاني: الاعتقاد في السحر

هنالك فئة كبيرة في المجتمع تؤمن بالسحر وبفعاليته، وفئة أخرى تؤمن بوجوده ولا تؤمن بفعاليته، والسحر كظاهرة يتركز بصورة خاصة لدى النساء كبار السن، إلا أنه قل هذا التأثير بعد التغير الاجتماعي الذي حدث في المجتمع السوداني نتيجة الحركة التعليمية خاصة أوساط النساء بعد أن عرفن أن السحر يستخدم طريقة غير مشروعية، وقد حرمه الدين الإسلامي أياً كان نوعه، لأنه يؤذي بعض الأفراد (حاج حمد، 1997: 15)، والفكرة الأساسية التي يرتكز عليها السحر هي فكرة السببية، وليست هي السببية العلمية، بل هي سببية سحرية تتعلق بعالم غير مرئي، هو عالم الأرواح حيث تكون العلاقة خفية بين الأرواح بعضها البعض، وبينها وبين مظاهر حياة الإنسان، ورغم ارتفاع المستوى التعليمي والوعي الديني لأفراد الأسرة السودانية هنالك أفراد يترددون لممارسة السحر ويتضح من ذلك في الجدول التالي:

جدول رقم (2)

يوضح المستوى التعليمي للمترددين في ممارسة السحر

المستوى التعليمي للمترددين	عدد المترددين	النسبة المئوية
أمي	43	٪9
خلوة	2	٪12
ابتدائي	74	٪15
متوسط	83	٪16
ثانوي	85	٪17
جامعي	99	٪20
فوق الجامعي	4	٪11
المجموع	500	٪100

المصدر: عيسى، 2006، ص192

نلاحظ من الجدول رقم (2) أن الدراسة التي أجريت في منطقة النيل الأزرق عن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالسحر، أوضحت أن المستوى التعليمي الذي حاز على أكبر نسبة لممارسي السحر هو الجامعي حيث بلغ نسبة 20٪، ثم تليها نسبة الثانوي 17٪، والمتوسط 11٪، وأمي هي أدنى نسبة، ويرى أوجست كونت الذي اعتبر المرحلة العلمية هي المرحلة المثلى وأطلق عليها المرحلة الوضعية في مراحل التغير الاجتماعي، ولكن رغم ذلك يتردد كثير من أفراد المجتمع المتعلمين على الممارسين للأعمال السحرية، كما أنهم يعرفون أن الكثير من ممارساتهم فيها ضرب من الوهم (الخشاب، 1966: 43).

يتكون المجتمع السوداني من المسلمين والمسيحيين وفئة قليلة يؤمنون بالمعتقدات المحلية، ونجد أن غالبية السودانيين مسلمون، والجدول التالي يبين ديانة الذين يترددون لممارسة السحر:

جدول رقم (3)

يوضح ديانة المترددين على ممارسة السحر

ديانة الممارس	عدد المترددين	النسبة المئوية
مسلم	489	٪97,8
مسيحي	10	٪2
معتقدات محلية	1	٪0,2
المجموع	500	٪100

المصدر: عيسى، 2006، ص194

يتضح من الجدول رقم (3) أن ٪97,8 تمثل أعلى نسبة وهم من المسلمين المترددين في ممارسة السحر، يمكن إرجاع ذلك إلى الحقيقة الإحصائية والتي تسجل أن المسلمين أكثر عدداً من المسيحيين في السودان، أو يمكن إرجاع تلك النسبة الضئيلة وهي تمثل ٪2 من المسيحيين إلى أن منطقة النيل الأزرق تقع على الحدود مع ولايات دولة جنوب السودان والتي يكثر بها الذين يدينون بالديانة المسيحية والبعض منهم يؤمنون بالمعتقدات المحلية، مع الملاحظة أن تلك النسب مأخوذة وفقاً لتعداد السكان تلك الفترة.

كما نجد أن هنالك أفراد يدعمون المترددين لممارسة السحر في المجتمع السوداني، وقد يأتي ذلك الدعم لأسباب اجتماعية وأخرى اقتصادية أو أسرية، والجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم (4)

يوضح الذي يصرف على المترددين في ممارسة السحر

من الذي يصرف على المترددين	عدد المترددين	النسبة المئوية
الوالد	112	٪38,9
الوالدة	16	٪5,5
الأخوان	131	٪45,4
الأقارب	11	٪3,8
مصادر أخرى	18	٪6,3
المجموع	288	٪100

المصدر: عيسى، 2006، ص195

يبين الجدول رقم (4) أن أعلى نسبة هم الأخوان وهي في الصرف على المترددين ويمثلون نسبة 45.4٪، وتليهم نسبة الوالد 38.9٪، وأدنى نسبة هي الوالدة 5.5٪ لأن الوالدة ليس لديها مهنة ثابتة تصرف منها عليهم.

النموذج الثالث: الاعتقاد في الكجور

إن مفهوم الإله الأعظم "الخالق" موجود لدي جماعات النوبة، ومن ثم تصبح علاقاتهم به قليلة وغير مباشرة وتدر العبادة الموجهة إليه مباشرة، وبالتالي لا يتوجهون إلى الخالق بدعواتهم وصلواتهم، لأنه في اعتقادهم ليس مسئولاً عنهم على نحو ما، ويعتقدون في الكجور بأنه الوسيط الروحي لهم(نصر، 1969: 42)، لذلك الاعتقاد فإن الكجور هو الذي يستطيع التواصل مع الخالق ويتلقى الأنباء منه.

وشخصية الكجور بكل أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والروحية، هي وسيط بين الناس المعتقدين فيه وبين القوى الإلهية المعتقد فيها، الأمر الذي جعل بعض أفراد جماعات النوبة وغيرها من المجتمعات التي تؤمن بالكجور وتعتقد في أرواح السلف ورموزها المادية من المظاهر الطبيعية، فيعتقدون في الكجور بما فيهم الذين

يؤمنون بقوة الله سبحانه وتعالى، كما هو منصوص عليها الكتب السماوية، وشخصية الكجور محاطة بالعديد من العادات والتقاليد الشعبية والممارسات الطقوسية (محمد، 2010: 121).

وظهور الكجور في مجتمع جبال النوبة يتمثل في لحظة تقمص الروح في الشخص الكجور تعتمد على القوة السحرية، يجتمع الناس حول الكجور الذي يظهر ببعض الحركات التي يقوم بها وببعض الصرخات العالية أحياناً أي أن لكل كجور أسلوبه الذي يميزه لحظه ظهوره ثم يبدأ في الحديث، والجدير بالذكر أن المفردات اللغوية التي يستخدمها الكجور أثناء عملية التكجير لا تتطابق مع مفردات اللغة السائدة في المجتمع، ولغة الكجور لا يفهمها عامة الناس، ويستعين المجتمع دائماً بعدد من المتعاونين يمثلون هيئته الكهنوتية، ويقومون بتفسير هذه اللغة للعامة وغالباً ما يكون من ضمن هؤلاء المتعاونين زوجات الكجور، ولا بد لمتعاوني الكجور أن يتميزوا بصفتي الأمانة والإخلاص، والكجور أو الخبير بعد أن ينهي حديثه للجالسين حوله أو عند خروج الروح التي تقمصته لا يتذكر ما قاله، ويقوم معاونوه بتذكيره بوقائع الجلسة الخاصة به(أمينا، 2004: 139).

في ظل الحراك السكاني من الريف إلى المدن والتغير السريع في المجتمع السوداني خاصة في جانبه الحضري، حدث تغير لأفراد الأسرة لدى جماعات النوبة في العاصمة القومية وغيرها من المدن تجاه الكجور، نستعرض تلك التغيرات في الجدولين الآتيين:

جدول رقم)5)

يوضح التغير في اتجاهات المبحوثين حول دور الكجور في المناسبات الاجتماعية

هل تري للكجور دور يلعبه في المناسبات الاجتماعية التالية في منطقتكم	الاتجاه					
	نعم		لا		لا أعرف	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الاحتفالات السنوية	75	٪37.5	97	٪48.5	28	٪14
إنزال المطر	33	٪16.5	141	٪70.5	26	٪13
علاج المرض	39	٪19.5	129	٪64.5	32	٪16
علاج السحر (فك السحر)	58	٪29	112	٪56	30	٪15
الوفيات	10	٪5	166	٪83	24	٪12

المصدر: أمينا، 2004، ص204

أرقام ونسب الجدول رقم (5) توضح أن تغيراً ملحوظاً قد حدث في اتجاهات أفراد جماعات النوبة حول دور الكجور في المناسبات الاجتماعية التي تتمثل في أعياد الحصاد مثل " سبر ورق اللوبيا" في منطقة جبال النوبة، حيث نجد نسبة 37.5٪ من المبحوثين لا زالوا يرون أن للكجور دور في الاحتفالات السنوية، بينما تمثل نسبة 48.5٪ الذين ينفون دور الكجور في ذلك، أما نسبة 14٪ تمثل الذين لا يعرفون دور الكجور في الاحتفالات السنوية.

بالنسبة لاتجاهات أفراد النوبة حول دور الكجور في إنزال المطر نجد نسبة 16.5٪ يمثلون الذين يؤيدون بدوره، بينما الذين ينفون دوره بنسبة 70.5٪، أما الذين لا يعرفون دور الكجور في إنزال المطر بنسبة 13٪.

أما فيما يتعلق بدور الكجور في علاج المرضي، نجد نسبة 19.5٪ من المبحوثين يرون أنه يمكن أن يعالج المرضي، بينما الذين يرون أن الكجور لا يستطيع أن يعالج يمثلون نسبة 64.5٪، أما الذين لا يعرفون شيئاً عن دور الكجور في علاج المرضي تبلغ نسبتهم 16٪.

أما بخصوص علاجه للسحر، نجد نسبة 29٪ من المبحوثين يرون أن الكجور يستطيع أن يفك السحر، بينما الذين يرون أنه لا يستطيع أن يعالج السحر يمثلون نسبة 56٪، أما نسبة 15٪منهم فلا يعرفون دور الكجور في فك السحر.

في تعليل سبب وفاة الأشخاص، نجد نسبة 5٪ من المبحوثين يعتقدون أن الكجور يمكن أن يتسبب في الوفاة، بينما تمثل نسبة 83٪ الذين ينفون دور الكجور في تسبيب وفاة الأشخاص، أما نسبة 12٪ فلا يعرفون شيئاً عن دور الكجور في تسبيب الوفاة.

أما فيما يخص معالجة الأمراض العادية الجدول التالي يبين ذلك:

جدول رقم (6)

يوضح التغير في اتجاهات المبحوثين في التماس العلاج من الأمراض العادية.

في حالة المرض العادي إلى أين تذهب	العدد	النسبة
اذهب إلى الكجور أولاً ثم الطبيب	3	٪1.5
ابحث عن علاج بلدي	25	٪12.5
اذهب إلى الفكي	4	٪2
اذهب إلى الطبيب مباشرة	167	٪83.5
أخرى حدد	1	٪0.5
المجموع	200	٪100

المصدر: أمينا، 2004، ص206

الجدول رقم (6) يوضح أن نسبة 1.5٪ من أفراد النوبة إذا حل بهم مرض يتجهون إلى الكجور، بينما الذين إذا أصيبوا بمرض من الأمراض العادية يبحثون عن علاج بلدي تبلغ نسبتهم 12.5٪، أما الذين يذهبون إلى الفكي للبحث عن علاج لمرضاهم يتمثلون بنسبة 2٪، والأفراد الذين إذ ألمّ بهم مرض عادي يذهبون إلى مقابلة الطبيب مباشرة في المستشفيات تبلغ نسبتهم 83.5٪ من جملة المبحوثين، وقد تختفي نسبة الذين يهملون علاج مرضاهم.

كما نلاحظ من الجدول رقم (6) ارتفاع نسبة الأفراد الذين يذهبون بمرضاهم إلى مقابلة الأطباء لتلقي العلاج، وانخفاض نسبة الذي يلجأون إلى التداوي بالأعشاب (علاج بلدي)، ونسبة قليلة جداً منهم لا زالوا يلجأون إلى الكجور، بمبرر أنه يستطيع أن يحدد نوع المرض، والجدير بالذكر أن الأفراد الذين يلجأون إلى الكجور من فئات كبار السن، ويمكن القول أنه قد حدث وعي صحي وسط جماعات النوبة في مجتمع المدينة.

النموذج الرابع: الاعتقاد في الزار

الزار اعتقاد شعبي يقام في احتفالات خاصة الهدف منه طرد الأرواح أو استدعائها، ويتم عن طريق الإيقاعات وهو خاص بالنساء إلا أنه وفي بعض الحالات يمكن بعض الرجال أن يحضروا هذه الاحتفالات، وفي حالات أخرى تستخدم فرق موسيقية متخصصة، وحسب الآلات الموسيقية المستخدمة في المناطق على سبيل الأمثلة الطبول، الطنبور، الرق، القرع والأواني المنزلية (حاج حمد، 1997: 45)، ومن الملاحظة الميدانية لاحتفالات الزار في إيقاع الرقص أن المرأة المشاركة في الاحتفال يمكن أن تقمص فيها واحدة من تلك الأرواح، وبالتالي تعد نفسها لإقامة الزار في منزلها لعلاج نفسها، مما يعني أن أداء ممارسة الزار يمهد لقيام احتفال زار جديد، إلا أنه من الملاحظ أن هنالك بعض الممارسات التي تقع وتتم في هذه الاحتفالات غير عادية وغير مقبولة تتعارض مع الأخلاق والقيم والدين بالإضافة للتكاليف الباهظة في ممارسة الزار.

خلاصة:

كما أشرنا فيما تقدم إلى بعض خصائص المعتقدات الشعبية في السودان وسمات تكوين بناء الأسرة السودانية، إنه من الواضح أن تلك الخصائص ذات إمكانية استمرارها في المعتقدات الشعبية رغم انتفاء البعض منها بعوامل التغير الاجتماعي، وذلك أن تلك المعتقدات تمثل موروث ثقافي سوداني.

أوضح البحث أن الأسرة السودانية يغلب عليها من نوع الأسرة الممتدة وهي نواة المجتمع، الأمر الذي أدى إلى تعميق بعض المعتقدات الشعبية وآلية الاستمرارية.

كذلك أوضح البحث ضرورة الفهم الكلي الإجمالي والجزئي الخاص بالمعتقدات الشعبية في المجتمع السوداني المتنوع الثقافات والسلالات.

أيضاً أوضح البحث أن المعتقدات الشعبية في المجتمع السوداني تتميز بالتعددية وفقاً للتنوع الثقافي وتستند إلى قاعدة قيمية، والاعتقاد في الفكي يوجد في معظم المجموعات السودانية.

كما أوضح البحث أن ممارسة تلك المعتقدات الشعبية ترتبط بكافة مستويات أفراد الأسرة السودانية الفكرية والتعليمية، والجدول رقم (2) يبين ذلك.

يوصي البحث بالآتي:

1. بث الوعي الاجتماعي والثقافي عن كيفية قبول قيم الآخر في ظل تنوع الثقافات والمعتقدات الشعبية.
2. تفعيل دور المؤسسات العلمية والمراكز الاجتماعية في دراسة ظاهرة المعتقدات الشعبية باعتبارها موروث ثقافي.
3. الاهتمام بالأسرة الممتدة وعلاقتها بالمعتقدات الشعبي في ظل ظاهرة التغير الاجتماعي السريع الذي يكتنف المجتمع السوداني المعاصر.
4. البحث عن البدائل الثقافية هو العامل المساعد المؤدي إلى إمكانية نسيان بعض الجوانب السلبية في المعتقدات الشعبية في الذاكرة الاجتماعية لأفراد الأسرة السودانية.

5. تعديل سلوك بعض أفراد الأسرة السودانية بما يتفق مع مصالح المجتمع على أساس القيم الدينية.

المصادر والمراجع:

1. الأمين، عباس الحاج، 2007م، دراسات فكرية في التصوف بالسودان، نصرالدين سليمان فضل الله، "الوسيط الروحي: الولي / الكجور - مقاربة في المعتقدات الشعبية"، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم.
2. الجولاني، فاديه عمر، 1997م، التغير الاجتماعي- مدخل النظرية الوظيفية لتحليل التغير، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية.
3. الجوهري، محمد، 1980م، علم الفولكلور - دراسة في المعتقدات الشعبية، دار المعارف بمصر، ج2، ط1.
4. الحسيني، السيد، 1991م، مفاهيم علم الاجتماع، جامعة عين شمس، القاهرة.
10. الخشاب، مصطفي، 1966، علم الاجتماع ومدارسه، المكتبة المصرية، القاهرة.
5. الغتامي والمنذري، سليمان سيف وريا سالم، 2014م، المؤتمر العلمي الدولي الثاني "مكانة العلوم الاجتماعية في دراسة الظواهر الاجتماعية المعاصرة: أفاق ورؤى مستقبلية - 16- 18 ديسمبر 2012م، "مستوى اهتمام الأسرة العمانية بتربية أبنائها في ضوء القيم الإسلامية، ص324" المجلد الأول، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مطبعة جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عُمان.
6. النقرابي، محمد عبد الله، سبتمبر2000م، ورشة عمل الرؤى المستقبلية لدور مؤسسات التنمية الاجتماعية في ظل الحكم الفدرالي، "خصائص المجتمع السوداني"، الخرطوم.
7. أمينا، الماحي أدونا، 2004م، التغير في البناء الاجتماعي لجماعات النوبة بالعاصمة القومية - دراسة حالة الحارة (43) أمبدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم.

8. حاج حمد، على صديق، 1997م، علم الاجتماع العائلي - صور من المجتمع السوداني، مطبعة جامعة النيلين، الخرطوم.
9. عبد السلام، وحيد، 2000م، الصارم البتار للسحر الأشرار، مكتبة الصحابة، الإمارات، الشارقة، ط10.
11 عيسى، عز الدين دفع الله، 2006م، التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بالسحر – دراسة ميدانية على منطقة النيل الأزرق، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم.
12 غيث، محمد عاطف، 2006م، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
13 محمد، سليمان يحي، يونيو 2010م، مجلة الدراسات الإنسانية، "بعض العناصر الأفريقية في الثقافة السودانية، ص118"، العدد الرابع، مطابع السودان للعملة، الخرطوم.
14. مكاوي، حنان أحمد، يونيو2010م، مجلة الدراسات الإنسانية، "نظام الأسرة بين النموذجين الإسلامي والغربي، ص140"، العدد الرابع، مطابع السودان للعملة، الخرطوم.
15 نصر، أحمد عبد الرحيم، 1969م، مجلة الدراسات السودانية، "الكجور عند النيمانج"، العدد الثاني، المجلد الأول، الخرطوم.
16. Ginsberg, Morris , 1979, Sociology, Oxford University Press.

دور الشعر الشعبي في التوثيق لرجال الدين بمحلية مروي (قصيدة يا رحمن أرحم بي جودك) للشيخ حاج الماحي نموذجاً

د.محمد فتح الرحمن أحمد إدريس
جامعة دنقلا - قسم الآثار

مقدمة:

تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على إمكانية استخدام الشعر الشعبي(المدائح النبوية) كوسيلة لتوثيق الأحداث التاريخية وحياة الشخصيات الهامة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ منطقة مروي وذلك بالتركيز على رجال الدين بالمنطقة. خاصة مجال التعليم الديني، في فترة قلت فيها المصادر الكتابية بشكل كبير وذلك من خلال دراسة قصائد المديح النبوي عند الشيخ حاج الماحي (عليه رحمة الله) متخذين من قصيدة يا رحمن أرحم بي جودك المتضمنة في ديوانه المسمى ديوان حاج الماحي نموذجاً للدراسة و ذلك لكونها تمثل سجلاً مفصلاً و دقيقاً يشمل أسماء أولئك المشايخ الذين توسل إليهم طالباً منهم تقديم يد العون والمساعدة لطرد التمساح الذي ظهر بديار الشايقية ومنع الناس الاستفادة من مياه النيل الذي يشكل عصب الحياة لهم، فقد أصبحت القصيدة بمثابة توثيق أو تأريخ للشيوخ المذكورين فيها ومناطقهم، وهو ما اتخذته هذه الورقة مجالاً للدراسة.

تقع محلية مروي في الجزء الجنوبي من الولاية الشمالية وتشمل المنطقة الممتدة من منطقة كورتي جنوباً حتي الشلال الرابع شمالاً على خطي طول 32,11 شرق ودائرتي عرض 18,31 شمال خط الاستواء وتبلغ المساحة الكلية للمحلية حوالي 19144 كيلو متر مربع (انظر خريطة رقم 1).

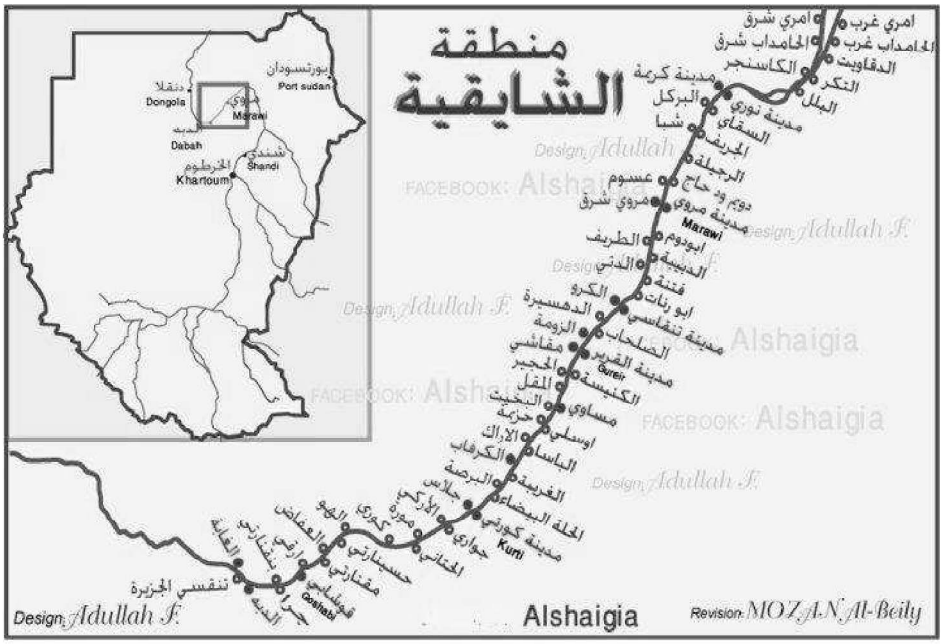

خريطة رقم(1) توضح قري ومناطق الشايقية

انتشرت على ضفتي النيل بمحلية مروي العديد من المدارس القرآنية (الخلاوي) يقدر عددها الكلي بخمس و ثلاثين مدرسة ساهمت في نشر الدين والثقافة والعلم بالمنطقة، وبذلك أصبحت المنطقة قبلة إشعاع علمي ومركز ديني هام تخرج منها العديد من اولئك المشائخ و الأئمة والعلماء والدعاة، كما كانت هذه الخلاوي سبباً في إنشاء العديد من القري والمدن بتوافد الناس على تلك الخلاوي وإقامتهم بالقرب منها، ولكن من المؤسف أن معظم تلك الخلاوي توقفت بها الدراسة ولا يُعرف على وجه التحديد متى حدث ذلك ولا حتى تاريخ تأسيسها، كما أن بعضها قد اندثرت معالمه بسبب العوامل الطبيعية والبشرية(إدريس، 2013: 161).

تعريف الشعر الشعبي:

يُقصد به الشعر الذي يكتبه شاعر فرد أو مجموعة من الشعراء ويلتزم بالعامية المتداولة في المنطقة ويقوم على منظومة قيم وعادات وتصورات سكانها سواء ارتبط بالغناء أو لم يرتبط بشرط قبول الجماعة لذلك الشعر وروايته إياه واستجابتها

للمضامين الواردة فيه. ومن تعريفاته أيضاً " إنه الأدب الصادر عن الشخص المرتبط بواقع المجتمع حتي ولو كانت لغته غير عاميه (الجراري، 1986: 40). وهناك بعض العلماء ركزوا على المضمون ويرون بأنه "الأدب الذي ارتبط عضوياً بقضايا ومشاكل وآمال وآلام الجماهير الشعبية، اما الذين يُجمعون بين الشكل والمضمون فيضيفون ذوبان العمل الأدبي في الملكية الجماعية ومن ذلك تعريف محمد بنيس الذي يرى فيه أن الأدب الشعبي هو "الأدب المجهول المؤلف العامي اللغة المتوارث جيلاً بعد جيل عن طريق الرواية الشفهية" (بنيس، 1985: 253).

يرتبط الشعر الشعبي بدوافع نفسيه لأن طبيعة الشعر تتسم برهافة الحس وتحفيز الشعور والاستجابة لرد الفعل على أحداث الحياة السعيدة والحزينة، فالشاعر تقع عليه في شخصه أحداث ويشاهد وقع أحداث الحياة على غيره، وفي كل حال يحدث شيء من الاستفزاز لمشاعر الشاعر فتنتابه هزات نفسيه فيُجبر على الاستجابة لدواعي الاستفزاز بإنتاج شعري طلباً للتنفس النفسي.

تختلف وتتنوع مناسبات الإبداع في الشعر الشعبي من مجتمع لآخر كل حسب الظروف التي تحكمه ويلاحظ أن هنالك إرتباطاً وثيقاً بين المادة المقدمة ومناسبات دورة الحياة والمناشط الاجتماعية والدينية والسياسية للمجتمعات المختلفة.

أشهر أشكال الشعر الشعبي في السودان المديح النبوي هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) بتعداد صفاته الخَلقية والخُلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول (ﷺ)، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديراً وتعظيما. ويُظهر الشيخ المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجياً الله بصدق وخوف مستعطفاً إياه طالباً منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعد ذلك إلى مدح الرسول (ﷺ) طامعاً في وساطته وشفاعته يوم القيامة. وغالباً ما يتداخل المديح

النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي التي تسمى بالمولديات.
حاج الماحي: المولد والنسب:

تذكر بعض الروايات أن الشيخ الحاج الماحي بن محمد بن الشيخ أحمد بن عبد الله ولد في العام 1194ه للهجرة، وفي رواية أخري أنه ولد عام 1204ه في قرية الكاسنجر في الضفة الشرقية للنيل على بعد5 كلم شمال مدينة كريمة، وقد اتفق الرواه أنه توفي بها سنة 1287ه (1871م). وقد رزق من الأبناء الذكور أحمد، والمجذوب، ومحمد، وعبد الله، وحمزة. ومن الإناث زينب وسكينه. ينحدر أصله من إحدى بطون الجعليين فرع المسلماب بقرية العقيدة قرب الكتياب ولا نعرف على وجه التحديد متي هاجرت أسرته إلى مناطق الشايقية، ولكن من المؤكد أن هذه الهجرة تمت منذ زمن بعيد، فأجداده يملكون الأراضي الزراعية بالمنطقة، لذلك تعتبر أسرته من أوائل الأُسر التي نزحت إلى منطقة الكاسنجر (عمرالحسين، 2008:2).

توفرت لحاج الماحي كل المؤهلات الشخصية التي أكسبته العديد من صور الإبداع الشعري من خلال البيئة المحيطة به. فالإبداع الشعري تتعدد فيه بعض العناصر منها إتساع المعرفة العامة وعمق فهم الأشياء وإجادة الأساليب الشعرية والوسائل الجمالية وإيراد الصور بأكثر من وجه مما أدى إلى إجادة أساليبه وقدرته على ايراد هذه الصور في قوالب فنية رائعة. كما تأثر الشيخ حاج الماحي بالبيئة المحيطة به وكانت بيئة زراعية محصورة بين النيل وسلسلة من الجبال، وهذه الصورة الجمالية اليومية المعاشة أمدته بالوحي والإلهام كما أكسبته خصوبة الطبيعة عاطفه مرهفة ظهرت من خلال قصائده.

تميز الشيخ حاج الماحي بمؤهلات شخصية كالاستعمال الشعري للغة وجمال الصوت والاستعداد الجسمي بالإضافة إلى الخيال الواسع، فقد برع في الغناء شعراً ونغماً فكان صوته جميلاً وأجاد استعمال اللغة في الوصف وكان له خيالاً واسعاً، (فرح عيسي محمد، 2003:31) وذلك جعل منه مدرسة شعرية متفردة في عصره باعتباره مرجعاً ومعجماً لكثير من أسماء المناطق داخل وخارج السودان كما

ذكر العديد من الأنهار والجبال والنباتات. واستطاع أن يدمج بين اللغة العربية الفصحي والعامية أو اللهجة المحلية، فكان يضع صيغ الجمع كما يريد، حسب قافية القصيدة دون اخلال وهذا يظهر لنا إبداع الشاعر بالرغم من أميته التي أكدها لنا في أكثر من موضع في قصائده التي ربما من المحتمل أن هذه القصائد التي تحدث فيها عن أميته كانت قبل تلقيه تعليماً منتظماً في الخلوة ولو بقدر يسير.(عمر الحسين، 2008:4).

النزعة الصوفية والدينية لحاج الماحي:

رغم ما يدور حول كونه أمي ليس له نصيب في القراءة والكتابة إلا أن الشاعر قد استقي أفكاره ومفاهيمه فيما هو واضح من مجموعة من المصادر أهمها كتب الفقه المتداولة في زمنه مثل رسالة ابن ابي زيد القيرواني و مختصر خليل إضافة إلى كتب السيرة النبوية والمضامين الصوفية التي كانت تهيمن على ثقافة معظم سكان المنطقة، في تلك الفترة لذلك نجده أقتبس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والتبرك بالأولياء والصالحين وذكر كراماتهم (عباس، 2011:109) وطلب المساعدة منهم ويمكن ان يفسر ذلك في ضوء ما أشار إليه الباحث حريز حيث قال "إن الناس في الثقافة التقليدية يلجأون إلى طلب المساعدة من الشيخ أو الولي في كل الأمور التي يعجزون عن حلها حيث يقوم الولي بحل هذه المشاكل روحياً .hurreiz، 1972: 75)

تأثر حاج الماحي بثقافة المنطقة عامه وما كان يدور فيها من حراك ثقافي وديني خاصة وأن قربه من جزيرة ترج التي أسس فيها أولاد جابر خلوتهم لتدريس علوم القرآن والفقه. وكذلك خلاوي الدويحية بالكرو ودويم ود حاج. وقرب منطقته من منطقة نوري التي اشتهرت بخلاويها (خلوة الحواجنير وخلوة الحمتياب وخلوة الكوارير وخلوة العراقاب وخلوة الناطقاب) وخلوة ود عدلان بتنقاسي وخلوة الغريبة والقرير وغيرها وهذا أمده بقدر مناسب من الفقه و السيرة النبوية. وقد عاصر الشيخ حاج الماحي كثير من الشيوخ ومؤسسي تلك الخلاوي، كما أكدت بعض الروايات أنه سمع عن كرامات بعض الأولياء الآخرين الذين لم يعاصرهم (عمر الحسين، 2008: 10).

معظم قصائد الشيخ حاج الماحي تلتزم بموضوعات درج الشاعر على وضعها مرتبة وتبدأ بالعصاية وهي بداية المدحة ويحدد فيها الشاعر الغرض من نظم القصيدة، ثم يثني الشاعر بذكر النبي صلي الله عليه وسلم ويعتبر الشاعر تثنية لأن بداية القصيدة الحقيقية هي البداية بذكر الله سبحانه وتعالي ويختم الشاعر قصيدته بأقراء السلام للنبي صلي الله عليه وسلم وهوما جاء في هذه القصيدة (عباس محمد، 2011:85).

القصيدة المعنية بهذه الدراسة جاءت بعنوان "يا رحمن أرحم بي جودك " التي تشبه معظم قصائد الصوفية في السودان وكان المحور الأساسي فيها هو كيفية محاربة التمساح الذي عانى منه أهل المنطقة كثيراً لأنه منع الناس من ممارسة نشاطهم الزراعي وتقول الروايات الشفاهية أن التمساح بعد أن نظم الشيخ حاج الماحي هذه القصيدة وجد ميتاً. ولا يوجد دليل يؤكد ذلك، وهناك بعض الروايات التي تقول أن هذه القصيدة كانت رمزية ولها دلالات سياسية قصد منها محاربة الأتراك الذين حكموا السودان في تلك الفترة وعاني السودانيون من سياساتهم ولكن مما لا شك فيه أن هذه القصيدة توضح ثقافة الشاعر الصوفيه بالإضافة إلى أنها تعتبر جديدة في موضوعها بالنسبة لمديح الشيخ حاج الماحي.(عمر الحسين، 2008 : 688) الملاحظ أن الشيخ حاج الماحي ذكر في هذه القصيدة مجموعة من الشيوخ بعضهم من خارج محلية مروي، والبعض الآخر من خارج السودان ولكن القاسم المشترك بينهم أنهم من رجال الدين المؤسسين للخلاوي بالمنطقة أو المؤسسين للطرق الصوفية وخارجها وهذه القصيدة كانت بمثابة توثيق لرجال الدين الذين يعتقد الشيخ في كراماتهم لذلك استنجد بهم لقتل التمساح.

فيقول حاج الماحي في هذه القصيدة:

يا رحمن أرحم بي جودك دلي الغيث ينزل في بلودك
سم يا فمي أذكر معبودك قول يا واحداً حي في وجودك
يا مسعد أسعد بسعودك ونحن نصلي على مريودك
يا رحمن أرحم بي برك يا حافظ في بحرك وبرك

في وليانك أطلق سرك خل نيشانن اليتحرك
آمين آمين يا كاشف الغمة جنب ها الدابي تصبحو رمة
تسلط واحداً إيدو مدمة تعجل قتلوا قبيح القمة
يا الخلفاء الحالكم مرضية يا أهل البيعه العقدو النية
التمساح سكن الشايقية خلو يروح نسياً منسياً
يا ابن إدريس عدل نيشانك فوق الكل عامر ديوانك

هو السيد أحمد بن إدريس الحسني نسباً ولد بقرية ميسور قرب فاس وكان يتمتع بشهرة واسعة كمعلم ديني في مكة في الفترة ما بين 1797- 1833م ومن تلاميذه السيد محمد عثمان الختم صاحب الطريقة الختمية والسيد إبراهيم الرشيد الذي أخذ عنه الطريقة حاج الماحي.

هم يا شيخ الناس حيرانك في التمساح بين برهانك
يا ابن إدريس شيخنا النوراني يا صاحب الفتح الرباني
يا ابنو العركي ويا السماني أرموا سهامكم يا فرساني

ابن العركي: هو الشيخ عبد الله بن دفع الله بن مقبل العركي وكان من الدارسين في حلقة الشيخ عبد الرحمن بن جابر بجزيرة ترج وله خلاوي مشهورة في منطقة أبو حراز بالجزيرة. أما السماني: هو محمد عبد الكريم القرشي المدني ولد بالمدينة المنورة وهو من أقطاب الطريقة الجيلانية.

شيء لله ذات التجلي صاحب السر والفتح الكلي
يا الغوث البي الكون متولي التصريف هيلك عجلي
يا عبد الوهاب التازي يا أب درعاً منسوب بي حجازي

عبد الوهاب التازي هو أحد أقطاب الصوفية وأخذ عنه السيد أحمد بن إدريس الطريقة.

التمساح تمساحاً خازي درنا العوم أدونا إجازي
يا الداسوقي وشيخو رفاعي يا حسن التواع كون واعي

الداسوقي: هو إبراهيم بن أبي المجد وهو شيخ الطريقة الدسوقية. ورفاعي: هو أحمد بن على ابو العباس شيخ الطريقة الرفاعية.

الشبلي وشيبان الراعي أرموا سهامكم يا شجاعي

الشبلي:هو دلف بن جحدر أبوبكر الشبلي البغدادي.أما شيبان الراعي هو محمد بن عبد الله المعروف بشيبان الراعي قيل إنه إذا ذهب للصلاة خط على غنمة خطاً وذهب فلا تتحرك ولايعترضها وحش ولا انس حتي يرجع.

شيء لله يا أهل الدايرة يا الفي الكون أسراركم سايرة

أهل الدايرة: هم الأولياء الذين يكونون الحكومة الروحية عند أهل التصوف.

أرخو السر في السحرة الغائرة خلو الدار التصبح نايرة

وينكم لي وينكم يا قومنا سهرانين نحسب في نجومنا

التمساح حجر لي عومنا إن ما جيتونا عليكم لومنا

وينكم وينكم يا ديلة يا أهل الحضرة الليلة الليلة

اجتمعوا وخلوا البهديلة التمساح أحموه الشيلة

وينكم لي وينكم يا كمل يا لحاق فيكم بتأمل

يل الغوث الب الكون اتحمل عرض الدار روح يتهمل

وينكم لي وينكم يا كسر يا لحاق فيكن بدثر

التمساح بالحيل انجسر أمروا عليكن ماب يتعسر

شيء لله يا حسن البصري صهيب الروم ذا النون المصري

حسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن البصري، كان له باع في نشر التصوف توفى عام 728م. صهيب الروم: هو صهيب بن سنان وكان من السابقين للإسلام توفي بالمدينة سنة تسع وثلاثون. وذا النون المصري هو ابو الفيض بن ابراهيم المصري وهو احد مشاهير الصوفية.

يا الدباغ أبوسراً يسري يا ابن محجوب الناس متحسري

الدباغ: هو السيد الشريف. وبن محجوب هو السيد عبد الله ميرغني المحجوب ولد بمكة في أوائل القرن الثاني للهجرة.

شيء لله يا اب جلابية ويا عثمان شيخ الختمية

أب جلابية: هو الحسن بن السيد محمد عثمان الختم.عثمان شيخ الختمية: هو السيد محمد عثمان بن السيد محمد ابي بكر بن السيد عبد الله ميرغني ومؤسس الطريقة الختمية التي كان لها صيت واسع بين سكان المنطقة وآمن الكثيرون بها وظلوا يرددوا أورادها ويحفظوها.

يا الصلاح جملة الأولياء التمساح شوفولو أذية

شيء لله يا راجل البقعة يا أهل الحضرة البعد الهجعة

يا الفكي شيخ الهام أب لسعة شيل الدابي تحتكم بدعة

هو شيخ اللعيسر بن الشيخ بن عبد الرحمن بن حمدتو، ولد بنوري التي تقع على بعد حوالي 5 كلم شمال مدينة مروي وتفقه على يد أبيه وشيدت له قبة من قبل أحفاده(لوحة رقم1).

شيء لله يا عبد القادر محي الدين البحر السادر

عبد القادر: هو عبد القادر الجيلاني وإليه تنسب الطريقة القادرية

يا ود زينب قوم لي مبادر يا ودحاج قول جيتكم حاضر

ود زينب: هو عيسي ولد زينب وله خلوة بمدينة كريمة.

ود حاج: هو عبد الرحمن بن محمد ود حاج الدويحي،ولد بالكرو وحفظ القرآن على يد والده ومؤسس خلوة دويم ودحاج التي سميت باسمه وتبعد حوالي 3 كلم شمال مدينة مروي وله مسجد مبني من الطوب اللبن وتذكر الروايات أن الشيخ حاج الماحي ساهم في تشييده وله قبة بمنطقة دويم ود حاج (لوحة رقم2).

شيء لله يا راجل البركل يا قايم الليل ماب تكسل

راجل البركل: هو الشيخ أحمد الكرسني أسس خلوته بمنطقة شبا وله بنية بالقرب من جبل البركل.

يا عايم بالله أتوكل قول للدود من بلدي اتفضل

يا أهل الركب الفات بي ليلو ما فيكم واحداً شاد حيلوا

أحمد وأحمد وأحمد شيلوا ود عدلان فوق راسو أديلوا

أحمد الأول هو أحمد الكرسني والثاني هو أحمد الوراق ينتسب إلى الدويحية مؤسس خلوة الدويحية بشبا. وأحمد الثالث هو أحمد الشريف مؤسس خلوته بالبركل وسط وهو من منطقة شيخ شريف.

ود عدلان: هو محمد بن عدلان الحوشابي، ولد بتنقاسي التي تبعد حوالي 9 كلم جنوب مدينة مروي وأسس خلوته بها وله قبة بالقرب من موقع خلوته (لوحة رقم3) .

يا يسن ويا ود حميدة يا أهل القبة الباقية فريدة

يسن: هو يسن محمد الدويحي ينتسب للدويحية بمنطقة الكرو التي تقع على بعد 14 كلم جنوب مدينة كريمة وله قبة مشيدة من الطين اللبن (لوحة رقم4). وود حميدة هو خضر ود حميدة ووالدته من الدويحية له بنية بالكرو.

إنتو ما اتباطيتو أكيدة ما بتغلبكم هذي الصيده

يا رجالة نوري اتملوا خلوا الغفلة جميعكم هموا

رجالة نوري: هم المؤسسين للخلاوي بمنطقة نوري.

محمد صالح قام بي عمو لطم الدود بالسر فوق فمو

هو محمد صالح بن حمد بن تور الجزيرة. وعمه هو عبد الحميد الأزرق مؤسس خلاوي العراقاب.

يا با حمدتو أب نايباً شوكه صاحب سر وإيدك مبروكة

حمدتو هو عبد الرحمن حمدتو مؤسس خلوة الحمدتياب بنوري وله قبة بنوري.

يا أب نيران الحقنا بابوكا هم يا شيخ الناس زموكا

هو عبد الرحمن بن مدني المشهور باب نيران.وله قبة بمنطقة نوري.

يا الفكي شيخ العبد الصالح يا لحاق في بحر المالح

ود بيلي وعووضة القارح وين يا حاج عيسي القدر الطامح

ود بيلي: هو محمد ودبيلي وعووضة بن محمد وله خلاوي في منطقة منصوركتي. وحاج عيسي من الركابية اوقد نار القرآن في منطقة النافعاب وله قبة بمنطقة النافعاب التي تبعد حوالي 61 كلم جنوب مدينة كريمة.

يا أب شارب وأولادو الستة أماني عليكم ليش ها السكتة

أبو شارب هو: عبد الرحمن بن حمدتو السالف الذكر ويكني بابي الستة أولاد لأنهم جميعاً كانوا فقهاء.

أسمع يا شيخ القول ليك إنت جرت الحين في بلادكم نكته

الزرق أبوات ودحاج موسي يا الكُمل ما فيكن دوسة

الزرق هم:مجموعة من الركابية لهم خلاوي للقرآن بمنطقة مورة.

البلد الكانت محروسة اتحجر العوم والناس محبوسة

يا ود جابر ليك بنادي قوم بإخوانك لا البولادي

ود جابر: هو إبراهيم بن جابر الملقب بالبولاد درس بالأزهر الشريف على يد الشيخ البنوفري وهو مؤسس خلوة أولاد جابر بجزيرة ترج بالقرب من الكاسنجر عام 1552م،يرجع نسبه إلى غلام الله بن عائد وهو أول من درس مختصر الخليل بالمنطقة تتلمذ على يدية العديد من الشيوخ ومنهم إخوته الذين تولوا أمر الخلوة من بعده إضافة إلى مجموعة من الطلاب الآخرين الذين توزعوا في مناطق مختلفة من السودان.وأسسوا خلاوي في مناطقهم. والشيخ إبراهيم مدفون بجزيرة ترج .

يا العجمي أب رزقاً صيادي أخذو الشكرة العادي العادي

العجمي: هو أحد تلاميذ الشيخ ابراهيم بن جابر ولقب بالعجمي لقلة كلامة مع الناس.

يا أولاد جاب بي عجميكن قوموا الخمسة واكربوا سريكم

أولاد جابر: يقصد بهم إخوة الشيخ إبراهيم البولاد وهم من خلفوه في تولي أمور الخلوة وهم: عبد الرحمن وعبد الرحيم واسماعيل وكلهم من العلماء الصالحين قاموا بتدريس القرآن في منطقة ترج خرجوا أعداداً كبيرة من العلماء وذكرهم ود ضيف الله في كتابه فقال:(أولاد جابر كالطبائع الأربعة أعلمهم إبراهيم وأصلحهم عبد الرحمن وأورعهم إسماعيل وأعبدهم عبد الرحيم واختهم فاطمة ام صغيرون نظيرتهم في العلم والدين (ود ضيف الله، 1970: 112).وجميعهم مدفونيين بجزيرة ترج (لوحة رقم5).

نادوا أب رابعة وخلو يجيكم قتل الدود مو قاسي عليكم

أب رابعة هو الشيخ أحمد أب رابعة وتذكر الروايات أنه ابن عمة أولاد جابر ودرس عندهم القرآن وأسس خلوته بجزيرة إقري بالقرب من جزيرة ترج. وله قبة بمنطقة إقري

(لوحة رقم6).

يا وراق يجن حوباتك في التمساح بين آياتك

وراق: المقصود به وراق بن عبد الرحمن وهو من الدويحية استقر بمنطقة أمري.

خلو يصوب من بلداتك لا يتمسخر في زوراتك

شيء لله يا رجالتنا شرف الدين فرسان المتنه

صالح السلمي اسمعوا كلمتنا احبسوا الدود لا يطل صفحتنا

صالح السلمي: هو الرجل الصاح أحمد بن عبد العزيز بالكاسنجر.

يا النبي بجاهك ثبتنا احفظنا واستر غربتنا

اكوي أعدانا وكيد شامتنا في الدارين اكتب راحتنا

النبيان يا جمله صحابي الغوث يا قطب الاقطاب

الشبلي وبدوي النشّابي ارخو السر في هذا الدابي

على المحبوب صل يوت يا برا عدد مخلوق جميع لا الذرة

نظملوا الماحي قصيدة وجرا تنجي الأمة في يوم الحرا
صلاة الله عدد ما لبا وقاف الحج وطواف الكعبة
سلاماً جابوا الماحي معبأ يعم السيد والآل والصحبا

خاتمة:

تعتبر محلية مروي (منطقة الشايقية) من المناطق التي اشتهرت بالتعليم الديني المتمثل في الخلاوي أو المدارس القرآنية وصارت هذه المدارس مناطق اشعاع ديني تخرج منها العديد من طلاب العلم الذين حملوا مشاعل العلم وفتحوا وأسسوا الخلاوي في ديارهم.

ظهرت النزعة الصوفية للشيخ حاج الماحي في هذه القصيدة لأنه استنجد بالأولياء والصالحين الذين يعتقد في كراماتهم لقتل التمساح الذي تضرر منه أهل المنطقة ومنعهم من ممارسة حياتهم اليومية على النيل علماً بأن الحرفة الرئيسة لمعظم أهل المنطقة هي الزراعة وكأنما كان الشاعر هو لسان حال أهل المنطقة أو المتحدث باسمهم، لذلك نظم هذه القصيدة وهو مؤمن بهؤلاء الشيوخ وكراماتهم لأن هولاء الشيوخ كانت لهم مكانة مرموقة في المجتمع المحلي فهم من يعلمون الناس أصول دينهم ويؤمونهم في صلواتهم ويفضون نزاعاتهم بالفتاوي التي يقدمونها ويعالجون الناس بالقرآن ويأمرونهم بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والإخلاص والصبر والتوكل والتعاون وغيرها وينهونهم عن إرتكاب المعاصي ومحاسبة ومجاهدة النفس.

ساهم هولاء الشيوخ في إنشاء العديد من القري والمدن في المنطقة وأحياناً تسمى هذه القري بأسماء هولاء الشيوخ تخليداً لذكراهم وفي أغلب الأحيان يقوم حيرانهم وأحفادهم ببناء قباب لهم في مناطق خلاويهم أو بالقرب منها وهناك أمثلة كثيرة لذلك (قبة ود حاج وود الكرسني والحمدتياب وغيرها)

لعب الشيوخ المذكورون في القصيدة دوراً مهماً في تاريخ منطقة مروي الديني والاجتماعي والسياسي وتعتبر هذه القصيدة بمثابة توثيق لمعظم الشيوخ وكما ذكرنا سابقاً إنه عاصر بعضاً من هؤلاء الشيوخ وسمع عن كرامات من سبقوه وهذا يعني أن

الشيوخ المذكورين في القصيدة أسسوا خلاويهم قبل عام1871م وهو تاريخ وفاة الشاعر حاج الماحي، وعليه يمكننا استخدام الشعر الشعبي كوسيلة لتوثيق الأحداث التاريخية وعكس طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية ومعرفة تاريخ الشخصيات الدينية (رجال الدين والطرق الصوفية ورجال السلطة السياسية) في الفترات التي تندر فيها المصادر.ومعظم هولاء الشيوخ تم ذكرهم في كتاب الطبقات للمؤلف محمد النور بن ضيف الله.

لوحة رقم قبة(1) الشيخ عبد الرحمن بن حمدتو بنوري

لوحة رقم(2) قبة الشيخ عبد الرحمن محمد ود حاج

لوحة رقم(3) قبة الشيخ محمد ود عدلان بتنقاسي

لوحة رقم(4) قبة الشيخ يسن بالكرو

لوحة رقم(5) عبد الرحمن وعبد الرحيم أولاد جابر بجزيرة ترج

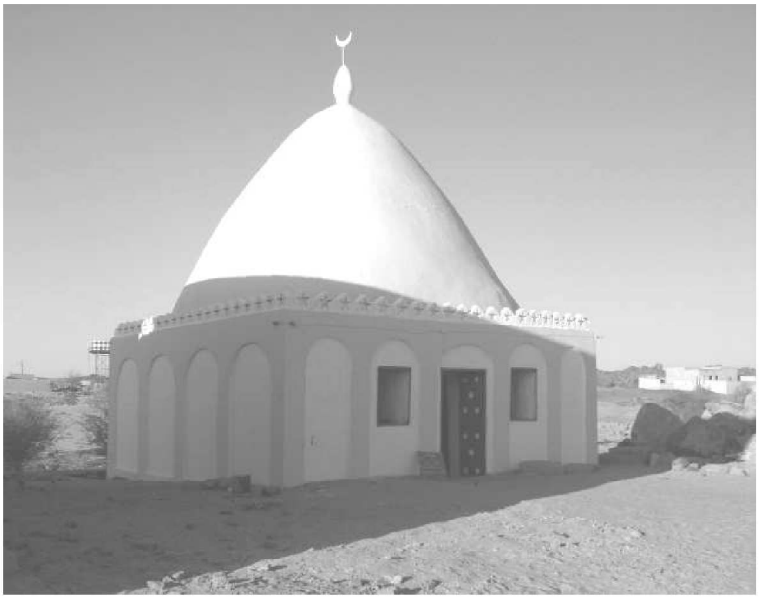

لوحة رقم(6) قبة الشيخ حاج الماحي بالكاسنجر

المراجع:

1) إدريس، محمد فتح الرحمن ،2013م العمارة الإسلامية بمحلية مروي،رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب جامعة دنقلا.

2) الجراري عباس،1986، "المبدع بين الفردية والجماعية " في مجلة الماثورات االشفاهية، السنة الأولي– العدد الثاني ص254، مركز توثيق التراث – الدوحة.

3) الحسين محمد خيرعمر،2009 ديوان حاج الماحي،ط2 الدار السودانية للكتب – الخرطوم.

4) عباس، محمد البلولة،2011، المبدع في الشعر الشعبي بمنطقة الشايقية،الشاعر ابراهيم بن عوف دراسة حالة. رسالة دكتوراة غير منشورة –كلية الآداب جامعة دنقلا.

5) محمد عيسي فرح،2003، الإبداع في الشعر الشعبي مثال تطبيقي الشاعر عثمان ود جماع– دار عزة للنشر – الخرطوم.

6) بنيس محمد، 1985، ظاهرة الشعر المعاصر في المغربط2، دار التنوير للنشر – المغرب.

7) **Hurreiz ,Sayyied.1972jalleen folktales an interplay ofAfrican Arabian and Islamic** elements PHD Dissertation, Indiana university.

علاقة التخطيط السياحي بالتنمية الاقتصادية الشاملة في الدول النامية

د: أحمد عبد السميع علام
جامعة ابو ظبى

مقدمة:

تعتبرالسياحة قاطرة التنمية في القرن الواحد والعشرين بعد أن تعاظم دورها في كثير من الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وقد حظيت السياحة المعاصرة - كنشاط إنساني - بأهمية وإعتبار كبيرين لم تحظ بهما في أي عصر من العصور السابقة، ونجم عن النشاط السياحي نتائج وآثار اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وعمرانية كان لها أثر عظيم وواضح في حركة التنمية السياحية بصورة خاصة والتنمية الشاملة المستدامة في كثير من الدول بصورة عامة، الأمر الذي استدعى توجيه الاهتمام إلى ضرورة تنظيم وضبط وتوجيه وتقييم النشاط السياحى للوصول إلى تلك التنمية المستدامة في بعض الدول التى تأخرت في هذا المجال. وقد ترتب على ذلك اعتماد وتبني أسلوب التخطيط السياحي كعلم متخصص يتناول بالدراسة والتحليل والتفسير جميع الأنشطة السياحية ويعمل على تطويرها.

تظهر مشكلة البحث في تواضع صناعة السياحة في بعض الاقتصاديات خصوصاً الدول النامية، على الرغم من أن المناخ الاستثمارى يؤهلها لتحقيق استثماراً سياحياً ناجحاً يحقق زيادة مضطردة في الدخل القومى، الأمر الذى أثر سلبياً على الدخل السياحى والدخل القومى بصفة عامة مثل مصر التى يتواجد بها مؤهلات السياحة الناجحة التى قد لا تتوافر في بعض الدول المتقدمة وخاصة السياحة الأثرية والتاريخية فهل المشكلة في المناخ السياحى والسياسى في الدولة، أم المشكلة في التطبيق ؟ .

تكمن أهمية الدراسة في المحاور الآتية:

1) تزايد الاهتمام العالمي والإقليمى والمحلى بالتنمية السياحية والتخطيط السياحي بكافة مستوياته وأشكاله.

2) التخطيط السياحى هو أحد عناصر التخطيط الشامل وبالتالى نجاح التخطيط السياحى هو نجاح لخطة التنمية.

انطلاقاً من أهمية البحث والإطار النظري والفكري الذي وضع فيه فهو يهدف إلى التوصل إلى إجابات على النقاط الآتية:

1- أهمية وأهداف التخطيط السياحي.

2- مفهوم التنمية السياحية وعناصرها وكيفية التغلب على مشاكلها.

3- تحديد لأهمية العلاقة بين التخطيط السياحى والتنمية الاقتصادية الشاملة

1- أهم الاقتراحات التي تساعد في تسريع وتطوير التنمية الشاملة

وعلى ذلك يمكن تحديد بعض الفرضيات التى تعتبر علاجاً لهذه المشكلة من خلال:

1 - أن تهدئة المناخ السياسي يزيد من حجم الطلب السياحى الفعال.

2 - الاهتمام بالقوافل السياحية في الخارج تنعكس إيجاباً على الحركة السياحية.

3 - اهتمام الخطة بحجم الإنفاق الاستثمارى على القطاع السياحى ينعكس إيجابياً على حركة التنمية بصورة شاملة.

توضيحاً لتحقيق أهداف البحث فقد اعتمدنا على كل من المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطى من خلال تحليل كل المفاهيم والجزئيات الاقتصادية التى تؤدي إلى تحقيق هدف التنمية الاقتصادية الشاملة مستعيناً بما ورد في الكتب والمراجع العربية والأجنبية والدوريات والإحصائيات والتقارير الرسمية المتعلقة بأدبيات البحث.

أولاً: مفهوم كل من التخطيط السياحى وأهميته والتنمية الاقتصادية الشاملة

مفهوم التخطيط السياحي وأهميته:

يرتبط التخطيط ارتباطاً وثيقاً بالقاعدة الاقتصادية للمجتمع والتى تتمثل في الإادة السياسية والتى تعبر عن وجود سلطة مركزية قادرة على اصدار القرارات التنفيذية من خلال التنبؤ بالمستقبل في صورة خطة لتحقيق أهداف اقتصادية (علام، 2013:4).

والتخطيط يتطلب تحديد الأهداف الأولية والتى غالباً ما تتضمن زيادة معدل النمو الاقتصادى ثم تطوير مستوى وكفاءة الخدمات والمرافق العامة من خلال وضع تصور للنفقات وربطها بالخطة لتحقيق الرؤى الاقتصادية أى أنه اتجاه نحو التغيير المثمر .

ولم يتبلور مفهوم التخطيط السياحي بشكل واضح ومحدد إلا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث تطورت حركة السفر الدولية بشكل سريع وكثيف، وتزايدت أعداد السياح إلى جانب تنوع أشكال السياحة والاستجمام، وتعددت المناطق السياحية واختلفت وظائفها وخصائصها، وقد أدى كل هذا إلى زيادة الاهتمام بالسياحة والأنشطة السياحية، وظهرت الحاجة لضبط وتوجيه هذه النشاطات من أجل الحد من آثارها السلبية على المجتمع والبيئة، وتحقيق أقصى درجات النفع الاقتصادي، خصوصاً بعد أن أصبح ينظر إلى السياحة على أنها صناعة ومصدر دخل أساسي في كثير من دول العالم. والتخطيط السياحي نوع من أنواع التخطيط التنموي وهو عبارة عن مجموعة من الإجراءات المرحلية المقصودة والمنظمة والمشروعة التي تهدف إلى تحقيق استغلال واستخدام أمثل لعناصر الجذب السياحي المتاح والكامن وتحقيق أقصى درجات المنفعة الممكنة، مع متابعة وتوجيه وضبط لهذا الاستغلال لإبقائه ضمن دائرة المرغوب والمنشود، ومنع حدوث أي نتائج أو آثار سلبية ناجمة عنه.

يعرف التخطيط السياحي بأنه رسم صورة تقديرية مستقبلية للنشاط السياحي في دولة معينة وفي فترة زمنية محددة.

ويقتضي ذلك حصر الموارد السياحية في الدولة من أجل تحديد أهداف الخطة السياحية وتحقيق تنمية سياحية سريعة ومنتظمة من خلال إعداد وتنفيذ برنامج متناسق يتصف بشمول فروع النشاط السياحي ومناطق الدولة السياحية

ومن الجدير بالذكر فإن التخطيط السياحى هو دائرة متكاملة تتضمن مجموعة من الفاعلين الأساسيين التى تحقق نجاح هذا التخطيط، فمن جهة لابد أن يكون دور القطاع الخاص واضحاً بجانب دور القطاع الحكومى الرسمي، كما يجب أن يكون للمستهلك دوراً محورياً في وضع الخطة، بالإضافة إلى مؤسسات المجتمع المدني.

فالتخطيط السياحى هو عمل مشترك يتضمن كل المعنيين بالعمل السياحى داخلياً وخارجياً من أجل تحقيق تنمية شاملة وليس تنمية سياحية فحسب (الروبي، 65:1987).

أهمية التخطيط السياحي:

للتخطيط السياحى دوراً فاعلاً في تطوير كافة قطاعات الدولة بالإضافة إلى القطاع السياحى، فهو يتضمن منهجاً علمياً يحقق التوازن بين التنمية السياحية والتنمية الاقتصادية الشاملة، فالاهتمام بالبنية الأساسية الجاذبة للمشروعات السياحية جاذبة لكافة المشرعات الاستثمارية بصفة عامة، كما أن ضخامة الدخل السياحى والذى قد يصل في بعض الدول إلى 25 ٪ من الناتج المحلى الإجمالى هو مصدراً للانفاق الاستثمارى على قطاعات أخرى قد ينخفض معدل نموها إذا ما قورن بالقطاع السياحى، كما أن تكلفة العامل السياحى أقل بكثير من تكلفة أى عامل في القطاعات الأخرى مما يؤثر إيجابياً ويقلل من معدل البطالة في الدولة وبالتالى ارتفاع معدل النمو والذى يساعد على تنشيط حركة التنمية الاقتصادية بصفة عامة.

كما أن التخطيط السياحى يساعد على توجيه جهود جميع الوحدات المسئولة في الدولة سواء على مستوى القطاع السياحى أو القطاعات والانشطة الأخرى المستفيدة من

القطاع السياحى وبالتالى يمنع الازدواجية في القرارات الفاعلة لحركة التنمية بصورة عامة.

أهداف التخطيط السياحى:

يهدف التخطيط السياحى إلى تعظيم العوائد الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على النشاط السياحى، وخفض تكلفة الاستثمار بالنسبة للمشروعات الأخرى، حيث الاهتمام بالبنية الأساسية للمشروعات السياحية سيخفض من تكلفة المشروعات التى تحتاج إلى هذه البنية، كما أن التخطيط السياحى هو جزء من الخطة العامة للدولة وبالتالى فنجاح خطة التنمية السياحية هو نجاح واستمرار للأنشطة الأخرى، كما أن التخطيط السياحى يهدف إلى تحقيق التكامل بين المشروعات أياً كان نوعية النشاط فوجود منطقة سياحية يشجع الدولة على إنشاء مطار يحقق عوائد استثمارية investment proceeds لكلا الطرفين.

مفهوم التنمية الشاملة المستدامة:

التنمية الاقتصادية هي مرحلة حاسمة في حياة الأمم، تتغير فيها كل قطاعات الدولة من الضعف والقصور إلى الإنتاجية الإيجابية والانتعاش والاستخدام الأمثل لكل موارد الدولة الطبيعية والبشرية بما يحقق زيادة ملحوظة في كافة قطاعات الدولة، والتنمية لايمكن أن تكون تغيير في قطاع دون الآخر، بل هي تواصل تنموى بين كافة القطاعات بحيث لايمكن أن تتحقق التنمية من خلال قطاع واحد، فالتنمية الصناعية لايمكن أن تتحقق إلا من خلال تنمية زراعية وهذه الأخيرة لايمكن أن تتحقق إلا من خلال نظام رى جيد واستصلاح للأراضى وتنمية بيئية مستدامة بمعنى أن يكون هناك تنمية سياحية وكل ذلك لن يتحقق إلا من خلال تطوير لوسائل النقل والبنية التحتية infrastructure، فالتنمية السياحية تعتمد على تنمية البيئة في البحر والأرض والجو (علام، 2007م:23)

ولقد ظلت التنمية لفترات بعيدة تفتقد التخطيط المثمر، وكانت تعتمد وفى الدول النامية على بعض الخطط الارتجالية التى تنتهي باستقالة حكومة ما أو تغيير لوزير في الحكومة، وهذا هو السبب الرئيسى في ضعف الاقتصاد في غالبية هذه

الدول، إلا أن التخطيط لابد أن يكون خلال فترة زمنية محددة بمجموعة من البرامج والسياسات أساسية كانت أو فرعية تتضمن كل قطاعات وأنشطة الدول بحيث يحدث توازن في العمل والنتائج وتعتمد القطاعات فيما بينها على التآلف والتعاون المثمر، والقطاع السياحى من القطاعات الهامة التى تعتمد عليه غالبية الدول ذات البيئات السياحية لتحقيق زيادة في الناتج المحلى الإجمالى يتحقق من خلاله تحريك حركة التنمية الشاملة المستدامة، أى تلك التنمية التى تتحقق برؤى vision مستقبلية تتكاتف فيها كل القطاعات لتتحقق تلك اللحظة الفارقة.

علاقة التخطيط السياحى بالتنمية الاقتصادية الشاملة:

يرتبط فهم التخطيط السياحي بشكل كبير بمعرفة مفهوم ومكونات التنمية السياحية وطبيعة العلاقات بين هذه المكونات، والتنمية السياحية هي أحدث ما ظهر من أنواع التنمية العديدة، وهي بدورها متغلغلة في كل عناصر التنمية المختلفة بل هى تمثل جزءاً وعنصراً أساسياً في التنمية الاقتصادية، وتكاد تكون متطابقة مع التنمية الشاملة، فكل مقومات التنمية الشاملة هي مقومات للتنمية السياحية.

لذلك تعتبر قضية التخطيط للتنمية السياحية عند الكثير من دول العالم، من القضايا التى تلزم القائمين بها الالتزام بخطة التنمية المستدامة، كونها تهدف إلى الإسهام في زيادة الدخل الفردي الحقيقي، وبالتالي تعتبر أحد الروافد الرئيسية للدخل القومي، وكذلك بما تتضمنه من تنمية حضارية شاملة لكافة المقومات الطبيعية والإنسانية والمادية والتى هي مصدراً لحركة الاستثمار الإنتاجى productive investment. ومن هنا يكون التخطيط السياحى هو في نفس الوقت خطوة حقيقية نحو التنمية الاقتصادية الشاملة.

ثانياً: دور التخطيط في تحقيق التنمية السياحية

تعريف التنمية السياحية:

التنمية السياحية تعني، الإرتقاء والتوسع في الخدمات السياحية بكافة أنواعها وإحتياجاتها، من خلال تدخل التخطيط السياحى كإسلوب علمى يستهدف تحقيق

أكبر معدل ممكن من النمو السياحى بأقل تكلفة وفى أقرب وقت مستطاع (علام، 2008م:65).

ومن خلال هذا المفهوم نستدل على أن التخطيط هو ضرورة من ضروريات التنمية الاقتصادية بصفة عامة وأن التخطيط السياحى ضرورة ملحة لتحقيق التنمية السياحية، واضعاً في إعتباره تحقيق معدل مرتفع من النمو السياحى باستخدام أدوات علمية وتكنولوجية لم تكن تستخدم من قبل، والتى هي استخدام تكنولوجيا المعلومات في تحقيق تنمية بأقل تكلفة وفى أسرع فترة زمنية معينة، حيث أن التنمية السياحية ترتبط بفهم ومعرفة مكونات التخطيط السياحى وطبيعة العلاقات بين هذه المكونات.

ولما كانت التنمية السياحية هي جزء من التنمية الشاملة وأحد الفروع الحديثة لها، فإن تحقيق معدلات مرتفعة منها يحقق بالتالى زيادة ملحوظة في المتغيرات الكلية للتنمية الشاملة، لذا فلابد أن تتضمن تلك التنمية على عناصر محددة.

عناصر التنمية السياحية: (توفيق، 2002م:39)

عناصر الجذب السياحى، وهى تلك التى تتضمن عناصر من خلق الله سبحانه وتعالى كالمواردالطبيعية (السطح والمناخ والغابات)، وأخرى من صنع البشر كالمتنزهات والمتاحف والمواقع الأثرية التاريخية والأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية بالاضافة إلى أماكن الإيواء كالفنادق والقرى السياحية وغيرها.

2 – وسائل النقل البرية والبحرية والجوية.

3 – الإدا رة السياحية والمعاملات المصرفية وخدمات السياحة المختلفة.

4 – البنية التحتية كوسائل الإتصال والكهرباء والمياه.

5 - بالإضافة إلى الأدوات التى يمكن من خلالها تحقيق هذه التنمية والتى تتضمن تنمية الموارد البشرية

دور التخطيط في حركة التنمية السياحة:

تهدف تنمية الصناعة السياحية إلى تحقيق زيادة مستمرة ومتوازنة في الموارد السياحية. وإن أول محور في عملية التنمية هو الإنسان الذي يعد أداتها الرئيسية.

لهذا فإن الدولة مطالبة بالسعي إلى توفير كل ما يحتاج إليه لتبقى القدرات البدنية والعقلية والنفسية لهذا الإنسان على أكمل وجه.

إن عملية تنمية وتطوير السياحة تكون بحصر المصادر التي يمكن استخدامها في الصناعة السياحية وتقويمها بشكل علمي بل وإيجاد مناطق جديدة قد تجذب إليها السائحين مثل القرى السياحية أو الأماكن المبنية خصوصاً للسياحة. والتقويم هنا ليس مجرد تخمين نظري، وإنما تقويم مقارن مع المنتجات السياحية للدول المنافسة واعتمادها على اتجاهات وخصائص الطلب السياحي العالمي والذي يعد الأساس في تحديد وإيجاد البنية التحتية والقومية للسياحة عبر تشجيع الاستثمار السياحي وتسهيل عمل شركات الاستثمار من خلال تخفيض الضرائب والإجراءات الجمركية على الأجهزة والمعدات اللازمة لمشاريعهم (توفيق، د ت:198)

إن تنمية النشاط السياحي بحاجة إلى تعاون كافة العناصر والإمكانيات والجهود العاملة في الحقل السياحي. لأن السياحة قطاع اقتصادي يضم مرافق عديدة ونشاطات اقتصادية مختلفة. لذلك فإن أي تخطيط للتنمية السياحية يجب أن يهدف إلى وضع برامج من أجل استخدام الأماكن والمناطق والمواد سياحياً، ثم تطويرها لتكون مراكز سياحية ممتازة تجذب السائحين إليها سواء أكانت مباشرة أو عبر الإعلان السياحي أو غيره من مزيج الاتصال التسويقي.إن تنمية الصناعة السياحية تحكمها عدة اعتبارات لا بد من مراعاتها عند وضع الخطة السياحية وهي على النحو التالي: (عبدالقادر، 2003م:197)

- تدريب الجهاز البشري اللازم الذي يحتاج إليه القطاع السياحي حتى تتمكن المنشآت السياحية من القيام بدورها بالشكل المطلوب.
- المحافظة على حقيقة المواقع السياحية، لأن جذب السياح إلى هذه المناطق قد تعتمد على المناخ أو الطبيعية أو التاريخ أو أي عامل آخر تتميز به المنطقة السياحية.
- الاستغلال الجيد للموارد السياحية المتاحة مع توفير المرونة لها لتتمكن من مواكبة احتياجات الطلب السياحي المحلي والعالمي.

- إجراء دراسة شاملة للتأكد من الجدوى الاقتصادية للاستثمارات السياحية المقترحة وفيما إذا كان الاستثمار سيدرّ أرباحاً أم لا.
- دعم الدولة للقطاع السياحي، عبر معاونة القطاع الخاص في تنفيذ البرامج السياحية ويكون ذلك عبر خطة إعلانية تسويقية متكاملة.
- ربط خطة التنمية السياحية مع خطط التنمية الاقتصادية الأخرى لمختلف القطاعات الاقتصادية لتحقيق نمو متوازن وليس مجرد الاهتمام بالسياحة فقط.
- تحديد المشاكل التي قد تعترض تنمية الصناعة السياحية ثم وضع خطط بديلة في حال حدوث طارئ معين.
- دراسة السوق السياحي المحلية، من أجل معرفة نوعية السياح الوافدين وما هي تفضيلا تهم للسعي إلى تأمينها قدر الإمكان.
- توفير شبكة من الفنادق المناسبة لكل شكل من أشكال الدخل، ولكل نماذج الرغبات، بخاصة المناسبة منها لذوي الدخل المحدود، فحركة السياحة لم تعد مقتصرة على الأغنياء.
- رفع مستوى النظافة والخدمات السياحية لأنهما يؤديان دوراً مهماً في تطوير التنمية السياحة، فحين يتم الحفاظ على نظافة الشوارع والشواطئ والآثار وغيرها من عوامل الجذب السياحي، تجعل السائح يرغب في العودة إلى هذا البلد.

نخلص إلى القول مما تقدم إن التنمية السياحية يجب أن تهدف إلى تحقيق زيادة متوازنة ومستمرة في الموارد السياحية إضافة إلى ترشيد وتعميق درجة الإنتاجية في قطاع السياحة، وبالتالي فهي تتطلب وضع برامج لتنسيق السياسات المختلفة داخل البلد نظراً لارتباط السياحة مع مختلف تلك الأنشطة الأخرى مثل النقل والجمارك والتجارة والخدمات بصفة عامة.

وباختصار تحدد أهداف التنمية السياحية عادة في المراحل الأولى من عملية التخطيط السياحي، في مجموعة من الأهداف.

أهداف التنمية السياحية خلال مراحل التخطيط:

1 - العمل على جذب أكبر عدد من الثقافات المختلفة:

فوجود ثقافات مختلفة يحقق معطيات متنوعة منها الحوار الاقتصادى بين هؤلاء والمسئولين السياحيين في الدولة لتحقيق فرص جديدة من الاستثمار الأجنبى المباشر.

2 - زيادة عدد الليالى السياحية:

إن تطوير البنية التحتية للقطاعات السياحية وتحقيق تطوير ملحوظ في المنشآت ووسائل الجذب السياحى كالملاهى والمسارح وأماكن التجمعات المختلفة تحقق استمرارية وجود السياح لأكبر عدد من الأيام وبالتالى يزيد معدل الإيرادات السياحية مما يحقق الهدف النهائى لقطاع السياحة وهو المشاركة الفعالة في الناتج المحلى الإجمالى.

3 - ارتفاع معدل الاحتياطى النقدى للدولة:

يعتبر الاحتياطى النقدى للدولة هو الهدف الأسمى، لتسديد ديون الدولة من العملة الصعبة hard currency ، وأستمرار عملية الاستثمار في الأصول الإنتاجية، ولاشك فإن التخطيط السياحى يجب أن يضع نصب عينية هذا الهدف الاستراتيجى لتحقيق التنمية الشاملة

ثالثاً: عقبات التخطيط السياحى في الدول النامية: (الأنصاري، د ت: مجلة الكترونية)

سرعة التغير في الحياة الاقتصادية:

لاشك أن التخطيط هو تحديد الأهداف، لذا فلابد أن يقوم على تحقيقها، وتحليل البيئة الداخلية والخارجية للقطاع السياحى من أهم معطيات تحقيق هذه الاهداف كما أن الانفتاح على العالم الخارجى والتغيير المستمر هي سمة الاندماج مع نظام العولمة الاقتصادية، ولاشك أن هذه التغييرات المستمرة في النظام والتكنولوجيا من أهم عوائق التخطيط السياحى حيث تقابل الخطة كثير من المتاعب خاصة وأن التخطيط الاستراتيجى الذى هو محور التخطيط الطويل الأمد يتسم بالثبات وعدم التغير في الفترة القصيرة.

طبيعة المناخ السياسى في دول الربيع العربى:

مما لاشك فيه أن القطاع السياحى يزدهر وينمو في الدول ذات الاستقرار السياسى، وأن من أهم عقبات السياحة في الوقت الراهن هو عدم الاستقرار السياسى في بعض الدول وخاصة في دول الربيع العربى مثل تونس ومصر، وبالتالى يواجه التخطيط السياحى صعوبات قد تكون صعوبات مالية ككثرة الإنفاق أو فكرياً وسياسياً تحاشياً لاحتمال فشل الخطة وهو مايؤثرسلباً على حركة التنمية الاقتصادية في هذه الدول، إلا أن القائمين على أعمال السياحة في مصر حالياً يبذلون مجهوداً كبيراً لاستعادة السياحة المصرية لمكانتها، ولقد لوحظ في الآونة الأخيرة وجود تحركات من قبل السياحة الروسية والهولندية وقد تتوالى حركة السياحة بصورة أكبر في المستقبل.

المقارنة بين النشاط السياحى قبل وبعد ثورة 25 يناير في مصر (إحدى دول الربيع العربى)

الدخل السياحى2009 بالمليار دولار	نمو القطاع بالنسبة لحجم الصادرات ٪	البطالة في عام 2009 ٪	البطالة 2010 ٪	معدل مشاركة القطاع من الناتج الاجمالى 2010 ٪	الدخل السياحة 2012 بالمليار دولار	نمو القطاع لحجم الصادرات 2012 ٪	نسبة اشغالات الفنادق 2012 ٪	البطالة ٪	نسبة السياحة من الناتج الاجمالى 2012 ٪
15مليار	٪50	٪9.1	٪8.96	٪11	2مليار	٪7	٪4	٪90	٪1

الجدول من عمل الباحث عن:

http://travelution.els29.com

نلاحظ هنا الفرق بين حجم ونمو النشاط السياحة في مصر وهى إحدى الدول التى تعتبر متقدمة في القطاع السياحى فنجد أن الدخل السياحى قبل ثورة 25 يناير كان 15 مليار سنوياً في عام 2009، في حين انخفض عام 2012 بعد الثورة إلى 2 مليار دولار، وهو يرجع إلى توتر وسوء المناخ السياسى مما أدى إلى انخفاض حجم الطلب السياحى بصورة كبيرة، كذا زادت البطالة بنسبة 90٪ بينما كانت عام 2010 8.96٪ ، كما نجد انخفاض نسبة اشغالات الفنادق عن نفس الفترة إلى 4٪ فقط، بينما نجد أن نسبة مشاركة القطاع السياحى من الناتج الإجمالي 1٪ فقط بينما كانت عام 2010 11٪ من

الناتج الإجمالي وهو مايبين كيف يؤثر المناخ السياسى على خطة النمو في القطاع السياحى وبالتالى يؤثر على خطة التنمية الشاملة في الدولة.

صعوبة وضع تقديرات دقيقة:

من العوامل الهامة لنجاح التخطيط وضع تقديرات دقيقة تتسم بالموضوعية، فإذا اختلفت تلك التقديرات عن البرامج فقدت مصداقيتها وفشلت الخطة عن تحقيق أهدافها، لذا فلابد من وضع مجموعة من البرامج والسياسات التى تعبر عن الاستراتيجيات المحددة للخطة السياحية ولابد أن تتوافق مع الخطة العامة للتنمية.

مقاومة التخطيط:

لما كان التخطيط هو قراءة للمستقبل ولما كان ذلك يكلف المستثمرين الكثير من الأموال، لذا فنجد الكثير منهم يخشون الفشل والإنفاق على خطط جديدة واعتماد مبالغ أخرى لتكليف المسئولين بأعمال جديدة قد لاتتفق مع أفكارهم التى غالباً ماتتسم بالارتجالية والتقليد فيؤدى ذلك على بقاء الشىء كما هو دون تطوير فيفقد التخطيط جوهره الأساسي الذي غالباً مايعتمد على التنبؤ.

رابعاً: دور التخطيط السياحى في تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة

وضع رؤية اقتصادية علمية لزيادة الدخل القومى:

من المعلوم أن قطاع السياحة أصبح مصدراً مهماً للدخل القومى في غالبية الدول متقدمة كانت أو نامية، ونجد أن الدول المتقدمة تعتمد على الدخل السياحى كأحد المصادر الهامة لتطوير بقية القطاعات، حيث يحقق الدخل السياحى زيادة ملحوظة في ميزان المدفوعات حيث الصادرات غير المنظورة والتى لاتكلف الدولة أى تكاليف للنقل أو المصروفات الجمركية، ولاشك أن التخطيط السياحى الجيد يحقق زيادة في حجم الطلب والدخل السياحى والذى بدوره يحقق زيادة في الدخل القومى ولاشك أن الالتجاء إلى البحوث العلمية يحقق الكثير من هذه المعايير من خلال ضوابط علمية يجب عدم تجاوزها، من حيث علاقة هذه الخطة بالنشاط الاقتصادى ككل ومن حيث تطوير البنية الاقتصادية من خلال منظومة علمية تتضمن جهود الباحثين وخبراء السياحة لتضمين الخطة الجوانب الإيجابية لتذليل العقبات التى تنشأ على أرض الواقع، ووضع

أطر جانبية للتخطيط السياحى يشتمل كل أطار على جذب استثمارات قومية في مختلف المجالات لتحقيق تدفقات نقدية أجنبية، تلك التى تصبح مصدراً لحركة التراكم والتنمية الاقتصادية المستدامة، كما يجب وضع أطار آخر يشتمل على استمرارية النشاط السياحى خلال أطول فترة ممكنة من فصول السنة، وليس التركيز على السياحة الصيفية، فيجب التركيز على سياحة المؤتمرات والسياحة الرياضية والثقافية وغيرها من الأنواع التى تستمر أكبر فترة ممكنة وبالتالى جذب أكبر عدد من رجال الأعمال على أرض الواقع يجمعهم أفكار وحوارات وثقافات مختلفة تكون لبنة لمجموعة استثمارات في كافة المجالات، هذا هو دور الابحاث العلمية التى يجب تزويدها لكافة العاملين في مجال التخطيط بصفة عامة والتخطيط السياحى بصفة خاصة (علام، 2007م:99)

زيادة الإنفاق الاستثمارى على قطاع السياحة:

يعتبر الإنفاق الاستثمارى بصفة عامة أحد الاعمدة الرئيسية في تحريك وتنشيط حركة التنمية الاقتصادية، ولما كان القطاع السياحى هو أحد الانشطة الرئيسية الذى تعتمد عليه غالبية الدول في الوقت الراهن، كان لابد أن تتجه خطة التنمية الاقتصادية والخطة الفرعية لقطاع السياحة في التركيز على الإنفاق الاستثمارى في مجال السياحة وخاصة في المجالات التى تحقق عائداً كبيراً من العملات الأجنبية، ومن المعلوم أن الإنفاق الاستثمارى على هذا القطاع وخاصة الإنفاق الحكومى على البنية الأساسية ومشروعات اللوجستيك ترفع من حجم الناتج المحلى الاجمالى ويزيد من رفاهية أفراد المجتمع من خلال خلق فرص عمل وتوفير فرص استثمارية أجنبية مباشرة وتحسن من مستوى دخول الأفراد وبالتالى تسارع في تحقيق عجلة التنمية الشاملة (سعد، العدد 2013/5/14845:21م)

وعلى الرغم من أن كثيراً من المستثمرين يحجمون عن ضخ أموالهم في المشروعات السياحية نظراً لارتفاع تكاليف هذه المشروعات وقلة الإنفاق الحكومي على هذا القطاع، إلا أن وضع خطة طويلة الأجل لتطوير البنية التحتية يشارك فيها القطاع

الخاص وتكوين رأس المال السياحى والتوظيف السياحى سيحقق معدلات ومرود كبير على الاقتصاد القومي للدولة، وبالتالي تحقق أكثر من جانب إيجابي، فمن ناحية ستحقق عائداً كبيراً للمشروعات السياحية، ومن جانب آخر تساعد على جذب حركة الاستثمار في المجالات الأخرى.

ولاشك أنه كلما كان حجم التكاليف أقل، كلما كان ذلك بمثابة زيادة في حجم العوائد الكلي overall proceeds .

وللنظر للتجربة السعودية بالنسبة لأثر الإنفاق الاستثمارى السياحى على نمو الاقتصاد القومى ككل:

الإنفاق السياحى	عام 2000م دولار	معدل النمو	2011 بالمليون دولار	معدل النمو
الإنفاق الخاص	4.230	٪7	5.153	٪4
إنفاق قطاع الأعمال	1.545	٪1.7	2.047	٪4.9
الإنفاق الحكومى	509	٪4. -2	594	٪3.4
إنفاق تكوين رأس المال	2.460	٪11.5	2.886	٪4.2
صادرات السياحة	1.802	-6.5	3.038	٪6.7
الناتج المحلى للسياحة	3.921	٪1.4	5.407	٪5.1
التوظيف السياحي	131.70	٪1	199.60	٪4

المصدر: نحو تنمية شاملة ومستديمة في المملكة العربية السعودية، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودى حتى عام 2011

نلاحظ هنا مدى ارتباط الإنفاق الاستثمارى بارتفاع معدل النمو في اقتصاد المملكة العربية السعودية، فعندما كان إنفاق قطاع الأعمال 1.545 مليون دولار كان معدل النمو 1.2 ٪ بينما أصبح معدل النمو 4.9 ٪ عندما زاد الإنفاق إلى 2.046 مليون دولار عام 2011، أما الإنفاق على الناتج المحلى السياحى فقد حقق عام 2011 معدل نمو 5.1٪ بعد أن كان في عام 2000 1.4٪ حيث زاد حجم الإنفاق في هذه الفترة حوالى 1.486 مليون دولار، أما الإنفاق على استثمار الاصول وهى أهم عناصر التنمية الاقتصادية في أى دولة فقد انخفض

من 11.5 ٪ إلى 4.2٪ نظراً لعدم زيادة الإنفاق الاستثمارى بصورة ملحوظة، وإن كانت معدلات الإنفاق الأخرى حققت قفزات ملحوظة.

دراسة جدوى المشروعات السياحية: أحد عناصر التخطيط الاقتصادي وبالتالي الاستفادة من اختيار المواقع السياحية الهامة لانشاء مشروعات تحقق دخلاً كبيراً وبالتالي الاستفادة التلقائية في تطوير البنية الأساسية التى تعود على باقى قطاعات الدولة بالنجاح في مشروعاتها المخططة وتكون جاذبة لمشروعات استثمارية أخرى تحقق التكامل التنموي بين قطاعات الدولة (علام، 2007م:23).

زيادة دخل الدولة من النقد الأجنبى: نتيجة زيادة حجم الطلب السياحي وزيادة عدد الليالى السياحية في الفنادق وأماكن الجذب السياحى الأخرى وبالتالي زيادة معدل الاحتياطى النقدى من العملات الأجنبية لسداد الديون واستيراد الآلات والمعدات اللازمة لحركة التنمية الاقتصادية (علام، 2007م:25)

تنشيط دور الإعلام السياحي بالخارج:

مما لاشك فيه أن للإعلام السياحى دور هام في حركة التنمية الاقتصادية بعد أن تطورت اتجاهات وأهداف الإعلام في الآونة الأخيرة.

فالإعلام الخارجي أصبح له دور فعال في عرض وجهات النظر الاقتصادية والسياسية للدول الآخذة في النمو، هذه الدول التى تمتلك ثروات طبيعية هائلة غير مستغلة تحقق طفرة اقتصادية لو تم الإعلان عنها وطمأنة المستثمرين الأجانب بتحقيق الأمن والأمان لهم، وللقوافل السياحية في الخارج دور هام في هذا المجال بعد أن تضررت القطاعات السياحية في الآونة الأخيرة نظراً للظروف السياسية التى تمر بها تلك الدول لجذب الاستثمار السياحي الأجنبي والاعتماد على القطاع السياحى بعد انخفاض الاحتياطى النقدى في تلك الدول، وبالتالي ضرورة منح المستثمرين في مجال المشروعات السياحية حوافز استثمارية كخفض الضرائب لفترة معينة وإعفاء الآلات والمعدات من الرسوم الجمركية حتى يتعافى الاقتصاد، ولاشك أن ذلك هو دور الإعلام السياحي. (http://www.bna.bh/portal/mobile/news/)460042

النتائج والتوصيات:

أولاً / النتائج:

1) يعتمد القطاع السياحى في المقام الأول على عنصر البيئة، سواء كانت البيئة الطبيعية التى تتضمن اختيار الموقع المناسب لانشاء المشروعات السياحية والتى يجب أن تحقق أكبر قدر من الحفز الجذب، أو البيئة السياسية وهو صلاحية المناخ السياحى لجذب الحركة السياحية وزيادة حركة الطلب.
2) ارتباط التخطيط السياحى بخطة التنمية الشاملة في الدولة وبالتالى لايمكن الفصل بين خطة التنمية السياحية وخطة التنمية الشاملة في الدولة.

ثانياً / التوصيات:

1) وضع برنامج للاعتماد على الكوادر والخبرات السياحية في مجال التسويق السياحى واستغلال الموارد السياحية، كذا في مجال الدعاية الداخلية والخارجية (القوافل السياحية) لتحقيق زيادة في حجم الطلب السياحي وهو مايؤدي إلى زيادة رصيد الدولة من العملات الأجنبية اللازمة لحركة التنمية الشاملة.
2) الأخذ بمبدأ التخطيط السياحي لتحقق التكامل في التنمية بين كافة القطاعات، والتطابق والتوافق بين الطلب السياحي والمنتج السياحي المقدم، وأيضاً تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة، وتأمين عمليات التحديث والتطوير للمناطق السياحية، والتوسع وإيجاد مناطق سياحية جديدة تتلاءم مع تغير وتطور عمليات التنمية السياحية
3) وضع برامج متدرجة لإعادة هيكلة اقتصادية جديدة للقطاع السياحى بحيث يتناسب مع مرحلة التنمية الشاملة من خلال الاهتمام بالبنية الأساسية في موقع المشروعات السياحية والتى تحقق جذب سياحى وجذب للاستثمار في كافة المشروعات الأخرى.

4) وضع اعتبار المناخ السياسي أثناء خطة التنمية لتحقيق استقراراً في الأوضاع السياسية لتعود حركة الإقبال السياحى بصورة آمنة ويتحقق الاستقرار الاقتصادى اللازم لحركة التنمية الاقتصادية الشاملة.

5) الاهتمام بالثروة البشرية في القطاع السياحي من حيث التعليم والتأهيل، وانشاء كليات ومعاهد سياحية جديدة تخدم القطاع السياحي بظهور كوادر من المرشدين مؤهلين اكاديمياً وثقافياً يستطيعون التواصل بصورة طبيعية مع السائحين وهذا يخلق مناخ ملائم لحركة الاستثمار الاجنبى المباشر أحد الروافد الأساسية لحركة التنمية الشاملة.

6) تبسيط الإجراءات الجمركية للبضائع التي يحتاجها السواح أو البضائع التي تحتاجها صناعة التنمية السياحية مثل الأجهزة في الفنادق والأثاث... الخ. وهذا بدوره يخفض من أسعار الإقامة في الفنادق والمنشآت السياحية الأخرى. وكذلك تبسيط وتخفيض الإجراءات الجمركية على حاجات السواح التي يجلبونها معهم لغرض الاستعمال وليس البيع مثل أجهزة كاميرات الفيديو. أو التلفون النقال أو بعض أجهزة التصوير.. الخ

7) زيادة حجم الإنفاق الاستثماري على قطاع السياحة وخاصة في مجال الأصول الرأسمالية السياحية، ومجال التوظيف أى أن الإنفاق على الاصول الرأسمالية والموارد البشرية سيحقق عوائد رأسمالية capital proceeds كبيرة على الاقتصاد القومى ككل

المراجع:

1. علام، أحمد عبد السميع، دور التخطيط الحكومى في علاج الآثار التضخمية، بحث مقبول النشر، جامعة دنقلا، السودان 2013 ص4.

2. الروبي، نبيل. *التخطيط السياحي*، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1987، 65. -

3. علام، احمد عبد السميع، مبادىء علم الاقتصاد، الدار الجامعية، الاسكندرية 2007

4. كافي، حسين. *رؤية عصرية للتنمية السياحية*، النهضة المصرية، القاهرة، 1987، 37.

5. علام، احمد عبد السميع، علم الاقتصاد السياحى، دار الوفاء للطبع والنشر، الاسكندرية، 2008

6. محمد الشيراوي، عبد المنعم. *واقع وآفاق مستقبل السياحة في البحرين*، بيروت، دار الكنوز الأدبية، 2002، 39

7.توفيق، ماهر عبد العزيز. *صناعة السياحة*، دار وهران عمان، 198.

8.عبد القادر، مصطفى – *دور الإعلان في التسويق السياحي*، الحواسب الجامعية للندوات ط1، بيروت، 2003، 197.

9. عن http://sfaree.blogspot.ae/2012/04/blog-post_6494.html

10. الأنصارى، رؤؤف محمد ، السياحة ودورها في التنمية الاقتصادية، مجلة شهور الاليكترونية عن http://www.st sutuur.com

11. علام، احمد عبد السميع، علم الاقتصاد السياحى، دار الوفاء للطبع والنشر، الاسكندرية 2007.

12. الاقتصادية، فضل بن سعد، مجداف الإنفاق الاستثمارى على قطاع السياحة، العدد 14845 في 2013/5/21

13 علام، أحمد دراسة جدوى المشروعات الفنية والاقتصادية، دار الوفاء للنشر والطبع، الاسكندرية 2007

14 علام، أحمد دراسة الجدوى المرجع السابق

15 فخرو، عصام، ضرورة تفعيل دور الاعلام الخارجى عن http://www.bna.bh/portal/mobile/news/460042

شعرية السرد وتداخل الأنواع الأدبية في منثور أمين الريحاني

د. مجدي سليمان حمزة أحمد
أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية
جامعة دنقلا - كلية الآداب والدراسات الإنسانية

ملخص

هذه الورقة هي قراءة نقدية في جوانب الشعر المنثور الذي اشتهر به شاعر المَهجر أمين الريحاني في بداية القرن العشرين، وبهدف الوقوف على خصوصيات هذا النوع الأدبي الذي يعد أثراً عميقاً من آثار نقل تقنيات الشعر الغربي إلى أدبنا العربي الحديث والذي مهد طريقاً مفتوحاً نحو العديد من الأنواع الأدبية بعد ذلك.

يشمل البحث خلفية تداخل الأنواع الأدبية وتمايزها في تقاطع الخطابين الشعري والنثري اعتماداً على مظهر السرد وتحقيقاً لشعرية هذا النوع الأدبي. ولتحقيق ذلك استعنتُ بملامح بعض المناهج النقدية الحديثة مثل مناهج ما بعد البنيوية كالقراءة والتلقي والتأويل والسيميائية وغيرها مما يتبنى تصورات السرد ويهتم بعتبات النص وغير ذلك.

الشعرية في الحقل النقدي

عندما يتعلق الأمر بالشعرية مفهوماً وتصوراً في الحقل النقدي، فحينها لا يكون البحث عنها بمعزل عن الاختلاف حول مفهوم الشعر بين النقاد قديماً وحديثاً، لأنه مفهومٌ عميق وشائك ومعقّد لاتصاله بالعديد من المعارف الإنسانية، كما أن الإبداع نفسه في تغير مستمر ولكل شاعر مفهومه الخاص يختلف كثيراً أو قليلاً عن غيره.

وتطور الشعرية يعني عدم وجود مقاييس ثابتة تحدد الشعر تحديداً نهائياً، وربما هو السر أن يكون لكل فترة شعرها الخاص وكل بيئة شعرها الذي يميزها عن غيرها. مما يعني الاختلاف النسبي للشعر باختلاف المنطلقات والتصورات بحيث" أن عملاً أدبياً يمكن أن يعتبر نثراً بالنسبة لكاتبٍ بينما هو نص شعري لكاتبٍ آخر"،

وهذا يعني أن البحث في الشعر أمر لا ينتهي، لذا تباينت الآراء و اختلفت المناهج من باحث لآخر(المرتجي، 1987: 23)

تعمق البحث في الشعرية - كمفهوم نقدي - في السنين الأخيرة خاصة بعد التحول الذي طرأ على نظرية الأدب وعلوم اللغة ومناهجها وتعمّق النظرة فيها، والسعي الدؤوب نحو وظيفة الأدب، حيث أصبح جلّ الاهتمام هو البحث عن جمالية الأدب - خاصة الشعر – وحينها لم يكن الحقل الأدبي بمعزل عن الثورة المعرفية التي عرفتها العلوم منذ القرن التاسع عشر، فضلاً عن التحولات التي أحدثها العالم اللغوي دي سوسير في قوله: "باعتباطية العلامة اللغوية" إيذاناً بظهور مفهوم الشعرية كوظيفة لسانية.

إنّ مصطلح الشعرية - وبرغم أنها اتكأت على النقلة المعرفية في المجال اللساني باعتبارها خلفية علمية وفكرية - إلا أن هناك من يرى أن خلفيتها الاصطلاحية واللغوية هي مصطلح لساني يوناني يتكون من وحدات أساسية تتمثّل في الآتي:

أ- وحدة لغوية معجمية تعني في اللاتينية الشعر أو القصيدة.

ب- وحدة لاحقة وهي وحدة ميرفلوجية تدل على النسبة، وتشير إلى الجانب العلمي لهذا الحقل.

وبهذا المفهوم تحدث كثير من النقاد عن مفهوم الشعرية الحديثة أمثال تزيفتان تودروف Tzuetant Todorov(فؤاد أبو منصور، 1985: 253) أحد رواد البنيوية الذين يعتقدون أن مفهوم الشعرية لا يقتصر على الشعر فقط بل هو مفهوم يتسع ليشمل الممارسات اللغوية والأدبية، هذا بالطبع يجعل الشعرية كامنة في الأدب كله، كما أنه سجل اعتراضاً على تحديد مجال الشعرية في الشعر وحده ؛ لأنّ الفوارق بين الشعر والنثر لا تستبعد اشتراكهما في الخاصية الأدبية، وذلك أن البحث في الخصائص العامة للأدب وفي الخطاب الأدبي ككل لا يتجزأ منه هو مبحث الشعرية نفسها، يظهر جلياً في قوله: "إنما تعني الشعرية ببناه المجردة التي نسميها وصفاً أو حدثاً روائياً

أو سرداً"(رابح بوحوش، د ت:4). يعطينا هذا الحديث عن مفهوم الشعرية واجهةً جديدةً عن التداخل النوعي بين الشعر والنثر الذي يتمثل في تقاطع الخطابين الشعري والنثري.

وبهذا المفهوم أشار الكثير من النقاد إلى صعوبة التمييز بين البلاغة والشعرية(بول ريكور، 2011م: 12) لأن الدرس اللغوي الحديث كان لصيقاً باللسانيات، ثم انتقل من اللغويين إلى يد البلاغيين حيث أعيدت الشعرية إلى أحضان البلاغة، فإذا كان هدف البلاغة هو الكشف عن العناصر التي تجعل الخطاب بليغاً، فإن أهداف الشعرية مرتبطة بالخطاب نفسه، وبذلك ينقل "كوهن":" لقد شيدت البلاغة القديمة من خلال منظور تصنيفي بحت، وكانت تبحث فقط في تعريف وتصنيف وترتيب الألوان المختلفة للمجازات، فقد كانت مملة لكنها مع ذلك ضرورية(جون كوهن 1993م، ص62).

فإذا كانت البلاغة القديمة قد سعت إلى تضييق الصور البلاغية والتعريف بها، فإن الشعريين قد بحثوا في هذه الصور(القاسمي: 2011/2/3م) ولعل هذا التداخل بين الشعرية والبلاغة هو الذي دفع جيرارد جنيت Gerard Gnade [1] إلى القول بأن الشعرية ليس في أحد معانيها إلا بلاغة جديدة، فضلاً عن جماعة m Groub البلجيكية التي أوجدت مفهوماً شاملاً يجمع البلاغة بالشعرية عندما أطلقوا على هذا المفهوم اسم البلاغة العامة. اذاً الحديث عن الشعر المنثور هو من مباحث الحديث عن تداخل الأنواع الأدبية وتراسلها، لأن ذلك يعود إلى عدم امتلاك تعريف محدد لأي نوع من الأنواع الأدبية ويرتبط الأمر بعدم وجود حدود فاصلة لها بين مكونات الكل وخصائصه وعناصره، وقطعاً يدخل في ذلك " الشعر المنثور " الذي نحن بصدد الحديث عنه في هذه الورقة. فهو نوع أدبي يصعب تصنيفه تحت أي نوع من

---

(1) من أقطاب الشعرية، أصدر كتابه " عتبات النص " الذي نشير إليه في نظرية التلقي، انظر عبد الحق بلعاد: عتبات جنيت من النص إلى المناص، مرجع سابق، ص 3

الأنواع الأدبية، وكأنه يقترب إلى ما يطلق عليه اليوم بالنص الموازي(نهر، 2009: 796).

الشعر المنثور مفهوم وإطار:

لعل أول ما يتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ " شعر منثور " طرح تساؤلات تتعلق بالوزن باعتباره الجزء الأساس في الشعرية العربية منذ قديم الزمان، خاصة وأن التعريف الراسخ للشعر في أذهاننا:" كلام موزون مقفى يدل على معني" (قدامه بن جعفر، 1962م: 34).

وفي إطار التوفيق بين هذا التعريف ومفهوم الشعر المنثور دارت كثير من التساؤلات حوله حتى يتسنى للباحثين إيجاد وخلق نسق تعريفي له، وربما لعب غياب الإطار النظري الواضح عصب الاهتمام به في تلك الفترة من حيث التعريف وإعادة النظر في قضاياه وخصائصه منذ أن رُصد ظهوره في العام 1905م مع أمين الريحاني.

أما خلفية إطاره النظري فقد دار كثير من الغموض حول المقاربات النسقية التي سعت لتأصيل الشعر المنثور في الأدب العربي القديم، حيث طفت كثير من التساؤلات منها: كيف يمكن للنص أن يكون شعراً ونثراً في الآن نفسه ؟ ولماذا البحث عن قالب مختلف للشعر خارج الشعر ؟ وهل الشعر المنثور هو خرق للحدود الأجناسية ؟ وكيف تتشكل شعرية هذا النوع الأدبي؟ وغير ذلك.

لمحاولة الإجابة على هذه الأسئلة حسبنا أن نسوق بعض الأقوال التي تمثل مقارباتٍ وإرهاصات نظرية تُسوّغ لظهور الشعر المنثور منها: ما حُكي عن سيدنا حسان بن ثابت عندما آتاه ابنه عبد الرحمن - وكان حينها صبياً - يبكي ويقول: " لسعني طائر "، فقال له حسان: " صفه يا بنيّ، فقال: " كأنه مكتفٌ في بُردي حبرةٍ "، " وكان لسعه زنبور "، فقال حسان: ابني قال الشعر ورب الكعبة"(المبرد، د ت: 193).

فمعني قول الصبي هنا أن الطائر الذي لسعه يشبه في أجنحته وشكله المنقّش الجميل الشخص الملتف برداء موشي ومصبغ، ومن خلال حكم حسان على قول ابنه ندرك أن الشعر لا ينحصر في الكلام الموزون المقفى فقط كما جاء في النقد القديم.

هنالك ما رُوى عن الأصمعي (الأصفهاني، 89:1970) حين قال للشاعر بشار بن برد: " إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة، فقال: " أما علمت أن المشاور بين إحدى الحسنيين: بين صوابٍ يفوز بثمرته، أو خطأ يُشارك في مكروهه". فقال له الأصمعي: والله أنت في كلامك هذا أشعر من أبياتك".

هنا يمكن أن نتساءل كيف جعل الأصمعي كلام بشار المنثور شعراً ؟ بعد أن استعان بلفظ التفضيل " أشعر " الذي يقتضي المشاركة والزيادة، مما يجدر بنا القول أن العرب لا يخصون الشعر بالمنظوم فقط، بل قد يكون نثراً خاصة عندما نستحضر مقولة: " أن المعاني الشعرية هي التي تبحث عن ثوبها اللفظي، وليس الثوب الذي ينبغي أن يسيطر عليها" (أبو شادي، 23:1957)

وفي العصر الحديث ظهرت محاولات إمكانية كتابة القصيدة نثراً، وكانت هذه النظرة الانطلاقة الأكثر نضجاً للمحاولات الأدبية التي تحمل سمة التداخل كنتيجة طبيعية لضيق الشعر بقوانين الكلاسيكية، تجلت هذه الرغبة في محاولات مختلفة للتعبير في اللغة والموضوع والشكل في الشعر(الجيوسي، 2001: 122)، وبعد ذلك كانت محاولات المهجريين- وعلى رأسهم الريحاني - أكثر جرأة ونجاحاً في هذا الشأن.

لعبت الرومانسية - كحقل أدبي - دوراً مؤثراً في بنية القصيدة العربية عند شعراء المهجر، مستوعبة كل أغراضها من حديثٍ عن الطبيعة، و الحب، والجمال وغير ذلك، تجسدت في تجاوز الشعراء للشكل القديم وتكسير وحدة القافية، وتقسيم القصيدة إلى مجموعة من الأبيات، لكل مجموعة قافية لا تتبع القافية في المجموعة الواحدة من الأبيات، وتكون القصيدة في بعض الأحيان مزيجاً من القوافي المتنوعة، فضلاً عن تجاوز الوزن(فرفوري، د.ت:21- 211) وحملها للكثير من الظواهر الأسلوبية التي تسهم في خلق جماليات التلقي.

والرومانسية العربية أسهمت بدور كبير في تجاوز السائد الأدبي "الشعري والنثري" سعياً للتجديد الحداثي الثائر على تصورات الكلاسيكية. وهذا يقدر لنا

القول أنها - أى الرومانسية – قد أسهمت بمنجزات فنية في الصورة الشعرية، تمثلت في تصورات المهجريين الذين كانت لهم رؤى خاصة وصور شاعت في أدبهم شعراً ونثراً، أسسوا بها بلاغة عربية جديدة (بلاغة العرب في القرن العشرين " جبران، الريحاني، نعيمة، أبو ماضي، الياس فرحات "، : 2، 85، 105، 147، 158) اختلفت عن بلاغة الكلاسيكيين، فكان إسهامهم في الثورة على القوالب التي نظمت فيها القصيدة الكلاسيكية تمثل " بنية فصامية"(مصلح عبد الفتاح : 686) للقصيدة العربية كان الشعر المنثور أحد صور هذه البنية آنذاك.

والقصيدة الحديثة – بفضل إسهامات المهجريين- أصبحت منفتحة على فضاءات دلالية رحبة تفيض على القارئ بتجلياتها الجمالية وتثيره إلى محاورتها واكتشاف أسرارها وكنوزها بما فيها الشعر المنثور، وهذا – ومما لاشك فيه - يرتبط بتصور مفهوم الشعرية وما يحمله من دلالات خاصة.

كما أن النثر نفسه عمل على مساعدة الشعر من خلال انطلاقة النظرة الرومانسية وتثبيتها في الأدب العربي، إذا وضعنا محاولة الريحاني في الاعتبار بإدخاله رؤية شعرية على النثر بكتابته للشعر المنثور.

من هذه المقاربات التعريفية ندرك جلياً أن الشعر المنثور هو لون شعري أثبت حضوره لكنه كان مشفوعاً ببعض العوائق التي تتمثل في غياب الإطار النظري الذي يحدد مفهومه وموضوعاته (الأشتر، دت :56)، ومما لا يدع مجالاً للشك غياب الإطار النظري أدى إلى الغموض والتداخل في الاستعمال والتداول الاصطلاحيين مثل " كلفظ مرسل، حر، منثور...الخ " وذلك بسبب كثير من العوائق كان من بينها عامل الترجمة التي كان لها الدور في هذا الغموض، فضلاً عن ارتباطه بالحداثة وتباين معانيها (الخمليشي، د ت: 21).

هذه النظرة ليست ببعيدة عن نظرة المنفلوطي، حين يرى أن " الشعر أمرٌ وراء الأنغام والأوزان، ومن النظم بالإضافة إليه إلا كالحلي في جّيد الغانية الحسناء، أو

الوشي في ثوب الديباج المُعلّم، فكما أن الغانية لا يحزنها عطل جيدها، والديباج لا يُزرى به أنه غير مُعلّم، كذلك الشعر لا يذهب بحسنه ووارئه غير منظوم ولا موزون" (المنفلوطي، دت، ص235). إذاً الشعر هو" ثورة مستمرة وتحطيمٌ كلي لحواجز اللغة، كما أن اللغة هي نشأت كنشاط فني ترتبط مع الفن طبيعياً وعضوياً وهي تشكيلة شاعرية "(جاسم، 1995: 22).

كل هذه النظرات المتتابعة لعرض مفهم الشعر عززها تتابع كثير من المقولات في القرن العشرين والتي اكتست بطابع الشعر الأوربي عن طريق عقد المقارنات بينه وبين الشعر العربي، والدعوة لتسلل طرق جديدة إلى الشعر العربي لتلحقه بالشعر العالمي، كمحاولة مجلة الهلال التي قامت بدور كبير في الترويج لمبدأ الشعر والنثر، مثل الموازنة التي عقدتها بين واقع الشعر العربي والأوربي عام 1904م، منها أن الشاعر " فيكتور هيجو"(سلامة، 1992:302) لم يسلك أوزان العروض السابقة له بل تساهل في جانب الألفاظ حيث استحدث أنواعاً جديدة واضعاً قاعدة جديدة مفادها أن الشعر ليس في قالب المعاني، بل هو في المعاني نفسها، بل أن الشعر " أمر باطن " لكل شيء في الوجود. وهذه النظرة الفلسفية لتصور ماهية الشعر ليست ببعيدة عن تصور فيلسوف الجمال العربي ابن رشد حين أشار بقوله عن المحاكاة: " أعني الأقاويل المخيلة غير الموزونة " (**ابن رشد، 1973: 243**)

بعد ذلك جاء من كرّس لمفهوم الشعر المنثور في الأدب العربي أمثال جورجي زيدان (زيدان، 1995:65)

تحدث في هذه المذكرات عن نصٍ شعري سماه " قصيدة منثورة " لأمين الريحاني يتحدث فيها عن غياب الشمس بلبنان في يوم من أيام الخريف عبر عنه " بالحياة أو الموت أو الطبيعة في لبنان " علق زيدان على هذا النص تحت عنوان " الشعر المنثور في اللغة العربية" معتمداً فيه على تعريف العرب للشعر " الكلام الموزون المقفى " وما فيه من صرامة المعيار، بحيث إن لم يكن كذلك لا يعدونه شعراً، فكأنهم عرفوا الشعر بلفظه لا بمعناه، وعرّض بالإفرنج الذين يعرفونه بمعناه دون لفظه، فهو

عندهم منظوم ومنثور، والموزون قد يكون موزوناً غير مقفى، أو مقفى غير موزون، وإنما العمدة عندهم هو الخيال الشعري أو المعاني الشعرية.

وبهذه الخطوة فُتح البابُ واسعاً للدخول إلى عوالم الشعر المنثور والتعرّف على هويته والتي تبدو - في نظرنا - أنها تحمل صفة الاستقلالية، باختلافه عن الشعر والنثر العاديين، ويبدو أن زيدان اطّلع في هذه الفترة المبكرة على إرهاصات هذا النوع الأدبي عند الغربيين أمثال فيكتور هيجو بحيث " أن الشعر المنثور هو كالعسل والبيت كبيت الشمع، أي إذا جُرد العسل من بيت الشمع الذي يحيط به لا يبطل أن يكون عسلاً" زيدان، 122:1905)

بعد ذلك جاءت مجلة " السفور" المصرية في عشرينات القرن العشرين، وتوسعت في نشر تجارب الشعر المنثور لعدد من المبدعين الذين ظهروا قبيل الحرب العالمية الأولي، عكست هذه التجارب تحاملهم على الأوزان القديمة متسقة مع تصورات المهجريين، مثلاً جاء في "غربال نعيمة": " لقد وضع الناس للشعر أوزاناً مثلما وضعوا طقوساً للصلاة والعبادة، فكما أنهم يتأنقون في زخرفة معابدهم لتأتي لائقة بجبروت معبودهم، هكذا يتأنقون في تركيب لغة النفس، لتأتي لائقة بالنفس، وكما أن الله لا يحفل بالمعابد وزخرفتها بل بالصلاة الخارجة من أعماق القلب، هكذا النفس لا تحفل بالأوزان والقوافي بل بدقة ترجمة عواطفها وأفكارها"نعيمة 1991: 78).

مرجعيات الأداء الشعري لقصائد المنثور:

من أهم المرجعيات المتعلقة بالأداء الشعري في قصائد الشعر المنثور ترجع إلى الإطلاع على قصائد الشاعر الأمريكي ولت ويتمان (1819- 1892) في ديوانه " أوراق العشب"، وما أصدره من قصائد عام 1855م كان له دور كبير في ظهور شعر متحرر من الوزن والقافية، إذ نقل لهبي مقابلة نجيب حداد بين الشعرين العربي والإفرنجي بحيث ينقل " لهم نوع من الشعر يسمونه الأبيض، وهو الذي لا يلتزمون فيه بقافية، بل يرسلونه إرسالاً، ولا يتقيدون فيه بوزن، وهو نوع من الحرية الأدبية عندهم" (لهبي، 1996: 74). فمن المؤكّد أثر هذا على شعراء المهجر حين بدأوا بكتابة الشعر

المنثور، فاختاروا شكلاً موازياً لإبداع ويتمان في الأدب العربي ، وهذا تحقق من خلال ثلاثة مسارات هي:

1- ما يرتبط بينابيع النثر الفني العربي وما يمتزج به من آليات رومانسية مسيحية.

2- ما يعود إلى التعبير القرآني باستلهام إيقاعاته وتراكيبه وبلاغته.

3- ومنه ما يرجع إلى طرق الأداء في الكتاب المقدس مستمداً منه الروحانيات والتدفق والآليات التعبيرية (حمدان، 1991:27).

ومن خلال تأثيرات الشعر الغربي عبّر المهجريون عن رغبتهم في تغيير الإطار الموسيقي بإيجاد أشكال هندسية تعكس تأثرهم بالشعر الغربي بعد أن أحسوا بوطأة القافية، ورأوا فيها قيداً يحد من حرية الشاعر، فعملوا على كسر هذا الإطار التقليدي للقصيدة العربية.

هنالك اختلاف حول ريادة الشعر المنثور وأسبقية وجوده وسط شعر المهجر، إذ يشير نعيمة في مقدمة الأعمال الكاملة لجبران خليل جبران أن جبران قام بنشر مقالات من الشعر المنثور في جريدة المهاجر بين عامي 1903- 1908م، ثم جُمعت عام 1914م في" دمعة وابتسامة "(نعيمة: 21)، وهناك من يرجح ريادة الريحاني للشعر المنثور عندما كتب نصه " الحياة أو الموت أو الطبيعة في لبنان"، حيث يقال أنه نشر هذا النص في مجلة الهلال المصرية في الأول من أكتوبر من عام 1905م، مصحوباً بمقدمة جورجي زيدان حول دور الريحاني في إدخال الشعر المنثور إلى العربية (زيدان 1905:24)، ولكن الراجح أن الريحاني هو أبو الشعر المنثور في الأدب العربي وهو الذي مهّد الطريق لجبران من بعده(انظر سلمي الجيوسي ، مرجع سابق، ص42).

تداعيات ظهوره

أما أسباب ظهور هذا النوع الأدبي فقد ثارت كثير من التساؤلات حوله عند أمين الريحاني وأصحابه، كإشارة مصلح عبد الفتاح أن الرومانسيين الذين هاجروا إلى الأمريكتين لم يكن لهم قدر كبير من المعرفة اللغوية وهو ما انعكس في شعرهم تمثل في شيوع الأخطاء اللغوية في أدبهم (النجار: 686)

فكأنه يرى رغبتهم في التمرد على الشكل الأدبي واللغوي تمثلت في هذا الشكل المتحرر "الشعر المنثور"، أو أنه اعتمد على مقولة الريحاني: "لا صيغ قديمة ولا قوافي ولا أوزان، وبدل الشعر المنظوم جئت بالشعر المنثور الذي يشهد على ما في لوح الوجود من موحيات المعاني، والاستعارات والأفكار الجديدة، وقد يجئ فيه شيء من الغموض في بعض الأحايين "(طبانة، 25:1983)

وهناك من يسوق سبباً أخر يتجلي في استفادة المهجريين من انطلاقة الأندلس الأولي في طرق النظم بعد أن وجدوا الطريق ممهداً فعمدوا على تطويرها، تطور يقتضيه الفن الرفيع ويبلغوا بها المرحلة التي تجعل من " الشعر رفيقاً للنفس وتصويراً للإحساس" الريحاني، 1923 : 10) وربما كان ذلك سر خروج الرومانسيين عن الأوزان التقليدية المحصورة في موسيقي الشعر العربي، والسعي نحو استحداث بحور شعرية جديدة تعكس رغبتهم الجادة والتجديدية بجانب استفادتهم من الآداب الغربية.

ومن خلال تعريف الريحاني نفسه للشعر المنثور: " آخر ما توصل إليه الارتقاء الشعري عند الإفرنج...الخ (الريحاني، 182:1923) ندرك تسرب الشعر المنثور إلى الرقعة الشعرية العربية من مدخل أمريكي مع رواد الشعر المنثور أمثال الريحاني، وجبران، ومى زيادة، خاصة أنّ الريحاني وصاحبيه كانوا منشغلين بفكرة النهوض الأدبي وهم في المهجر، وبذلك رأوا أن العروض العربي كأنها عرقلة أمام النهوض الشعري.

فكلمتا " ارتقاء، وقيود" الواردتين في تعريف الريحاني ندرك بجلاء مدى انشغال المهجريين – خاصة الريحاني – بفكرة التقدم التي تعبر عن توجهه الثقافي عربياً.

بهذه المفاهيم ارتبط تغيّر الوزن بتطور مفهوم الشعرية، حين نظر إليه البعض أنه مصطلح غير مرهون بالشعر دون النثر، بل توجد في كلا الفضاءين، فربطت تجليات وتجسيدات مفهوم الشعرية بعيداً عن ربط القصيدة الجديدة بجذورها الأولى في

نصوص الريحاني. من هنا تطور مفهوم الوزن وبات الابتكار في الإيقاع الخارجي أمراً حتمياً في كل قصيدة يتناول شاعرها مفردات تناسب الحدث.

أثبتت المحاولات التجديدية أن هذا النمط الشعري – أعني الشعر المنثور – أكبر من أن يتم حصرها في أوزان محددة باعتبار أن الوزن من شروط القصيدة العمودية، وليس هو وحدة الشعر، كما أنه ليس المكون الوحيد للشعرية التي أصبحت تظهر في غياب الوزن، فضلاً على أن الدراسات الحديثة أثبتت شعرية الأنواع الأدبية من قصة، ومسرح، ولوحة تشكيلية وغير ذلك، الأمر الذي يعطي مؤشراً لإحداث ثورة على مفهوم الشعرية

(موافي ،2000: 27)

بدأ الريحاني بكتابة الشعر المنثور عام 1905م بعد أن قدم تعريفاً له في ديوانه " هتاف الأودية " والذي جمع فيه جميع قصائده في الشعر المنثور، ثم نشرها في الجزأين الثاني، والرابع من الريحانيات، يقول: " يدعي هذا النوع بالإفرنجية verslibre وبالإنكليزية freeverse أي الشعر الحر الطليق، وهو ما آخر ما وصل إليه الارتقاء الشعري عند الإفرنج وبالأخص عند الإنكليز والأمريكيين، فشكسبير أطلق الشعر الإنكليزي من قيود القافية، وولت ويتمان الأمريكي أطلقه من قيود العروض كالأوزان الاصطلاحية والأبحر العروضية، على أن لهذا الشعر الطليق وزناً جديداً مخصوصاً، وقد تجيء القصيدة فيه من أبحر عديدة متنوعة، وولت ويتمان هو مبتكر هذه الطريقة وزعيمها، وقد انضم تحت لوائه بعد موته كثير من شعراء أمريكا وأوربا العصريين، وفي الولايات المتحدة اليوم جمعيات بين أعضائها طريق من الأدباء المغالين بمحاسن شعره، لا تنحصر بقالبه الغريب الجديد فقط بل ما فيه من الفلسفة والخيال بما هو أغرب وأجد" الريحاني، 1923: 132)

كان مفهوم الريحاني للشعر المنثور آخر ما توصل إليه الشعر من الارتقاء وسلم التقدم بفضل ولت ويتمان، فبرغم تحرره من قيود القافية إلا أن له وزن مخصوص، مع إمكانية مجيء قصائده متنوعة البحور، وفي اعتقادنا أن دعوة

الريحاني هذه كانت دعوة تقدمية أملتها عليه حاسته النقدية المنفتحة لمواكبة التقدم في مجال الإيقاع الشعري، جسّد هذه التصورات في نماذج من الشعر المنثور الذي سنستعرض نماذج منه لبيان خصائصه.

فإذا كان الشعر المنثور قد خلا من القافية والوزن - عند البعض – فإنّ شعريته تعتمد على الموسيقي التي تقوم على التوازن بين الجمل المتناظرة المترادفة التي تقوي الإيحاء بالإيقاع الداخلي، ونشهد بنية التناص الديني حاضرة أحياناً، الريحاني في نص " الثورة ":

فهذا التناظر والتوازن بين الجمل حتماً أنه يثير الترديد في ذهن المتلقي وشعور التأثر كمعالجة والانفعال، القارئ لهذه الأبيات كأنه يهدهد نفسه بإيقاع منسجم انسجاماً دقيقاً يسيطر عليه التخييل والصور الشعرية وحضور الذات في هذه العبارات المتدفقة بالعاطفة. لذا يعدونا القول أن نصوص الشعر المنثور لا تخلو من خاصيات الخطاب الشعري التخييلي.

ولعل استيعاب الإيقاع بهذا التفاعل يجعل الإبداع في الشعر المنثور أمراً لا يخلو من صعوبة باعتبار أن الوزن والروي يعينان على خلق الجوي الشعري والتمهيد له، وهو الأمر المفقود في الشعر المنثور (خفاجي،1986: 176، وكأنّ البديل للوزن – بهذا المفهوم – هو موسيقي التناظر والانسجام.

خاصية السرد والتداخل النوعي في منثور الريحاني

يعد السرد عنصراً مهماً من عناصر البناء القصصي فهو تقديم مفصل لحدث حقيقي أو مخترع يكون هدفه تثقيف القراء. أو" هو نقل حادثة أو واقعة من صورة واقعية أو خيالية إلى صورة لغوية" عياد، د ت: 11) وبهذا التعريف صار السرد (جنيت 1990: 44) ملفوظاً قصصياً، أي نمطاً من أنماط الخطاب يتطابق كلياً أو جزئياً مع الأثر، ويكون هدفه قص حدث، فإذا كان الشعر كلاماً منظوماً موقع بغير مكونات الأوزان والقوافي، فإن السرد هو حامل النص القصصي بكل أنماطه، مقابل بنية المشاعر والوجدان. وهو الأمر الذي جعل البعض يطلق على التداخل الشعري

والسردي مفهوم القصة الشعرية كأحد مستويات هذا التداخل. وهنالك من ارتكز على النزعة السردية في الشعر وجعلها وسيلة للتشكيل الدرامي، فظهر الحديث عن القصة الدرامية، وعن درامية التفكير الشعري، وعن تطور الشعر من الغنائية الصرف إلى الغنائية الفكرية باستصحاب ذكر وسائل التعبير الدرامي من حوار بأنواعه، وسرد وأسلوب قصصي (إسماعيل، 1965: 26) وغيره مما نبحث عنه الآن.

والسرد فرعاً من فروع الشعرية عند البعض خاصة نقاد الحداثة أمثال تودروف، إذ لم تعد دلالته الشعرية السمة المميزة للنصوص الشعرية فقط بل هي استنباط القواعد والقوانين الداخلية للخطاب الإبداعي، أي خصائص الأنواع الأدبية والنظم الذي تكون عليها، لذلك كان العمل الأدبي في حد ذاته ليس هو موضوع الشعرية بل موضوعها هو الخطاب النوعي، أي الخطاب وخصائصه النوعية تودر وف، 1987: 147).

أما في الشعر المنثور فالسرد يمثل دوراً مهماً وحضوراً مكثفاً بوجهه الحكائي خاصة في الشعر المنثور، حيث يسهم في تشويق المتلقي لما له من جماليات إيقاعية، فضلاً عن تسلسل المقاطع وسيلان الأسئلة والاستفهامات الحائرة والأساليب الإنشائية كالتعجب والتمني. فالقصيدة المنثورة عند الريحاني كأنها حكايةُ ذاتٍ منشطرة على نفسها تثير أسئلة عن الماضي والحاضر والمستقبل (خليل، د ت: 26) ولذلك تبدو البني السردية حاضرة فيها كالحوار مع الذات أو مع الآخر "الحوار الداخلي والخارجي"، والمونولوج والنشيد الفردي، والنشيد الجماعي، والغناء الفردي، والغناء الجماعي، وأسلوب التحكيم، وبذلك لعب التنامي السردي حضوراً مكثفاً في البني الشعرية التي تزخر بعفوية الحوار(المرتجي، 1987:21) نلمح ذلك بجلاء في نصوص الشعر المنثور:

سرحت في الناس نظري فرأيتهم كلهم ساجدين. ورأيت بمقرب مني رجلاً آخر من الواقفين

فرأيت في وجه هذا الغريب. ماخالج قلبي الكئيب. وصرخت

ساكتاً: إلهنا. إنا غريبان ههنا

ثم كلمته فقلت: ولم الجناز. ومن صلب قد فاز؟ (الريحاني، 1923م:225)

وهو بذلك يمثل دوراً محورياً بين القصة والقصيدة، الأمر الذي جعل التداخل بين الشعري السردي في القصيدة العربية أحد مظاهر بنيتها، وسمة التداخل في شعر الريحاني تكمن في الخاصيات النوعية الممزوجة بين الغنائية والسردية، الملحمية والدرامية أحياناً.

إذاً بنية السرد في الشعر المنثور هي بنية حية تتسم في كل قصيدة ذات نفس قصصي حكائي بخصوصيات وملامح ومفردات الحياة، والاعتماد في هذه القصائد على بنية السرد كأداة محورية في نقل التجربة إلى المتلقي، تتنوع طرق هذه البنية مثل أن يكون الكلام على لسان الآخر، أو أن يكون صوت الشاعر بين المباشرة أو المونولوج الداخلي، وغالباً ما يقوم الشاعر بدور الحاكي أو القاص فينقل المشهد بشخصه:

رأيت فضيلة اليوم نجرُ أذيال الفجروالتبجج في شوارع الريا. وفي أزقة الورع والقداسة...

ورأيتُ ما يُسمينه الناس رذيلة تقضي حياتها في ظلمات السكون والكتمان.وراء ستار الخمول والنسيان فحن إليها فؤادي.(الريحاني 1923م:191)

ومن خلال بنية السرد تتابع المشاهد والصور الوصفية في رؤية بانورامية يمتزج فيها الماضي بالحاضر لإبراز جمالية الزمان القصصي ، كما يلجأ الشاعر في هذه البنية السرد إلى المقابلة بين المشاهد والأحداث، أو المقابلة الزمنية بين ماضي وحاضر.

وتسهم صور الطبيعة والمرئيات إسهاماً فاعلاً في تشكيل بنية السرد وإثرائها فضلاً عن وجود مساحة الغنائية في هذه البنية السردية في الشعر المنثور، حيث تجد الذات مجالاً رحباً للبوح بمكنوناتها والتغني بمشاعرها.

كما يتكرر فعل السرد " الماضي " كظاهرة أسلوبية، ويأخذ السرد أشكالاً متعددة – في النسيج النصي بحيث أن يحقق التواصل مع المتلقي ومن ثم إبراز جماليات النص،

وهذا السرد يخلق صوراً متقابلة يعتمد فيها الريحاني على أسلوب الجمل القصيرة التي تقترب من أسلوب المقال: (**غصن من الورد، : 198**):

ركبت في الأمصار البعيدة هواي وأرحته من عنانه.

غرست في بساتين الغرباء حبي فنّور قبل أوانه.

غرسته في أرض سمراء جديدة فناحت عليه زهور زمانه.

طرحت بذور حبي جزافاً ذات اليمين وذات الشمال.

طرحتها في سهول الحرية. فاحرقها قيظ الفوضى وداستها أرجل الهمجية

طرحتها في أنجاد العلم فأيبس ما نبت منها الصرُّ وحملت رياح النزاع

البقية إلى حيث لا أدرى.

طرحتها على شواطئ نهر الفلسفة الراكد فذوت في ظلاله الظليلة –

ماتت لانها لم ترَ نور الشمس.

غرست حبي في غياض الحضارة الغيضاء فأدمته الأشواك. خنقه

العليق. قتلته الجذور السامة.

وجماليات الشعر المنثور تكمن في السرد القائم على تنوع الأمواج " الأوزان " اعتماداً على تغير السجعة (القافية) إذا اعتبرناها مفهوماً للقافية عند رواد الشعر المنثور، باعتباره " نوع من الصناعة لا تقل دقة واتقاناً عن صناعة الشعر المنظوم" الريحاني، 1981: 54) إذ يبدأ النص أحياناً بلازمة تتكرر تكراراً هندسياً:

تحت الرماد وفوق النجوم. ما لا يرى من حياة تدوم.

رأيت فضيلة اليوم تجر أذيال الفجر والتبجح في شوارع الرياء وفي أزقة الورع والقداسة

فكرهتها نفسي.

ورأيت ما يسمونه الناس رذيلة تقضي حياتها في ظلمات السكون

والكتمان.وراء ستار الخمول والنسيان فحن إليها

فؤادي.

لمْ إذاً نبغض الأشرار. ولمْ إذاً نعبد الأخيار.

لماذا نميل وجهنا عن الفقراء الأذلا. ونعفره أمام الأغنياء والأمراء

تحت الرماد وفوق النجوم.ما لا يرى من حياة تدوم. الريحاني 1923: 194)

كما أن الشاعر يعمد إلى عرض المفارقات عن طريق التقابل بين الأشياء لخلق حساً درامياً يعد مكمناً لبؤرة الصراع، مما يعني أنه عكس لروح الواقع الذي تتجسد فيه كثير من المتناقضات في نظر الشاعر، كما نلتمس تنوع الأمواج " الأوزان " التي تتمثل في تغير السجع في الجمل.

بهذا ندرك أن شعرية الريحاني في الشعر المنثور تكمن في احتفائه بسياق التجديد والحداثة آنذاك، تتمثل هذه الشعرية في التشكيل الفني الذي يعكس نظرة الرومانسيين إلى الأنواع الأدبية وتلاشي الحدود بينها، تشكيلٌ فني قوامه التنويع والتوزيع، والإجمال والتفصيل وتشغيل للمفارقة في أقوي أشكالها، تشكيل فني بنظرة قوامها مناجاة الطبيعة التي تمثل مبدأ التلقائية والسجية معتمداً في ذلك على بلاغة الطلب المتمثلة في تكرار وتوارد صيغة الأمر:

داويني ربة الوادي داويني.

ربة الغاب اذكريني. ربة المروج اشفيني.

ربة الإنشاد انصريني.

❖❖❖

أنشديني على قيثارك من الألحان التي تردد صداها اليوم طيور.

صوت نأيك في الدجى. أرغنك في الدحي. أسمعيني.

إلى صوت عبادك على ضفاف الأنهار. وصوت أولادك في الغفار.

أهديني (الريحاني، 1923: 195)

والسرد في موضوعات الشعر المنثور يعكس نظرة الريحاني إلى مضمون الأدب نفسه التي تجعل الشعر جزءاً من الحياة والحقيقة والخيال، فتبرز الذاتية ويصبح الضمير والوجدان والنفس موضوعاً أساساً لهذا النوع من الشعر، فالنفس جعلها

الريحاني مادة للشعر بقوله: " وعندي لا ينبغي أن يكون الشاعر شاعر النفس عاقلاً أو فيلسوفاً، وكل أن نزعات النفس لهي ماء الشعر وغذاؤه وخمره" الريحاني 1923: 3)

وبهذا التصور نلمح تكرار خطاب" الأنا " في شعره المنثور كظاهرة أسلوبية مكملة لشعرية السرد بحيث تكون النفس البشرية وما داخلها من أحاسيس وعواطف موضوعاً للشعر، الأمر الذي يجعل الإقبال على النفس برسم أشواقها ومشاعرها وتطلعاتها أمراً جلياً في هذا النوع الأدبي، بنظرة لا تخلو من نرجسية الرومانسيين وتقنيات التنويع والتفصيل والتناظر وغيرها ما ذكر آنفاً:

أنا نأي الرعاة من عبادك. أنا عود العشاق من عشاقك.

أنا أرغن المتشرد من عبيدك. أنا كنارة الراقصات ليلة عيدك.

أنا النفس التي تتجلى فيها عرائس جمالك.وتتبع منها أشعة نورك.

وتتطبع عليها أسفار حكمتك. وترف فوقها

بلابل سحرك.

أنا صوتك فسدته الدهور. أنا روحك أنزلت في الفيدا وفي الزبور.

أنا رسولك إلى صفوة العباد. إلى خير من زين الأحلام في المعاد.

بل إلى كل من هام في كل واد.

أنا وحيك في نشيد الإنشاد. أنا نورك في نفس من تسربل التوبة بالإنشاد

أنا في غيثارة نغمة حسبها الجهل ضمن جدران الأهرام. بل أنا

أغنية رددتها الليالي على الأعوام.

أجل أنا غيثارك. وأنا نشيدُك.(الريحاني، 1923:196)

والسرد القائم على توارد الجمل الخبرية أبرز ما يميز منثور الريحاني مثل أن تبدأ النصوص بحرف الجر، أو تتكون من مبتدأ وخبر ما يمثل ظاهرة أسلوبية لتعزز التفصيل والتكثيف:(الريحاني، 1923: 216)

على أبواب الجنة تنتظر الأرواح أحبابها.

بل تنتظر الأحباب أرواحها.

آه على المحبين. المودعين والراحلين.

❖❖❖

أقفُ عند جثماني لأودع أصحابي وخلاني.

ومن فوق نعشي أحي الأعزاء المودعين.

والتعبير عن الغربة النفسية الروحية والمادية يمثل صورة حية في الشعر المنثور، يلجأ بها الريحاني إلى رسم التناقضات حول محيطه، حيث يتجسّد فيها ما يشبه التوتر الدرامي القائم على صراع الطبيعة:

هجرتُ المدن وتلك المدنية وركبت البحار

نثرت على المياه حبي كما تنثر شمس تموز ماسها ولآليها.

نثرته صباحاً فتلونت الأمواج من أهوائه. نثرته مساء

فتوهجت من نيرانه الآفاق الريحاني 1923: 200)

وفي منثور الريحاني يلمح المتلقي غلبة المهام الاجتماعية والسياسية والأخلاقية على الشاعر الذي يتصور نفسه زعيماً للأمة، ومصلحاً لأخلاق الجماعة، ومعلماً يشيع فيما حوله القيم التي يريد تأكيدها بينهم، وبهذه الوظيفة العامة يحس المتلقي بانشغال الريحاني بغيره بقدر انشغاله بنفسه، كون الشعر عنده في الأغلب الأعم تعبيراً عن خلجات النفس، فيبدو حينها تداخل صوت الخطيب مع الشاعر اعتماداً على أنماط الطلب البلاغي من أمر ونهي ودعاء، فضلاً عن غلبة ضميرى المتكلم والمخاطب على لغة الشاعر:

" احذروا من تكرهون ومن تحبون.

ومن تحتقرون ومن تجلون.

لعل عليه القوم أدناهم (الريحاني، 1923: 198)

" ما بالكم تنحبون. أواه ودمعة الفراق من يكفر بها ؟ دمعة

الوداع من يجهلها ؟

دموعكم كالوابل المتساقط على بحر هاجت أمواجه.

دموعكم تسكن الرياح.

دموعكم تنور حول الراحلين زهراً. وتتكون في صدف الحب لؤلؤاً ودراً.

دموعكم نور يضيء ساعة الفراق المظلمة الموحشة.

دموعكم نقط لكلمات سفر الحياة" (الريحاني 1923: 217)

" إني لأجد لذة غريبة في مشاهد هذه البراعيم الجديدة وفي مراقبة نشؤها وغموضها ونموها.

عددتّهم والله مراراً كما تعد الأم أسنان طفلها.

افتقدتهم مراراً كما تفقد الطيور عشوشها.

تلهفتُ أي تلهف على برعم واحد نثرَته الرياح منها.

ولكن زمن السرور قصير تكاد زبدة الأشياء تذوب قبل أن تجمد.

❖❖❖

أواه صرتُ أخشي الاقتراب من وردتي. فقد أثت فروعها. والتفت أغصانها. وقسيت أشواكها.

أواه صرتُ أنظر إليها بغير العين التي شاهدت نشؤ براعيمها ونمو فروعها.

لهفي على وردة الحياة. تريني ألف شوكة قبل أن تفوح بنفحة واحدة من شذاها"(الريحاني، 1923: 205)

إلى حين يا أخي إلى حين.كل مما في العالمين.

وقوله:

ألمسيني بأناملك. تعيدي إلى بها ملكي.

عوديني في الأسحار. تشتد في نسماتك الأشجار.

أغسلي جراحي بموجات من فيوضاتك الالهية.

ضمدي أوتاري برُقية من رقياتكِ الموسيقية

أعيدي إليّ ما سلبتني الآلام من مجد الحياة الشعرية(الريحاني، 1923.، 197)

ويقول:

" إيه أم الطبيعة بل أمي. جئت أجدد معك آمال الحياة وسرورها

جئت أجدد عهدي وإيماني مع كلاء الحقول وزهورها.

وفي " مناجاة أرواح نطالع:

استيقظي يا حبيبتي. استيقظي لأن روحي تناديك من وراء البحار الهائلة، ونفسي تمد جنحيها نحوك فوق الأمواج المزبدة الغضوبة (جبران:، 111)

و نطالع ظاهرة الهمس عند نعيمة وجبران خليل جبران (دمعة وابتسامة: 137)

أفيقي حبيبتي!

هوذا الليل يتعرّى على التلالْ

وفي ثنايا جلابيبه المحوكة من الأحلامْ

ثنيه يهجع فيها ذلك الحلم النوراني.

ولغة الهمس من الظواهر الأسلوبية التي تشكل شعرية الشعر المنثور التي تكاد تهيمن على أسلوبه، إذ تعد ظاهرة تتمثل في شعر المهجريين ونثرهم، المنظوم والمنثور منه يتكشف من خلاله البعد الدرامي، ومن هنا مهدت هذه الظاهرة لمبدأ التداخل بين المنظوم والمنثور، فإذا أمعنا النظر لها في الشعر المنثور ندرك تماماً هذه الظاهرة، تمثل اللغة الحية النابضة التي تمتاز بإمكانات موسيقية أخاذة، وأنماط رشيقة خفيفة على اللسان، وسهلة الوقع في الأذن، تعمل على تخفيف النزعة الخطابية التي تتجلى أحياناً، والوعورة اللذين يجافيان لغة الشعر، ومن هذه الألفاظ المهموسة " **فؤاد، داويني ربة الوادي في منثور الريحاني، وياخليلي الفقير، يا لائمي،مناجاة عند جبران وهكذا.**

يشكل التناظر والتوازن بين الجمل القصيرة أفقا جمالياً يتمثل في خلق الجو الموسيقي عند المتلقي، " وشعرية " الشعر المنثور هنا تعتمد على مبدأ هذا التناظر:

هذه الثورة ويومها العبوس الرهيب.

ألوية كالشقيق تموج. تثير البعيد. تنير القريب

وطبول تردد صدى نشيد عجيب.

وأبواق تنادي كل سميع مجيب

وشرر عيون القوم يرمي باللهيب (الريحاني، 1923 : 183)

ويقول في ":

بربك القيوم. ما الذي تظنه يدوم ؟

صوت سمعته في الكروم. وقد مرت عليها ريح سموم. فجفت

الأرض عادت جزرة كثيرة الكلوم.

سقطت الجفان عن قائلها وفزعت أوراقها إلى الغيوم. الريحاني، 1923 : 188)

ويغطي السرد القصصي مساحات واسعة في الشعر المنثور، إذ يعتمد أسلوبه على نظام الأسطر القائم على التقفية وتكثيف الصور وتفصيل الأحداث، نطالع ذلك في " **رجوع الحبيب** " الذي يعطي عنوانه مكنوناً قصصياً، يبدو فيه مظهرٌ من مظاهر هذا النوع الأدبي.

والسرد والتفصيل يميزان بنية الشعر المنثور عندما يلجأ الريحاني إلى إبراز أحداث واقعية لها تأثيرٌعميقٌ في نفس المتلقي عن طريق تكثيف الصور وتنوع أساليب السرد من وصف وحوار واستفهام وتفصيل كل ذلك عن الثورة:

ويومها القطوب العصيب. وليلها المنير العجيب

ونجمها الأفل يحدج بعينه الرقيب.

وصوت فوضا الرهيب. من هتاف ولجب ونحيب. وزنير

وعندلة ونعيب

وطغات الزمان يسامون ناراً. وأحباره يحملون الصليب.

ويل يومئذ للظالمين. للمستكبرين والمفسدين.

ومن أكثر أساليب السرد في الشعر المنثور توارد الاستفهام الذي يعزز الحوار باشراك الآخر، كما يلجأ إلى ظواهر أسلوبية أكثر فاعلية مثل التكرار الهندسي وتوارد الاستفهام تعزيزاً للحوار والسرد والوصف التي يكمل الشاعر بها النص :

وبربك القيوم. ما الذي تظنه يدوم يدوم ؟

صوت سمعته في الكروم. وقد مرت عليها ريح سموم. فجفت
الأرض وعادت جزرة كثيرة الكروم.
سقطت الجفان عن فسائلها وفزعت أوراقها إلى الغيوم.
صوت صارخ في صفوف النجوم. ما الذي تظنه يدوم ؟

❖❖❖

هكذا يسهم السرد بدور كبير في تشكيل شعرية الريحاني في شعره المنثور.

شعرية العنوان في قصائد المنثور:

غالباً ما يكون العنوان مشحوناً بدلالات عميقة لأنه علامة مختزلة وبنية إشارية دالة يسهم في القراءة والتأويل عند القارئ، وبناءً على بنيته التركيبية والدلالية يمكن الإطلاع على نوعية النصوص وتحديد أشكالها ومضامينها، لذا كان هذا العنوان القصيدة من مكنونات الشاعر.

وقد تصدر العنوان الدال على القص مساحات واسعة عند شعراء المهجر حيث نجد هناك تناغماً بين عنوان القصيدة والقصة والسرد، كون أن العنوان يحدد طبيعة السرد لغة وإيحاءً وحواراً وشعرية لفضاء القصيدة أو القصة وهو الأمر الذي يشتركان فيه معاً، يتجلى ذلك في(**الثورة، حكاية، رؤيا، الحروف النارية، حكاية صديق**)

أوّل ما يقابل المتلقي الذي يطلع على نصوص الشعر المنثور دور العنونة التي تشكل عتبات إبداعية وظواهر أسلوبية تمثل مفتاح لسبر أغوار هذه النصوص، مثل أن يتصدر العنوان بالتعريف الإضافي: " **ربة الوادي، حصاد الزمان، ابنة فرعون، مهد الربيع، هتاف الأودية، عشية رأس السنة** "، أو بألفاظ مهموسة لاستثارة المتلقي لإستكناه مكنون النص وجمالياته وتعزيز ملكة الحوار: "**رفيقي، فؤاد، داويني**"، وغيرها من الظواهر الأسلوبية التي شكلت بلاغة أدب المهجريين ونوعت موضوعاتهم التي كانت تمهيداً لتراسل الأنواع شعراً ونثراً.

وفي عملية التلقي يلعب تداخل النحو دوراً محورياً في نصوص الشعر المنثور من خلال العناوين، فعند مقاربة العنوان يطرح التداخل نفسه من خلال وجهة مغايرة بعض الشيء، إذ يتداخل العنوان ذو المكنون السردي - خاصة المنثور- مع علم النحو

بمعناه التقليدي مثلما حدّده نروثروب: " أصبح النحو والمنطق اسمين لعلمين مخصصين، احتفظا أيضاً بشيء من الارتباط الأكثر عمومية من السرد والجوانب ذات المغزى لكل البُنى اللفظية، كما أن النحو يمكن أن يدعى فن ترتيب الكلمات، ثمة معنى حتى يكون فيه النحو والسرد شيئاً واحداً(غراى، 1991: 351)

كما أن العنوان عند الريحاني يصرّح بالنوع الأدبي في إيحائه بالتداخل واستحضاره آليات النوع في سياق الشعر المنثور، فنلمح تعدد أشكال هذا التداخل من خلال تداخل الخطابين السردي والشعري، والعنوان يشئ بداية بالطريقة التي يكون عليها السرد القصصي الذي سيأتي متضمناً استهلالاً حكائياً بطبيعة الحال، يتجلى ذلك في: (**تذكارات محب**) (الريحاني، 1923م: 77) **غصن من الورد، النفس الراحلة، معبدي في الوادي، عشية رأس السنة**) غيرها.

والعنوان دائماً يكون في وضعية المبتدأ المتقدّم على خبره " النص " ولأن النص ألصق بعنوانه من نظيره الشعري، فالعنوان القصصي صاحب المكنون السردي - في رأيي- يكون أقدر على التعبير على مضمون النص عند الريحاني ، وأكثر ارتباطاً بنصه وهو ما يؤكد العلاقة المشابهة أو التي تتأسس على وضعية المبتدأ والخبر، خاصة تلك الوضعية التي يكون فيها المبتدأ مقدماً على خبره دون العكس.

وبذلك العنوان الذي يتشكل من جملة اسمية يكون أقرب إلى استكشاف هذه الصيغة التي يمكن مقاربتها عبر تحليل عناوين القصص الشعري، مثلاً على هذه الشاكلة: "صدى الأجراس، همس الجفون، هتاف الأودية (نعيمة، 2004: 7، 38) فكلها عناوين تصلح بنيتها للتأكيد على كونها مبتدأ يرتبط بالنص بوصفه خبراً ملتزماً مكانه النحوي التقليدي (فريجان، د ت: 634) مثلاً المفردات الأولي: " صدى، همس، هتاف، " يكون إعرابها مبتدأ وليست خبراً لمبتدأ محذوف كما يميل البعض فريجان:: 200، 220، 248، 515، 607)، لأن إعرابها بهذه الطريقة " خبر لمبتدأ محذوف " يجعل المتلقي يحيل النص إلى ما هو خارجه وليس إلى ما هو داخله، كما يجبره إلى إقحام بنية دخيلة على النص من خلال فرض المبتدأ المحذوف،

وجماليات والعنوان تكمن في أن عليه الإحالة والإشارة إلى نصه قبل أن يحيل إلى ما هو خارجه، وحتى النصوص التي يتناص عنوانها مع عناوين لنصوص أخرى فهي لا تنشغل بالآخر بقدر انشغالها بنفسها وبنصها.

هكذا مثّل العنوان ذو المكنون السردي عتبةً مهمة ومؤشراً لتداخل الأنواع في الشعر المنثور، ومفتاحاً تأويلياً لسبر أغوار نصوصه، أسهم بدور كبير في إثارة حفيظة المتلقي وإبراز جماليات النص.

واكبت كل هذه المقولات بعد ذلك الشعر المنثور ورصدت حركته في المشهد الشعري على أيام رواده من شعراء المهجر، فشكلت هذه المقولات إطاراً نظرياً له، شكل هذا الإطار أفقاً جمالياً متطوراً للشعرية العربية ومظهراً من مظاهر تداخل الأنواع الأدبية، يتسم بالحرية والتدفق الوجداني في فترة امتدت من تسعينات القرن التاسع عشر إلى أربعينات القرن العشرين، وحيث أسست هذه المقولات إلى مشروع الشعر نثراً، بتداخل عناصر نثرية وشعرية، لتشكل نوعاً شعرياً جديداً له كثير من الرواد.

بهذا ندرك أن الشعر المنثور بين هذا الفيض النظري كانت له محاولات جادة وفقاً لتطور الشعرية العربية، فإذا كان الشعر العربي اتسم أساساً بالوزن، وأن الوزن يكسب القصيدة شعرية مقابل النثر: كالقصة أو الرواية، فإن الشعر الذي ابتعد عن الوزن اكتسبت نصوصه شعرية مقابل النصوص الشعرية الموزونة، بالرغم أن هناك من يرى أن الشعر المنثور تخطي الوزن لكن لم يتخط القافية أحياناً انظر محمد جمال باروت: الشعر يكتب اسمه، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، دط 1988م، ص27 .

ولعل هذه المحاولات مثلت محطات مهمة في مسيرة الشعر العربي عموماً بما فيها الشعر المنثور عند رواده المهجريين، ومن خطي خطاهم.

ختاماً مهما يكن من أمر فإن الشعر المنثور هو نوع أدبي بين الشعر والنثر يختلف عن النثر بنغمته الموسيقية والجمل المنسقة تنسيقاً شعرياً جميلاً، كما أنه يختلف عن الشعر بتحلله من الوزن والقافية " أحياناً "، رغم أن البعض يعده نوعاً من أنواع النثر الفني صاحب طابع عصري تخلص من خصائص الصنعة البديعية التي وجدت

في مقامات النثر العربي القديم، حيث صار سياقه أكثر اتساقاً. لكني هنا لا أثبت هذي ولا أنف تلك فحسبه أنه أدب رومانسي يعبر عن تجارب شخصية وذاتية، اعتمد فيها المهجريون على الموقف النفسي والعاطفي، وصار هذا النمط من الإبداع رغبةً تمتلك الشاعر في أن يسلك أسلوباً جديداً يتميز عن القديم في المعجم الشعري، الأسلوب، الصورة، والإيقاع، وهو فوق كل ذلك يعكس الروح الرومانسية التي تدعو إلى تجاوز الحدود بين الأنواع الأدبية.

لذا يمكن القول أن نصوص الشعر المنثور هي نصوص عبر النوعية، يمتزج فيها الشعر بالنثر، والقصة بالقصيدة والمقال، لتخليق أنواع جديدة مهجّنة، وتبدو فيه خواطر منظّمة ونبرات ملحمية وسردية وافتتان بلاغي بحيث " يقع أسلوبه في الحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبية بطابعه المهجّن خلافاً للعفوية(فضل،2002: 265) وهو بذلك نمط من أنماط تداخل الأنواع الأدبية، ونموذج راق لظهور بلاغةٍ شاملةٍ تشكلت فيها كثير من الروافد التي تأثر بها شعراء المهجر. هكذا أصبحنا نشهد - ومنذ القرن العشرين - تداخلاً بين الشعر والنثر بعلاقة جديدة عكست العلاقة المتنامية والمتفاعلة ببعضهما البعض منذ قديم الزمان بين الخطابين الشعري والنثري، فكان طبيعياً أن تولّد هذه العلاقة أشكالاً إبداعية تعكس مظهر التراسل والتداخل كسمة مميزة للشعرية الحديثة.

قائمة المراجع

1. أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد: المقولات، تحقيق محمود قاسم،الهيئة المصرية للكتاب 1980. د.ط.
2. فؤاد أبو منصور: النقد البنيوي الحديث بين لبنان واوربا، دار الجيل- بيروت، ط1 1985م.
3. إبراهيم سلامة: دارسات أدبية بين الشرق والغرب، مكتبة الأنجلو المصرية، دط 1992 م

4. أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق و يوسف مريم على طويل،دار الكتب العلمية - بيروت دت.
5. أحمد زكي أبو شادي: دارسات أدبية،مكتب المعلومات الأمريكي- القاهرة، دط 1957م.
6. الأصفهاني: الأغاني،ج6، تحقيق عبدالكريم العزباوي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط، 1970م.
7. أمين الريحاني: الريحاني. أدب وفن، دار الجيل – بيروت ط3 1981م، ص 54
8. أمين الريحاني: الريحانيات، ج2،المطبعة العلمية ليوسف صادر- بيروت، ط2 1923م.
9. أنور المرتجى: سيمياء النص، أفريقيا الشرق – الدار البيضاء، دط 1987م.
10. بلاغة العرب في القرن العشرين " جبران، الريحاني، نعيمة، أبو ماضي، الياس فرحات "، جمع محي الدين رضا، المطبعة الرحمانية، الحرافيش- مصر دت
11. تزيفتان تودر وف: الشعرية،ترجمة شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر – الدار البيضاء، ط1، 1997 م.
12. جبران خليل جبران: دمعة وابتسامة،دار العرب للبستاني، دار الفجالة – مصر، تقديم نسيبب عريضة..
13. جورجي زيدان:الشعر المنثور في اللغو العربية، مجلة الهلال، العدد الأول، أكتوبر 1905.
14. جون كوهن: بناء لغة الشعر، ترجمة وتعليق أحمد درويش، دار المعارف – القاهرة: مصر، ط3 1993م.
15. جيرارد جنيت: مدخل لجامع النص، ترجمة عبد الرحمن أيوب ،دار لشؤون الثقافية العامة - بغداد دط 1990م.

16. حورية الخميشي: الشعر المنثور والتحديث الشعري، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف - الجزائر.دط، دت.

17. رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص ط1، عالم الكتاب الحديث، إربد الأردن.

18. سلمى الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ط1، 2001 م.

19. شكري محمد عياد: القصة القصيرة في مصر، دار المعرفة الجامعية – القاهرة، ط2.

20. صلاح فضل: تحليل شعرية السرد. دار الكتاب المصري –القاهرة، ودار الكتاب اللبناني – بيروت، د.ط 200م.

21. صلاح لهبي: طلائع المقارنة في الأدب العربي الحديث، دار النشر للجامعات، ط1 1996م.

عبد الكريم الأشتر: النثر المهجري " كتاب الرابطة القلمية " ج1، معهد الدراسات العربية.

22. عثمان موافى: من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، ج2، دار المعرفة الجامعية، 2000م، دط.

عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه " دراسة ونقد "، دار الفكر العربي، ط3 1965م.

23. عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، د.ط، 1992م.

24. عزيز السيد جاسم: دراسات نقدية في الأدب الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، د.ط 1995م.

25. فؤاد فرفوري: أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث وأهم المؤثرات الأجنبية فيها، الدار العربية لكتاب، د.ط. د.ت.

قدامه بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي – مصر، ط3، 1962م.

26. محمد جمال باروت: الشعر يكتب اسمه، اتحاد الكتاب العرب – دمشق، دط 1988م.

27. محمد صائل حمدان: قضايا النقد الحديث، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط11991م.

28. محمد عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب المهجري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2 1973م.

مصلح عبد الفتاح: البنية الفصامية للقصيدة العربية في القرن العشرين، منشورات مؤتمر النقد الأدبي الدولي الثاني عشر، إربد – الأردن، ج2، 2008 م.

ميخائيل نعيمة : همس الجفون، مؤسسة نوفل للنشر: بيروت، لبنان، ط6، 2004م.

29. مريم جبر فريجان: أثر تداخل الأنواع الأدبية في بنية النص الروائي لدى إبراهيم نصر الله، منشورات مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر. إربد – الأردن، ج2، 2008 م.

30. ميخائيل نعيمة: الغربال، نوفل للنشر، بيروت – لبنان، ط15، 1991م.

31. نورثروب غراى: تشريح النقد، ترجمة وتقديم محي الدين صبحي، الدار العربية للكتاب – تونس، د.ط، 1991م.

32. هادي نهر: تكامل العلوم اللغوية وتداخل الأنواع الأدبية، منشورات مؤتمر النقد الثاني عشر، المجلد الثاني، علم الكتب الحديث – الأردن، ط1 2009م.

مواقع الانترنت

fikruanak aljebrlabed.net

جهود علماء الأندلس في تيسير النحو

د. تقوى محمد حجر
جامعة بيشة - كلية الآداب والإدارة
المملكة العربية السعودية

مقدمة

جرت محاولات كثيرة لتيسير النحو تمتد جذورها إلى بدايات ظهور النحو العربي، فظهر عدد من المختصرات والمتون والآراء المخالفة للمدرسة البصرية.ولم يكن علماء الأ ندلس بأقل حنكة ودراية ممن سبقوهم في تيسير النحو.

تجلت أهداف هذه الدراسة في الآتي:

1. معرفة التطور التاريخي لمحاولات تيسير النحو التي جرت في الأ ندلس
2. إبراز دور أهم عالمين هما ابن رشد وابن مضاء
3. توضيح أثر هذه المحاولات على واقع النحو

أهمية الموضوع إلى:

1. دراسة آراء المدرسة الأندلسية متمثلة في آراء ابن رشد وابن مضاء
2. إلقاء الضوء على هذه المحاولات.

أسباب اختيار الموضوع:

1. أهمية قضية تجديد النحو التي أخذت حيزاً كبيراً في التراث العربي منذ المحاولات الأولى.
2. مكانة علماء الأندلس بوصفهم علماء أدلو بدلوهم في قضية تيسير النحو.
3. رغبتي في دراسة موضوع حي يضيف إلى المعرفة الإنسانية في هذا الحقل من حقولها.

المنهج المتبع في إعداد البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتتبع والإطلاع على بعض الدوريات والمجلات المحكمة وسؤال بعض أهل الاختصاص في الدراسات النحوية، توصلت إلى أن هذا الموضوع تحديداً لم يكتب فيه ولم ينشر من قبل.

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقد يمها في محاور :

- محاولات ابن رشد في تيسير النحو من خلال كتابه الضروري في صناعة النحو.
- محاولات ابن مضاء في تيسير النحو من خلال كتابه الرد على النحاة

عنوان هذا البحث هو جهود علماء الأندلس في تيسير النحو، تناولت فيه آراء علما ء الأندلس الإصلاحية.

إذ أنهم ليسوا بأقل حنكه ودراية ممن سبقوهم في تيسر النحو. إذ شعروا بحاجة النحو العربي إلى الإصلاح والتسهيل في بعض أبوابه لكونه عسيراً على الدارسين المتلقين لعلم النحو من الناشئة خاصة، لذا برزت محاولتا بن رشد وابن مضاء كأفضل ما يمثل مرحلة النقد والإصلاح في عصريهما.

فجاءت محاولة ابن رشد واضحة في كتابه الضروري في صناعة النحو أغلب الظن أن ابن رشد قد سبق ابن مضاء القرطبي إلى طرح هذا الموضوع، هذا فضلاً عن أن كتابة يتجاوز كتاب (الرد على النحاة) لابن مضاء الذي اقتصر على الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل في النحو بينما نشر فيلسوف قرطبة صياغة جديدة تماماً لبنية النحو العربي اعتمدت الترتيب المنطقي.

آراء ابن رشد في تيسير النحو:

علماء الأندلس ليسوا بأقل حنكه ودراية ممن سبقوهم في تيسر النحو. إذ شعروا بحاجة النحو العربي إلى الإصلاح والتسهيل في بعض أبوابه لكونه عسيراً على الدارسين المتلقين لعلم النحو من الناشئة خاصة، لذا برزت محاولتا بن رشد وابن مضاء كأفضل ما يمثل مرحلة النقد والإصلاح في عصريهما.

نبدأ بمحاولة ابن رشد، فأغلب الظن أن ابن رشد قد سبق ابن مضاء القرطبي إلى طرح هذا الموضوع، هذا فضلاً عن أن كتابة يتجاوز كتاب (الرد على النحاة) لابن

مضاء الذي اقتصر على الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل في النحو بينما نشر فيلسوف قرطبة صياغة جديدة تماماً لبنية النحو العربي اعتمدت الترتيب المنطقي.

من هو ابن رشد: محمد بن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد فقيه الأندلس وعالم العروتين ولد في قرطبة عام 450هـ، وبها نشأ وتعلم على يد أعلام علماء الأندلس، كفقيه قرطبة أبي جعفر بن رزق والفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن خيرة الأموي المعروف بابن أبي العافية (1) (كتاب البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، أبا الوليد بن رشد - 1984 ج 1 ص11- 12)

عني بالعلم من صغره وكان أشد الناس تواضعاً وأخفضهم جناحاً، ألف كتابه: (الضروري في صناعة النحو) (2) (كتاب الضروري في صناعة النحو للقاضي بن رشد تحقيق د. منصور على عبد السميع. تقديم محمد إبراهيم عبادة ص 17- 18 حورس للطباعة والنشر 2002م).

طريقة ابن رشد في تجديد وتيسير النحو:

اعتمد صياغة جديدة لبنية النحو اعتمدت الترتيب المنطقي، بحيث يكون منهج التأليف في النحو العربي مساوياً للترتيب الذي هو مشترك لجميع الألسنة، منطلقاً في تقسيم الكلام إلى مفرد ومركب وليس اسم وفعل وحرف كما كان عليه الحال منذ سيبويه واتهم النحاة بالتقصير ومخالفة الأصول المنهجية((ابن رشد محمد، 2002م: 26).

العلوم عنده صنفين: 1/علوم مقصودة بنفسها.

2/علوم ممهدة من تعلم العلوم المقصودة.

ثم يضع علم النحو في الصنف الثاني مع تلك العلوم الممهدة التي تتعلم من قبل سائر العلوم، فالنحو عنده ليس مقصوداً بذاته بل هو وسيلة لفهم الكلام وفهم العلوم وعمل الخطب والأشعار وساقه هذا التطور إلى تبين جانبين مهمين في صناعة النحو إذ النحو عنده نحوان، الأول نحو الألفاظ والثاني نحو المعاني (ابن رشد محمد، 2002م: 33).

وبناء الجملة عنده كالآتي

الأول/ الجمل الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب.

والثاني/ جمل إنشائية لا تحتمل الصدق ولا الكذب وجعل الجمل الخبرية على أشكال ثلاثة:

1. مبتدأ وخبر.
2. فعل وفاعل.
3. فعل ونائب فاعل.

وهو ما يمكن أن نطلق عليه الجمل البسيطة (ابن رشد محمد، 2002م:47).

عرف بن رشد الإعراب بأنه هو شكل آخر الاسم بأشكال مختلفة، من خلاف المعني المتداول عليه (ابن رشد محمد، 2002م: 53).

نجد أن هدف ابن رشد من تأليف هذا الكتاب ليس تدارك مسألة من المسائل النحوية فالنحو العربي في نظره (استوفيت) جميع مسائله فلا مجال للزيادة، (وإنما عيبه هو موضوعاته، ومسائلة وجميع جزئياته تعرض بصورة لا ترعى فيها الطريقة التي تجعل من مجموعة من المعارف كيفما كان ميدانها علماً يستحق هذا الوصف (ابن رشد محمد، 2002م: 53).

ويريد ابن رشد للنحو أن يساير العلوم الأخرى ويسير على وفق أساس من منهجي فيبدأ كما يقول: بـ (البسط من كل شيء قبل الركب).

فالابتداء بالألفاظ المفردة ثم المركبة- يعني بها الجمل- هذا هو مبدأ ابن رشد العلمي الذي استند إليه.

وصنف قوانين الإعراب صنفين، صنف يخص الألفاظ المفردة التي تتركب منها الجمل، والأخر يخص الجمل نفسها.

قوانين الإعراب عند ابن رشد:

قوانين القول الخبري البسيط غير المقيد: هو كل اسم يكون خبراً أو مخبراً عنه من غير أن يدخل على الجملة لا فعل ولا حرف عامل، ولا مقدر، ولا مظهر، فهو مرفوع: المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل، (باعتبار الفاعل ونائبة مخبر عنهما بالفعل)

قوانين القول الخبري المقيد بالأفعال وهي خمسة:

1) كل جملة من مبتدأ أو خبر دخل عليها كان وأخواتها.
2) كل جملة خبرية دخل عليها لفظ (ظننت) أو (أعلمت) أو أخواتها من أفعال النفس، فإن هذه الأفعال إذا تقدمت في ترتيب الكلام في الجملة الخبرية نصبت المبتدأ (ظننت زيداً قائماً) فإن توسطت بين المبتدأ والخبر وتأخرت عنهما جاز النصب والرفع فتقول: (زيد ظننت منطلق) وزيد ظننته منطلقاً)
3) كل اسم جنس دخل عليه (بئس أو نعم) فإن كان فيه الألف واللام فهو مرفوع مثل: نعم الرجل زيد، ولهم في رفعه مذهبان أحدهما: أنه مبتدأ وخبر، والآخر أنه خبر المبتدأ، وإن كان الاسم الذي قيد بنعم أو بئس نكرة فهو منصوب، والمخصص له مرفع: نعم رجلاً زيد، ولا يفيد بهذين الفعلين إلا أسماء الأجناس.
4) كل اسم خبر عنه بـ (حب موصولاً) بـ (ذا) مثل حبذا زيد فهو مرفوع، ولا يقع هذا الاسم أبداً في كلامهم إلا مؤخراً عند حبذا، وللنحاة فيه ثلاثة مذاهب، احداهما: على أنه مبتدأ والثاني: على أنه خبر. والثالث: على أنه فاعل يرفع حبذا.
5) كل اسم دخل عليه (عسي أو كاد أو قارب) وما أشبه ذلك من الأفعال فإنه مرفوع والخبر في هذا القول إذا كان فعلاً مع عسي فالأجود أن تكون مع (أن) نحو عسي زيد أن ينجح وأما كاد فالأجود أن تكون بغير أن: كاد زيد يدخل المدينة وقد يقع الخبر مع عسي أسماً.

قوانين الخبر المقيد بالحروف وهي أربعة:

1. كل قول مؤلف من ابتداء وخبر دخل عليه إن وأخواتها فإن المبتدأ يعود منصوباً ويبغي الخبر على حالة مرفوعاً نحو: (إن زيداً منطلق).

2. كل جملة خبرية دخل عليها حرف ما النافية فإن المبتدأ يبغي على حالة مرفوعاً (ما زيُد قائم) وينتصب الخبر على رأي أهل الحجاز إلا أن يدخل على (ما) حرف (إلا).
3. كل جملة خبرية دخل عليها حرف (لا) النافية فإن كانت داخلة على اسم جنس وأردنا استغراق النفي فإنك تجعل لا والاسم كاسم واحد ونبنيه على الفتح كقولك لا رجل في الدار.
4. قوانين الخبر المقيد بالاسم (بقصر الألقاب).

وهي ثلاثة أجناس- بمعني أقسام – قيود الأسماء التي هي ألقاب، قيود الأفعال، التي هي تعمل عمل الفعل (من كتاب الضروري في النحو، موقع واحة الأرواح، (ابن رشد محمد، 2002م: 85).

نتحدث عن قيود الأسماء:

1. كل اسم قيد باسم تقيد بالإضافة فالمضاف إليه مخصوص والمضاف يعرب بإعرابه الذي يخصه نحو غلام زيد، غلاماً زيداً ضاربو زيد، ومن هذه الأسماء ما لا ينفك من الإضافة نحو: مثل شبه وكثر من الظروف.
2. كل اسم قيد باسم على جهة النعت فإنه تابع في إعرابه للموصوف إذا كان الصفة والموصوف كلاهما نكرة، أو معرفة فإن كانت الصفة نكرة والموصوف معرفة انتصبت الصفة انتصاب المنصوب الذي يسمي حالا جاءني زيد راكباً.
3. كل اسم جنس من أجناس العدد قيد بمعدودة من الحادي والعشرين إلى التسعين وقع مجملا في القول الخبري مخصص بنوعه إن ذلك الاسم منصوب وما وقع من الثلاثة إلى العشرة فهو مخصوص، فالأول يميز باسم واحد من جنسه والآخر باسم جمع، كقولك هذه عشرون درهماً وهذه خمسة دراهم.
4. كل اسم نوع وقع خبراً في الجملة الخبرية مخصص بمادته أعني بمجاله فإنه يجوز فيه النصب على التشبيه بالتمييز الواقع في جنس الكمية والخفض على

الإضافة والإتباع على النعت أعني إن كان المنعوت مرفوعاً فالنعت مرفوع وإن كان منصوباً فمنصوب وإن كان مخفوضاً فمخفوض هذا خاتم حديداً على التمييز وحديد على الإضافة وحديد على الصفة لأنه احتمل (ثلاثة معاني).

واختتم ابن رشد بقوله: (أن هذا النحو الصناعي الذي قدم به مسائل النحو والذي ركز فيه الإعراب هو أنفع وأيسر في تعليم الناشئة.

وبهذه الطريقة يكون ابن رشد حاول جاهداً إيجاد طريقة جديدة لترتيب مسائل النحو العربي دون تعمق منه في مسائلة الكثيرة وخص الإعراب دون غيره بهذه المحاولة (ابن رشد محمد، 2002م:54)

وتعتبر محاولة ابن رشد محاولة جادة في إيجاد طريقة مثلي لإفهام الناشة النحو بل هذه الطريقة مفيدة للكبار أيضاً.

وإنه لم يلجأ إلى حذف أو تغيير في مسائل النحو بل عمد إلى الإعراب محاولاً توضيحه بطريقة مختلفة عمن سبق أو ممن جاء بعده، كالقرطبي الذي ثار على الطريقة التقليدية في سرد القواعد النحوية، ومحاولة ابن مضاء هي (أولي المحاولات الإصلاحية في تيسير النحو التي مست القاعدة وقد استوحي نظريته من مذهبه الظاهري، وسنتحدث عن القرطبي وما رمي إليه من تجديد وتيسير في النحو في الصفحات القادمة إن شاء الله.

ابن مضاء القرطبي وآراؤه في تيسير النحو:

هو أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (الطنطاوي، د ت: 231- 232). وقيل أيضاً هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث بن عاصم بن مضاء اللخمي القرطبي الجياني ويكني بأبي العباس وأبي جعفر وأبي القاسم (السيوطي، ج 1: 323).

وقد أغفلت معظم الكتب التي تحدثت عن النحاة واللغويين والفقهاء في ذلك العصر ذكره بالتفصيل رغم ما جاء به من أفكار جديدة في النحو واللغة مما زاد شكوكهم حوله.

1. لم يكن عمل ابن مضاء في سلك القضاء ليمنعه من الكتابة والتأليف في اللغة والنحو، ولذلك نراه يودع أفكاره النحوية واللغوية ومنهجه الجديد ثلاثة من المؤلفات وصل إلينا منها واحد هو (الرد على النحاة) أو(الرد على النحويين) (السيوطي، ج 1: 323) هذا الكتاب هجم فيه على نحاة المشرق وفند بعض قواعدهم في اعتبار العامل وفي توجيه العلل وفي اعتبار القياس والتعويل على التمارين (الطنطاوي، 1991: 231- 232).

آراء ابن مضاء النحوية من خلال كتابه (الرد على النحاة):

وقد تبين أبن مضاء فساد منهج النحويين ودعا الناس إلى تركه بعد أن أوضح لهم ما يجره على النحو من إفساد وبعد عن مقصده قائلاً: (وإني رأيت النحويين- رحمه الله عليهم- وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته من التغيير إلا أنهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها فتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها) (ابن مضاء، د ت: 72)

عصر الكتاب:ألف كتاب (الرد على النحاة) في عصر الموحدين وهو من أزهي العصور التي مرت على الأندلس والمغرب، من حيث ازدهار الحياة العلمية والفلسفية، ويكفي في تشخيص ذلك وتصويره أنه أظل ابن طفيل وابن زهر وابن رشد.

من الواضح أن العصر الذي ألف فيه (كتاب الرد على النحاة) كان عصر ثورة على المشرق وأوضاعه في الفقه وفروعه. قد كانت دولة الموحدين منذ أول الأمر تدعو إلى هذه الثورة حتى أمر يعقوب في عهده بحرق كتب المذاهب الأربعة كأنه يريد أن يرد فقه المشرق على المشرق وقد تبعه ابن مضاء القرطبي قاضي القضاة في دولته، فألف (كتاب الرد على النحاة) يريد أن يرد به نحو المشرق على المشرق.

إلغاء فكرة العامل:وذكرنا من قبل كيف أن ابن مضاء تأثر في موقفه من النحو بشكل عام ونظرية العامل بشكل خاص بمذهبه الفقهي الذي كان يدين به حيث كان في مذهبه ظاهرياً يقيس النص اللغوي ويقف أمامه ويتمسك بحرفيته وعدم الخروج على معانيه الظاهرة (ضيف، ، د ت: 304). فابن مضاء يدعو إلى إلغاء العامل

من النحو العربي وجعل من هذا الموقف أساساً لمنهجه في دراسة النحو العربي والذي أراد به تيسير النحو العربي تسهيل دراسته

يقول ابن مضاء في مستهل كتابه الرد على النحاة متحدثاً عن إلغاء نظرية العامل: (قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعاؤهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي وبعامل معنوي وعبروا عن ذلك بعبارات توهم في قولنا (ضرب زيد عمراً) أن الرفع الذي في زيد والنصب الذي في عمر إنما أحدثه ضرب ((ابن مضاء، د ت: 76) ولكنني أري بأن نظرية العامل لا يمكننا الاستغناء عنها لارتباطها بالنحو منذ نشأته وأنها أي نظرية العامل المقصود بها توضيح العلاقة الدلالية.

وبدأ بعرض أساس هذه النظرية من كلام سيبويه قائلاً: (ألا تري أن سيبويه رحمه الله قال في صدر كتابه (وإنما ذكرت ثمانية مجار، لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه وبين ما يبني عليه الحرف بناء لا يزاول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه) وعقب ابن مضاء على كلام سيبويه بقوله: فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد) ((ابن مضاء، د ت:76 – 77).

إن ابن مضاء وقد درس الكتاب يعلم جيداً أن سيبويه لا يمكن أن يصدر عنه مثل هذا الفهم ويعلم كذلك أن نصوصه في الكتاب وفي أغلب الصفحات منه قد صرح فيها بنسبة العمل إلى المتكلم وهذا سيبويه يقول في باب الإضمار في ليس وكان (فمن ذلك قول بعض العرب (ليس خلق الله مثله فلولا أن فيه إضماراً لم يجز أن تذكر الفعل ولم تعمله في اسم، فنسب الأعمال إلى المتكلم) (سيبويه، ج 1:35)

ثم انتقل بعد ذلك لبيان رأي ابن جني في العامل فقال: (وقد صرح بخلاف ذلك أبو الفتح بن جني وغيره قال أبو الفتح في خصائصه بعد كلام في العوامل اللفظية والعوامل المعنوية: (وإما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم،

إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره) فكان تعقيب ابن مضاء على كلام ابن جني: (فأكد المتكلم نفسه ليرفع الاحتمال، ثم زاد تأكيداً بقوله: لا شيء غيره) وهذا قول المعتزلة وأما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى، وإنما تنسب إلى الإنسان كما ينسب إليه سائر أفعاله الاختيارية.(الظاهرية)

وكأن ابن مضاء ارتضي ما نسبه إلى ابن جني من العمل الحقيقي إنما هو للمتكلم وليس لما يقوله النحاة من الألفاظ أو معانيها فالتمس من العقل دليلا على إبطال عمل الألفاظ فقال: (وأما القول بأن ألألفاظ يحدث بعضها بعضاً فباطل عقلاً وشرعاً لا يقول به أحد من العقلاء لمعان يطول ذكرها فيما المقصد إيجازه، منها أن شرط الفاعل أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله، ولا يحدث الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل، فلا ينصب زيد بعد أن في قولنا (إن زيداً إلا بعد عدم إن).

وهذا يعني أنك نطقت بزيد منصوباً لم يكن إن موجودة فكيف ينسب إليها الفعل وهي معدومة.

ثم ذكر أن الفاعل (إما أن يفعل فعله بإرادة كالحيوان، وأما أن يفعل بالطبع كما تحرق النار ويبرد الماء، ولا فاعل إلا الله عند أهل الحق، أما العوامل النحوية فلم يقل بعملها أحد لا ألفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع.

أثار بعد ذلك ابن مضاء تساؤلاً مؤداه أن النحاة في قولهم بالعامل لعلهم كانوا متسامحين في العبارة فقال: (فإن قيل ما قالوه من ذلك إنما هو على وجه التشبيه والتقريب وذلك أن هذه الألفاظ التي نبسط العمل إليها إذا زالت زال الإعراب المنسوب إليها وإذا وجدت وجد الإعراب، وكذلك العلل الفاعلة عند القائلين بها.

قيل لو لم يستقم جعلها عوامل إلى تغيير كلام العرب وحطه عن رتبه البلاغة إلى هجنة فإننا قد نسامحهم، أما إذا أصروا على اعتقادهم بأنها عوامل حقيقية وأنها هي التي تحدث الآثار في الكلام فلا يجوز إتباعهم في ذلك (ابن مضاء، د ت: ص 78)

أوضح ابن مضاء القرطبي أن المحذوفات على ثلاثة أقسام:

محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم المخاطب به، كقولك لمن رأيته يعطي الناس:(زيداً) أي أعط زيداً فتحذفه وهو مراد وإذا أظهر تم الكلام به، ومنه قوله تعالي(وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) (سورة النحل الآية 30) وقوله تعالي (ناقة الله وسقياها) (سورة الشمس الآية 13). (أي أنزل خيراً) (واحذروا) ناقة الله.

ويوضح صاحب الرد على النحاة بأن المحذوفات في كتاب الله تعالي كثيرة إذ أظهرت تم الكلام وإلا حذفها أبلغ.

- محذوف لا حاجة بالقول إليه بل هو تام دونه، وإن ظهر كان عبثاً كقولك (أزيداً ضربته)
- مضمر إذا أظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره كقولنا (يا عبد الله) وحكم سائر المنادي المضاف أو النكرة حكم عبدا لله وعبد الله عندهم منصوب بفعل مضمر تقديره أدعو أو أنادي، وإذا أظهر تغير المعني وصار النداء خبراً.

وكذلك النصب بالفاء والواو نحو (ما تأتينا فتحدثنا)

ودعا ابن مضاء إلى إسقاط عامل الجار والمجرور إذا كان كوناً عاماً فالنحاة يقولون في نحو (زيد في الدار، ورأيت الذي في الدار، ومررت برجل من قريش ورأى زيد في الدار الهلال في السماء) إن في الدار متعلق بمحذوف تقديره (زيد مستقر في الدار) والداعي لهم إلى ذلك ما وضعوه من أن المجرورات إذا لم تكن حروف الجر الداخلة عليها زائدة فلابد لها من عامل يعمل فيها إن لم يكن ظاهراً كقولنا (زيد قائم في الدار) كان مضمر كقولنا (زيد في الدار) ولا شك أن هذا كلام تام مركب من اسمين دالين على معنيين بينهما نسبة، وتلك النسبة دلت عليها (في) ولا حاجة بنا إلى غير ذلك.

ولعل ابن مضاء يدخل هذا المحذوف في تقسيمه المتقدم تحت القسم الثاني، الذي قال عنه: أنه محذوف لا يحتاج الكلام إليه لأنه تام بدونه (الرد على النحاة ط الثانية ص 78 - 87)

ويقول ابن مضاء في تقدير الضمائر المستترة في المشتقات: (ومما يجري هذا المجري ما يدعونه منه أسماء الفاعلين والمفعولين والأسماء المعدولة عن أسماء الفاعلين والمتشبه بها وما يجري مجراها، ضمائر مرتفعة بها، وذلك إذا لم ترتفع بهذه الصفات أسماء ظاهرة مثل (ضارب ومضروب وضراب وحسن) وما جري مجراها وقالوا أنها ترفع الظاهر من مثل قولنا(زيد ضارب أخوة عمراً) يرى النحاة تقدير ضمير مستتر في ضارب يعرفونه بأنه فاعلاً لها وتقديره هو.

ولم يأخذ ابن مضاء بمقالة النحويين في تقدير الضمائر في الأوصاف أو المشتقات بل قال: (إن الوصف نحو ضارب موضوع لمعنيين: يدل على الضرب وعلي فاعل الضرب غير مصرح به فإذا قلنا: زيد ضارب عمرا فضارب يدل على فاعل غير مصرح باسمه وزيد يدل على اسمه فيا ليت شعري ما الداعي إلى تقدير زائد لو ظهر لكان فضلاً (ابن مضاء، د ت:88- 90)

وفي تقدير الضمائر المستترة في الأفعال: وضع النحاة أصلاً هو أن الفاعل لا يتقدم على فعله فإن تقدم نحو زيد قام فلا يعربون المتقدم فاعلاً بل يعدونه مبتدأ ويقدرون في الفعل ضميراً مستتراً يكون هو الفاعل وتكون الجملة من الفعل والفاعل المستتر خبر ذلك المبتدأ.

يرى ابن مضاء في دلالة الفعل بأن الفعل يدل بلفظة على فاعل مبهم مثله في ذلك مثل الصفات قال: (الأظهر أن ولاية الفعل على الفاعل لفظية، ألا تري أنك تعرف من الياء في يعلم أن الفاعل غائب مذكر،ومن (الألف) في (أعلم) أنه متكلم ومن (النون) في (نعلم) أنه متكلمون ومن التاء في (تعلم) أنه مخاطب أو غائب، ووقع الاشتراك هنا، كما وقع في (يعلم) وما أشبهه، بين الحال والمستقبل.

ونعرف من لفظ (علم) أن الفاعل (غائب) مذكر وعلي هذا فلا ضمير لأن الفعل يدل بلفظه عليه كما يدل على الزمان فلا حاجة بنا إلى إضمار وأما على الرأي الآخر فالأظهر أنه إضمار لما تقدم وهذا رأي النحاة.

الفعل عند ابن مضاء على ثلاثة أشياء، دلالة لفظية: الحدث الزمان- الفاعل ومن هنا دعا إلى إبطال التقدير.

والواضح من كلام ابن مضاء أنه يعرب الاسم المتقدم في نحو زيد قام فاعلاً وقام فعله وهذا يدل على أنه لم يرتق للأصل الذي وضعه النحاة وهو أن الفاعل لا يتقدم على فعله. ومن هنا لا نراه يفرق بين هذين التركيبين: زيد قام، قام زيد، فسواء قدمت الاسم أو أخرته فهو الفاعل (ابن مضاء، د ت:90 - 93)

يمضي ابن مضاء موضحاً رأيه في إلغاء العامل: (فإن قيل أجمع النحويين عن بكرة أبيهم على القول بالعوامل وإن اختلفوا، فبعضهم يقول: العامل في كذا وبعضهم يقول العامل فيه ليس كذا إنما هو كذا إن إجماعهم ليس حجة علينا، وعلى من خالفهم وقد قال كبير من حذاقهم ومقدم في الصناعة من مقدميهم وهو (أبو الفتح بن جني) في خصائصه: (أعلم أن إجماع أهل البلدين (يعني البصرة والكوفة) إنما يكون حجة إذا أعطاك خصمك يده أن لا يخالف المنصوص والمقيس على المنصوص فإذا لم يعط يده بذلك فلا يكون إجماعهم حجة عليه) (ابن مضاء، د ت:82).

إذن فالاعتراض بإجماع النحاة على نظرية العامل لا يعطي المعترض شيئاً ما دامت النظرية فاسدة في نفسها كما ذهب بن مضاء.

ويمضي موضحاً في التنازع: (وقد أبطل ابن مضاء أن يكون في الكلام عامل ومعمول ووارد ذلك كمثال بابي (التنازع والاشتغال).

ويقول ابن مضاء موضحاً رأيه في إلغاء نظرية العامل وذلك في باب التنازع: (وأنا في ذلك لا أخالف النحويين في أن أقول علقت ولا أقول أعملت والتعليق يستعمله النحويين في المجرورات وأنا أستعمله في المجرورات والفاعلين والمفعولين، تقول: (قام

وقعد زيد) فإن علقت زيداً بالفعل الثاني فبين النحويين في ذلك اختلاف) (ابن مضاء، د ت:94)

وقد عرفنا أن ما يطلق عليه النحويون (عامل ومعمول وما يعنيه ابن مضاء بمتعلق ومتعلق به) مثلاً (قام وقعد زيد) هناك خلاف بين النحويين إذا تعلق زيد بالفعل الثاني فالفراء لا يجيزه لأنه يترتب على التعليق بالتالي في مثل (قام وقعد زيد) ومن ثم كان يرى الفراء أن العامل في يد الفعلين جميعاً (ابن مضاء، د ت 94).

أما الكسائي فيجيزه على حذف الفاعل. وغيره من النحاة يجيزه على الإضمار، الذي يفسده ما بعده.

والدليل على حذفه وإضماره قوله تعالي: (حتى توارت بالحجاب) (سورة ص الآية 32) وقوله تعالي: (عبس و تولى أن جاءه الأعمى) ((سورة عبس الآية 1- 2) فهذه الأفعال لا فاعل لها ظاهراً وأما أي الرأيين أحق فرأي الكسائي.

رأي ابن مضاء في الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين أو ثلاثة مفاعيل، فتقول (أعطيت وأعطاني زيد درهماً) وعلي التعليق بالأول: (أعطيت وأعطانيه زيداً درهماً) وتقول: (ظننت وظنني زيد شاخصاً) على التعليق بالأول (ظننت وظنني زيد شاخصاً) و (أعلمت وأعلمني زيد عمراً منطلقاً) على التعليق بالثاني وعلي التعليق بالأول: (أعلمت وأعلمنيه إياه زيداً عمراً منطلقاً) وذهب ابن مضاء إلى أن هذه المسألة وما شاكلها لا تجوز لأنه لم يأت بها نظير في كلام العرب وقياسها على الأفعال الدالة على مفعول به واحد قياس بعيد (ابن مضاء، د ت:98).

ويقول شوقي ضيف معلقاً: (هذا الرأي لا يخص ابن مضاء وحده فمن قبله قال السيرافي على شرح كتاب سيبويه وكذلك الجرمي ومن ذهب مذهبه لا يرون إجراء التنازع في الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين وكذلك التي تتعدى إلى ثلاثة) (المرجع نفسه هامش ص 98).

وفروع التنازع كثيرة منها المفعولات والأفعال غير المتصرفة وأسماء الزمان والمكان وأورد الأمثلة التالية: وفي الأفعال غير المنصرفة كالتعجب، تقول: (ما أحسن

وأعلم زيداً) تعلق زيداً بأعلم وتقول (ما أحسن وأعلمه زيداً) على التعليق الأول بالأول وتقول في ظرف الزمان (قمت وقام زيد يوم الجمعة) وعلي التعليق بالأول (قمت وقام فيه زيد يوم الجمعة) وفي المفعول لأجله (قمت وقام زيد إعظاماً لك) وعلي التعليق بالأول: (قمت وقام زيد إعظاماً لك) وتقديره (قمت إعظاماً لك وقام له زيد).

ويوضح (بأن الأظهر ألا يقاس شيء في هذه على المسموع إلا أن يسمع في هذه كما سمع في تلك (الحال والتمييز لا يجوز القياس فيها لأنهما لا يضمران، أما الحروف فلا مدخل لها، أما الأسماء فتدخل) (ابن مضاء، د ت: 90 – 93)

أما بخصوص أي الفعلين أولي بالتعليق في التنازع، اختار الكوفيون الأول للسبق والبصريون اختاروا الثاني للجوار وذهب ابن مضاء إلى مذهب البصريين قائلاً: (ومذهب البصريين أظهر لأنه أسهل، فإنه ليس إلا حذف ما تكرر في الثاني، أو اضماره على مذهبهم إن كان فاعلاً) (ابن مضاء، د ت: 101)

والتعليق بالأول فيه إضمار كل ما تكرر من متعلقات الأول في الثاني.

والجوار حمل أهل البصرة على أن يقولوا (هذا جحر ضب خرب) فيخفضونه وهو للجحر المتقدم) (ابن مضاء، د ت:101 – 102)ومن الأبواب التي يفترض أنها تعسر الفهم لأنها موضع عامل ومعمول باب الاشتغال ويذكر ابن مضاء كيف اضطرب النحاة في صور تعبير هذا الباب اضطراباً شديداً وذكر أمثله وصور لاضطرابهم: (أزيداً لم يضربه إلا هو، وأخواك ظناهما منطلقين، وأأنت عبد الله ضربته) ويحمل على أمثال هذه الصور التي لم تأت في العربية لكنها جاءت في كتب النحو كما يحمل على دراسة النحاة للباب وتقسيمهم لصورة بين ما يجب رفعه وما يجب نصبه وما يترجح فيه الرفع أو النصب ما يجوز فيه الأمران مقدرين في أكثر الصور عوامل محذوفة لا دليل عليها في قول المتكلم وإنما هي أقيسة النحو التي نفذوها وألزمونا إياها، ويرفض ابن مضاء ذلك لأنه في رأيه لا يفيدنا إلا صعوبة وعنتاً في فهم ألأمثلة التي جاءت عن العرب في الباب ويضع ابن مضاء قاعدة بسيطة تفسر صيغ الاشتغال كلها متي تنصب ومتي ترفع والقاعدة هي: (أن الاسم المتقدم إذا دعا عليه ضمير منصوب أو ضمير متصل

بمنصوب نصب لأنه في مكان نصب وألا رفع لأنه في مكان رفع) وبذا حل أشكال باب الاشتغال وأراح من تضيق النحاة في حمل أمثلته تارة على النصب وتارة على الرفع، ثم اختلافهم وجدلهم (ابن مضاء، د ت: 33).

أورد أمثلة الرفع كقولك: (أزيد قائم) وقوله تعالي: (أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه) (سورة الواقعة الآية: 58 – 59) فأنتم في موضع رفع.

ثم يتحدث عن فاء السببية وواو المعية اللتين ينصب بعدهما المضارع (بأن) محذوفة ليوضح ما وصلت إليه نظرية العامل من تعسف في التقدير والتأويل والنحاة يقدرون المضارع منصوباً بعامل محذوف وجوباً هو (أن) وهو تقدير مغرق في البعد.

وأوضح أن العرب حين تنصب المضارع في هذين البابين لا تنصبه بعامل أو من أجل عامل وإنما تنصبه لتدل على معني لا يتأتي مع الرفع ففي مثل (لا يشتم عمرو زيداً فيؤذيه) حين نصب المضارع كان الغرض التنبيه على أنه يريد أن يقول إن شتم عمرو لزيد يتسبب عنه إيذاؤه ومعناه في الشتم من أنواع الإيذاء ولو أنه رفع لكان المعني مخالفاً لذلك إذ يكون المراد (فهو يؤذيه) أي من عادته ذلك، وفي حال جزم الفعل الثاني، وجعلنا الفاء للعطف يكون المراد (أن الشتم يؤذيه) وكذلك الشأن في مثل (لا تأكل السمك وتشرب اللبن) إن نصب الفعل الثاني كان المعني لا تجمع بينهما، وإن رفع نهي المخاطب عن أكل السمك، أوجب له شرب اللبن أي هو ممن يشرب اللبن، وأن جزم كان النهي على الجمع والتفرقة (ابن مضاء، د ت: 34)

كل ذلك يدلل به ابن مضاء على رأيه وهو أن حركات الإعراب لا تأتي للدلالة على عوامل محذوفة وإنما تأتي للدلالة على معان في نفس المتكلم وأوضح: (قائلاً إذن علينا إلغاء نظرية العامل ما دامت تحول بيننا وبين الفهم الحقيقي لحركات الإعراب ودلالتها)، وواضح أن ابن مضاء يستهدي بآراء المذهب الظاهري الذي يتشدد في التمسك بنصوص القرآن دون تأويل لها أو تقدير.

وقد انتهي به ألأمر من خلال هذه الآراء إلى الدعوة إلى إلغاء نظرية العامل التي تعمد إلى تأويل نصوص القرآن الكريم تأويلاً لا دليل عليه كما يزعم ابن مضاء قائلاً:

(في تأويل نصوص القرآن إذا تقدر فيها أفعالاً وعوامل محذوفة لا تهدي إلى فهم ولا إلى حل لمدلول عبارة وإنما تهدي إلى تصورات النحويين للعوامل وما توهموه في أبوابها وإنه لينبغي أن نهدم هذا التصور ما دام لا يقودنا إلى خير ولا إلى ما يشبه الخير بل أنه يقودنا إلى التأويل وكثرة التقدير في عبارات الذكر الحكيم.

تري الباحثة أن ابن مضاء هدم نظرية العامل التي أسس عليها النحو ولكنه لم يتمكن من الإتيان بالبديل لنظرية العامل.

ثاني الأبواب التي دعا ابن مضاء إلى إلغائها هو إلغاء العلل الثواني والثوالث وكذلك ناقش ابن مضاء موضوع العلل الثواني والثوالث ومن ذلك مثل سؤال السائل عن (زيد) من قولنا (قام زيد) لم رفع؟ فيقال لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع فيقول ولم رفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له: كذا نطقت به العرب، فنجده يقبل بعض العلل ويرفض بعضها ويدعو إلى تحطيمه وهو ما يسمي بالعلل الثواني والثوالث كما دعا إلى تحطيم نظرية العامل ((ابن مضاء، د ت:130).

وقد كان في حملته على علل النحو مسبوقاً فمنذ اكتمل النحو واتضحت معالمه كان من المآخذ التي أخذت عليه ذلك التعليل الذي سرى في كيانه وأخذ حظاً كبيراً من القداسة حتي كاد يدعي قسيماً للنحو وقد تعرض الخليل بن أحمد لشيء من النقد من تلاميذه إثر فتحه باب التعليل على مصراعيه وكان لقوله: (فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها) ثم كان لقول سيبويه: (وليس شيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً) كان لمقالة هذين الإمامين أثره البالغ في إقدام النحاة على التعليل والتوجيه (ابن مضاء، 1978 ص 35).

قسم ابن مضاء العلل ثلاثة أقسام:

قسم مقطوع به ، وقسم فيه إقناع ، وقسم مقطوع بفساده ، الفرق بين العلل الأول والعلل الثواني ، أن العلل الأول بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منا بالنظر والعلل الثواني هي المستغنى عنها في ذلك ولا تفيدنا.

مثال المقطوع به قول القائل: كل ساكنين التقيا في الوصل وليس لأحدهما حرف لين فإن أحدهما يحرك سواء كانا من كلمتين أو كلمة واحدة مثل قولنا

(أكرم القوم) (ابن مضاء، 1978م: 131) وقولة تعالى (قم الليل) (سورة المزمل آية 2).

ولكن حديث العلماء عن العلة لم يخل تماماً من هذه الموضوعية ولا هذه العلمية، فبعض علل النحاة له هذه السمة ويمكن أن يتلقاه الناس بالقبول ، وقد عقد ابن جني ابواباً في كتابة الخصائص نبه فيها على أن علل النحاة ليست كلها متهافتة وكأنة بهذا يريد على النقاد في عصره ، وقال: اعلم أن علل النحاة على ضربين احدهما ما لا بد منه وهو لاحق بالعلل المتكلمين وهو قلب الألف واواً أو ياء لانكسارها فيها مثل ضورب.

أما الضرب الثاني فهو دون ذلك وهو الذي يمكن نقضة نحو قلب الواو ياء في ميزان والياء واو نحو موسر وعلل نصب المفعول ورفع الفاعل وهذه ليس موجبة ولا ملزمة (ا بن جني، 1983 ج1: 48، 145)

ويقول بان العلل الثواني ليست مرفوضة كلها ويذكر المقطوع به تحريك الساكنين إذا التقيا فإذا سألوك لم حرك ؟ فالجواب لأنه لقي ساكناً آخر وكل ساكنين التقيا فإن أحداهما يحرك ، وإذا سألوك ولما لم يتركا ساكنين ؟ لأن النطق بهما ساكنين لا يمكن للناطق.

يقول ابن مضاء فهذه (قاطعة وهي ثانية) يراد بها علة ثانية قاطعة وأوضح أن هذه العلة الثانية هي في الحقيقة كما قال ابن جني تتميم وتكملة للعلة الأولى ، وليست علة مستقلة ، إذ كان يمكن الإجابة من أول الأمر فيقال في جواب السؤال الأول: لأنه لقي ساكنا آخر ولا يمكن النطق بالساكنين.

وقد ذكر ابن مضاء نوعا آخر من العلل دون هذا النوع الذي جعله ابن جني ضرباً آخر ، وقال انه من الممكن نقضه مثل علة قلب الواو ياء في ميزان وميعاد فقال: أنها علة واضحة ولكن يمكن الاستغناء عنها.

وزاد على ابن جني نوعاً ثالثاً وقد عده أي الاستغناء عن النوع الثاني والحق أن في النحو من أمثال هذين النوعين الثاني والثالث كثيراً ينبغي أن يتجرد منه ، حتى تخف

مؤنتة ويسهل أخذه ، فأما العلة الأولى فهي التي يتهم بها العلم لأنها في الحقيقة قانون الظاهرة أو كما قال ابن مضاء: (بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك منه فيظهر) أما ما وراءها فيخرج عن نطاق العلم لأنه كما سبق أن قدمنا ليس تفكيراً موضوعياً بل هو تفكير ذاتي وإذا كان بهذه المثابة فليس له من واقع العلم نصيب.

لان صاحبه مستغرق في تفكير عقلي مجرد ، وكلما أغرق فيه كان بعيداً عن ميدانه ، إن العلة الأولى كانت مقبولة لأنها تصور الظاهرة التي تعرض لا وتصفها وصفا مجردا ، وقد قبل تفسير النحاة لكسر أول الساكنين لاستحالة النطق بهما ساكنين لأنه تفكير موضوعي ، ورفض عللهم فيما لا ينصرف ، وفي إعراب ما أعرب وبناء ما بني ، لأنها لا تستند إلا إلى مقدمات مصنوعة ، ولا تمت إلى المادة المتوسطة بصلة قريبة أو بعيدة.(ابن مضاء، 1978 م: 39- 40)

إلغاء القياس

لا يكتفي ابن مضاء بإلغاء العلل الثواني والثوالث في النحو ، إنما يضيف إلى ذلك طلب إلغاء القياس.

نجده في موقفة من القياس يؤكد على احترام النص اللغوي كما هو والتقيد بالمسموع عن العرب يعتبر من الأسس القوية والمتينة التي أقام عليها منهجه النحوي الجديد، وأنه ليشهد ذلك في مذهبة الظاهري، إذ كان الظاهرية ينعتون العلل كما قدمنا، كما كانوا ينفون القياس وهذا طبيعي عندهم لأن القياس كما هو معروف، يتكون من أصل وفرع وعلة وحك، ومعنى ذلك انه يقوم على العلل، ومن أجل ذلك يرده أصحاب مذهب الظاهرية ، ويحذو حذوهم ابن مضاء فيرده، وقد وقف ينظر في أمثلته لإعراب الفعل الضارع ، فأنهم يذهبون إلى أن أعرب لشبهة بالاسم أو بعبارة أدق لقياسه على الاسم، فالاسم أصل في الإعراب والفعل فرع ، وكذلك تشبيه إن و أخواتها بالأفعال المتعدية في العمل أما تشبيه الأسماء غير المنصرفة بالأفعال فاشية قليلاً.

ويرى ابن مضاء في هذا كله إغراقاً في التفسير ، إذ لم يكن الإعراب أصلاً في الاسم وفرعاً في الفعل المضارع ، إن المعقول أن يكون أصلا فيهما جميعاً.

يتبين لنا من خلال موقف ابن مضاء من السماع أن اللغة في نظره هي الغاية بينما النحو شيء موضوع مصطلح عليه و يتوصل به إلى النطق بكلام العرب فالنحو عنده وسيلة وليس غاية(ابن مضاء، 1978م: 134- 137).

إلغاء التمارين:

وآخر ما دعا إليه ابن مضاء هو إسقاط التمارين في النحو تلكم التي يفترضها النحاة للتدريب على إحكام الإعلال والإدغام. قال: (ومما ينبغي أن يسقط من النحو (ابن من كذا مثال كذا) كقولهم: (ابن من البيع) مثال (فعل) فيقول قائل: (بوع) أصلة بيع فيبدل من الياء واو لانضمام ما قبلها، قياساً على (موقن وموسر) من الممكن أن يقول شخص آخر بل هي بيع محتجاً بأن الباء سكنت وضم ما قبلها ، فقلبت الضمه كسرة، قياساً على قلب العرب لها كسرة في مثل (بيض وعين وغيد) في جمع بيضاء عيناء وغيداء) ويورد ابن مضاء حجه كل من القولين: أما حجه من أبدلوا الياء واوا فهي أن (بوع) مفرد وحمله على (موسر) ونظرائه أولى من حمله على الجمع فإن جمعة مياسير، وأيضاً فإن الغالب أن يتبع الناس الأول لا العكس إلا تراهم يقولون (ميعاد وميزان) وأصلها مِوعاد و مِوزان، فأبدلوا الآخر للأول، ولم يبدلوا لكسره ضمة، ولا فتحه، لتصبح الواو، كذلك وضعوا بمثل (صام صياما ورأيت غازياً) فهذه الألفاظ كلها أصلها واواً، وقلبت الواوات ياءات إتباعا للأول ، وأما حجه من أبدلوا الضمة كسرة فهي أن العرب صنعوا ذلك في مثل (بيض) وأيضاً فقد يتبع الأول الثاني كما نرى في مثل (امرو وابنم) وكما نرى في مثل ادخل فإن ألف الوصل تضم في فعل الأمر إتباعا لعين الفعل.

وعلى هذا النحو يدلي ابن مضاء بحجة كل من أصحاب القولين ليدل على مدى ما وصلت هذه التمارين غير العملية في النحو وكيف أنها تشغل النحاة بوجوه وعلل ، لا حاجه لنا بها ، سوى التمارين فيما لا فائدة فيه ، وأي فائدة تفيدها من صيغة بوع أو بيع التي لم تأت عن العرب والتي لسنا في حاجة إلى استعمالها ؟

يقول ابن مضاء: (إن الناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصيحة الصحيحة ، فكيف بهذا المظنون المستغنى عنه).(ابن مضاء، 1978م: 138- 139)

وقد سُبق ابن مضاء أيضا بهذا الاحتجاج على التمارين نجد عبد القاهر الجرجاني في صدر كتابة دلائل الإعجاز أنكر ما أنكره معاصروه في النحو وحكي أقوالهم بقولة: (فإن بدءوا بذكر مسائل التصريف التي يضعها النحاة للرياضة ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس ، كقولهم كيف تبني من كذا وكذا.(ابن مضاء، 1978م: 21- 22)

وعقد سيبويه في أواخر كتابة أبواباً بين فيها كيفية بناء المعتل على مثال الصحيح والمضعف.

وكذلك ابن جني عقد فصلاً في الغرض من هذه المسائل ابن مضاء، 1978 م: 41 – 44)

ولا يخفى على دارس النحو ما يلاقيه الطلاب من عنت ومشقة في استيعاب هذا العلم وعلى حد قولي أرى بأن ابن مضاء أراد تيسير النحو بشنه حملة على نظرية العامل، وابن مضاء تأثر بمذهب الظاهرية وهم أكثر ما يكرهون التأويل في اللغة وهي عندهم غاية.

وأبطل الظاهرية كذلك القول بالعلل فهم يقدسون النص اللغوي والوقوف أمامه مره أخرى وتأثر ابن مضاء بمذهبة الظاهري في إلغاء التمارين يرى بأنها غير عملية.

أرى بأن ابن مضاء عاش في ذلك العصر الذي شهد ثورة عارمة على مذاهب الفقه بل أحرقت كتب مذاهب الفقه في ذلك العصر حتى يرد فقه المشرف عليه، ورفضوا المذاهب الأربعة وكان المذهب الظاهري هو سيد الموقف.

ولكنني أكاد أجزم بأن أحداً في عصره لم ينتبه لكتابه هذا وظل كتابة طي النسيان إلى أن جاء شوقي ضيف وأظهره للوجود، وجعله مجددي العصر الحديث ركيزة يعتمدون عليها ونبراساً ينير لهم طريق تجديد النحو، فكانت دعوته إلى تجديد النحو أدت إلى فتح باب الإصلاح والنظر في النحو على مصراعيه.

فكتاب ابن مضاء القرطبي كشف لنا عن المنهج الوصفي في دراسة النحو، الذي يقوم بدراسة الظاهرة اللغوية بعيداً عن أي تقديرات أو بحث عن عوامل لا وجود لها.

خاتمة

كانت هذه الدراسة عن جهود علماء الأندلس في تيسير النحو تناولتُ فيه آ راء النحويين في الأندلس وأوضحت بأنهم لايقلون حنكة ودراية ممن سبقوهم في قضية تيسير النحو إذ شعروا بصعوبة بعض أبواب النحو على الدارسين والمتلقين للنحو والناشئة، لذا برزت محاولات ابن رشد وابن مضاء.

وتناولت في هذا الموضوع محاولة ابن رشد وأوضحت بأن محاولته كانت سابقة لنظيره ابن مضاء. وأن محاولات ابن رشد في تيسير النحو اعتمدت على الترتيب المنطقي من خلال كتابه الضروري في صناعة النحو فرمى من خلال كتابه إلى:

- محاربة اللحن الذي تفشى على الألسنة إلى أن امتد للقرآن الكريم
- تعليم العربية للناطقين بغيرها ممن دخل الإسلام

المحور الثاني كتاب الرد على النحاة الذي هجم فيه ابن مضاء على نحاة الشرق

وفند بعض قواعدهم، كنظرية العامل، والعلل، والقياس، التعويل على التمارين. وخلصتُ في هذه الدراسة إلى بعض النتائج:

- محاولات التيسير في النحو العربي علامة في تاريخ الفكر العربي حيث فتحت باب النقد والتحليل لكثير من الباحثين
- الدعوة لتيسير النحو قديمة ظهرت بظهور المؤلفات الأولى للنحو.
- حاول أبن مضاء رد النحو للمشرق كما فعل أمرائه مع فقه المشرق.
- اعتمد ابن رشد صياغة جديدة لبنية النحو اعتمدت الترتيب المنطقي.
- ابن مضاء تأثر في موقفه من النحو بشكل عام بمذهبه الفقهي الذي كان يدين به حيث كان ظاهري المذهب.
- العيب في عدم فهم النحو لايرجع لصعوبته فقط إنما للآلية التي يدرس بها.

أفضت هذه الدراسة إلى بعض التوصيات تجلت في الآتي:

- اللغة العربية هي اللغة التي حباها الله وأنزل كتابه بها وقادر على حفظها.

- إيلاء دعوة تيسير النحو أهمية ذلك في إطار الاهتمام العالمي بتيسير اللغات.
- تعزيز محبة النحو للأجيال المتعاقبة كونه شرطاً لازماً لفهم كتاب الله إذ أن تيسير الشيء يبدأ ببيان أهميته
- إعداد مدرس العربية إعدادا جيد وذلك بتدريبه وإقناعه بضرورة التحدث بها أثناء تدريسه.
- استغلال شبكة الانترنت في تعليم اللغة.
- الاهتمام باللغة العربية بأجهزة الإعلام المرئية والمسموعة وإخراج أفلام ومسلسلات خاصة بتعليم اللغة العربية.

المصادر والمراجع

- ا بن رشد محمد - 2002م- الضروري في صناعة النحو - حورس للطباعة والنشر
- ابن رشد محمد - 1984- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة- مكتبة دار العربي الإسلامي
- الطنطاوي الشيخ محمد بدون ط 1991- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة- دار المعارف – القاهرة
- السيوطي جلال الدين بقية الوعاء في طبقات النحويين والنحاة – المكتبة العصرية – بيروت
- القرطبي ابن مضاء ط الثانية الرد على النحاة - مكتبة دار المعارف مصر
- المبرد أبوا لعباس- 1964 - المقتضب – مكتبة دار المعارف القاهرة
- القفطي جمال الدين - بدون سنة طبع - أنباه الرواة على أنباه النحاة - مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت
- الجاحظ عمرين بحر الحيوان 1980 – مكتبة مدارا لجيل بيروت
- بن جني أبو الفتح عثمان - 1983 - الخصائص– – مكتبة - عالم الكتب بيروت

- كحالة عمر رضا 1985المستدرك على معجم المؤلفين تراجم مصنف الكتب العربية – طبع مؤسسة الرسالة – بيروت ستة
- السيوطي جلال الدين 1986 المزهر في علوم اللغة وأنواعها – المكتبة العصرية – بيروت
- سيبويه عمرو بن عثمان ط الأولى الكتاب - مكتبة دار الجيل بيروت لبنات
- الأنبا ري - كمال الدين - 1998- الإنصاف في مسائل الخلاف – مكتبة دارا لمكتب، بيروت
- السيوطي جلال الدين بدون سنة طبع بقية الوعاء في طبقات النحويين والنحاة –المكتبة العصرية –بيروت
- ا لأنصاري بن هشام 2009 شرح قطرا لندى - دارا لكتب العلمية، بيروت،
- أبو الطيب اللغوي عبد الواحد بدون سنة طبع مراتب النحويين.
- ضيف شوقي – الطبعة الثامنة - المدارس النحوية – مكتبة دار المعارف – القاهرة

تعدد اللّهجات في اللُّغة العربية

د. إقبال عبد العزيز منوفلي حمد
جامعة بيشة - كلية الآداب والإدارة
المملكة العربية السعودية

مقدمة:

لغة كل أمة هي مرآة صادقة لحياتها، تعكس مدى تطورها وتصوِّر البيئة التي نشأت فيها، ولمَّا كان العرب أقواماً وقبائل متعددة، تعددت لهجاتهم. تشعبت العربية إلى ما يعرف باللّهجات العربية القديمة، والتي عزّز من مكانتها ودعّم من وجودها نزول القرآن بسبعة أحرف مختلفة، يمثل كل حرف منها لهجة قائمة بذاتها لها سماتها وخصائصها المميزة. واتساع العربية للهجات عديدة، لا تبعد في إطارها العام عن العربية الفصحى لتعبر عن حاجات التخاطب والتفاهم في الحياة اليومية ، خير دليل على مرونة هذه اللُّغة وعظمتها. وتعدد اللهجات في اللغة دليل صحة ومؤشر عافية، يعكس مرونتها ويبين ثراءها.

الدرس اللُّغوي الحديث بدأ يهتم بصورة واضحة بأمر اللّهجات ودراسة خصائصها التي تكشف بدورها الكثير عن خصائص وسمات لغتها الأم، ولأن اللُّغة العربية لم تقتصر على لغة قريش ؛ بل شملت الكثير من عناصر اللّهجات العربية الأخرى وهي أحق بمثل هذه الدراسات، كان اختيار هذا الموضوع تعدد لهجات اللُّغة العربية أسبابه ومستوياته.

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1) الوقوف من خلال هذه الدراسة على التطور اللُّغوي التاريخي للُّغة الفصحي.
2) معرفة العلاقة بين اللّهجات القديمة واللُّغة الفصحى.
3) الوقوف على العلاقات الوثيقة بين اللّهجات القديمة والحديثة ، باعتبار أنّ اللّهجات الحديثة امتداد للهجات القديمة.

4) التأصيل والعودة إلى الجذور باعتبار أن كل لهْجة تمثل نظاماً لغوياً مُتكلَّماً بالفعل له مميزاته الخاصة ، والتي قد تزيل اللبس عن الكثير من الألفاظ المستخدمة اليوم ، هل هي عربية أم دخيلة ؟

5) معرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور لهجات عديدة في لغة العرب، ومنذ عهدٍ باكرٍ سبق ظهور الإسلام. ولتحقيق ذلك اعتمدتُ منهجاً وصفياً تحليلياً.

تعريف اللّهجة:

اللّهجة " بالتسكين " جرس الكلام، ، ويقال فلان فصيح اللّهجة، وهي لغته التي جبل عليها واعتادها (الزبيدي، د.ت، وابن منظور، 2000م، مادة لهج).

أما اللّهجة في الاصطلاح ؛ فهي عبارة عن مجموعة من الصفات اللُّغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة. ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللّهجة هي جزء من بيئة أوسع، تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، بيد أنها تشترك جميعها في الظواهر اللُّغوية، التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض. وتلك البيئة الشاملة لتلك اللّهجات المتعددة، تعرف اصطلاحاً باللُّغة. والعلاقة بين اللُّغة واللّهجة هي العلاقة بين العام والخاص، إذْ إن اللُّغة تشتمل عادة على عدة لهجات، لكل منها مميزاته الخاصة ولكنها جميعاً تشترك في مجموعة الصفات اللُّغوية والعادات الكلامية، التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللُّغات

(أنيس، د. ت: 16).

المتتبع للمعاجم العربية القديمة وبعض الروايات الأدبية، يجد أن القدماء من علماء العربية كانوا يعبرون عما نسميه الآن باللّهجة بكلمة اللُّغة واللُغية حيناً، فيقولون مثلاً "الصقر" بالصاد من الطيور الجارحة وبالزاى لغة. وباللحن حيناً، يروي أن أعرابياً قال في معرض حديثه عن مسألة نحوية " ليس لحني ولا لحن قومي"، وكثيراً ما يشير أصحاب المعاجم إلى لغة تميم ولغة طيء ولغة هُذيل، يريدون بذلك اللّهجة؛ ولعل ذلك يرجع إلى أنهم لم يقوموا بدراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي كان

يتكلمها الناس في حياتهم العادية. ولا يوجد كتاب واحد تخصص في دراسة اللّهجات العربية القديمة؛ بل إن الكتب التي تخدم هذا الغرض، كانوا يطلقون عليها كتب اللُّغات مثل: كتاب اللُّغات" ليونس بن حبيب، وكتاب اللُّغات للفرّاء، وكتاب اللُّغات للأصمعي، وكتاب اللُّغات لأبي زيد" وغيره. (الراجحي، د ت: 60).

علم اللُّغة الحديث لم يفرق مبدئياً بين اللّهجة "Dialect " واللُّغة "Language"؛ إذ أن كل لهجة هي لغة قائمة بذاتها، بنظامها الصوتي الصرفي والنحوي، وبتركيبها وبمقدرتها على التعبير، وفي الحقيقة لا يوجد فارق جوهري بينهما؛ إنما الفارق هو أن لهجة ما ولسبب خارجي أو ظروف خاصة اعتبرت لغة رسمية بينما لهجة أخري ربما تكون أفضل منها لاتتاح لها هذه الفرصة، وذلك يرجع لبعض العوامل التي تتسبب في ذلك: منها عامل ديني مثل ارتقاء لغتنا العربية الفصحى من لهجة حجازية نجدية إلى لغة أدبية سامية، بفضل نزول القرآن الكريم بها. وعامل سياسي وعسكري كالذي حدث للغة اللاتينية التي كانت لهجة أهل مدينة" روما"، والتي سرعان ما ارتقت إلى لغة قومية أدبية بفضل مركز" روما" السياسي والعسكري بعد قيام الإمبراطورية الرومانية، وأيضاً قد يكون العامل أدبياً، مثل اللغة اليونانية لغة " أرسطو" "وإفلاطون"، التي كانت في الأصل لهجة أهالي "أتيكا" في القرن الرابع قبل الميلاد، فتحولت إلى لغة رسمية بفضل ما روي بها من أدب وعلم وفلسفة. وهناك العامل الاجتماعي الطبقي مثل ارتقاء لهجة مجتمع باريس بعد القرن السابع لتصبح المثال الأدبي الرفيع الذي ينبغي أن يحتذيه أي كاتب. (فريحة، دت : 42).

أهمية دراسة اللّهجات:

دراسة اللّهجات تعد من المباحث الحديثة المهمة في علم اللُّغة الحديث، بجانب الدراسات الصوتية والدلالية. وتزداد أهميتها في هذا العصر الذي يشهد تطوراً علمياً وتسابقاً معرفياً في كافة ضروب العلوم والفنون.

الأمم الراقية هي التي تهتم بدراسة لهجاتها، لأن في ذلك تحقيق فوائد عظيمة للغة الأم تعزز من أهمية الدرس اللّهجي. من ذلك أن اللُّغة كائن حي يخضع لنواميس

الحياة من نمو وهرم، ولا يوجد أفضل من دراسة اللُّغة الحية العامية دراسة موضوعية لفهم القوانين التي تعمل على النمو والتطور أو الموت. لأن عامية أي شعب لغة حرة متطورة، والفصحى لدي أي شعب لغة كتابة مقيدة بقواعد ثابتة حولها سياج متين، وفي العاميات أدب شعبي منبعه روح الشعب وإحساسه وفيها مادة أدبية شعرية وقصصية ونثرية مفيدة. أيضاً في العاميات مظاهر لغوية نحوية وصرفية ومعجمية خليقة بالدرس قد يكون في درسها إثراءً للغة الفصحى؛ لأن المعجم لم يحو كل المفردات، فقد يكون في درسنا لها ما يفيد معجمنا (الراجحي: 211).

اللّهجات الحية أيضاً يمكن أن تجمع مادتها وتدرس خصائصها ومميزاتها وأن يتعرف على مادتها ومصادرها، خاصة بعد أن أصبح لعلم اللُّغة الحديث مناهجه في جمع المادة اللُّغوية وتحليلها، على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية. وفي اللّهجات الكثير من الظواهر التي انقرضت من الاستعمال الأدبي، وقد تكون بعض هذه الظواهر باقية من اللّهجات القديمة الجاهلية والإسلامية، وقد يكون بعضها عربياً فصيحاً ندر استعماله، وقد نستطيع من خلال هذه المادة أن نهتدي لأصل بعض مواد اللُّغة وأن نهتدي للطريق الذي سلكته ظاهرة لغوية اتخذت مظهراً آخر في الفصحى(أيوب، 1968م: 35)

إذا كان معظم الاختلاف بين اللّهجات يرجع إلى الناحية الصوتية؛ فإنّ في اللّهجات أيضاً ما يعين على تعميق البحث الصرفي الذي لا يزال في حاجة إلى مزيد من الأبحاث، وخاصة في عربيتنا التي تقوم على الاشتقاق. كذلك إن بعض الاختلافات في الناحية النحوية يعود إلى اختلاف اللّهجات، ودراسة هذه الاختلافات تعين على فهم الناحية الإعرابية في اللُّغة، كما تعين على تقييم الظواهر النحوية بعيداً عن التعسف. (الراجحي:211 - 212)

إنّ دراسة اللّهجات العربية من مصادرها المختلفة أمر ضروري لفهم التطور اللُّغوي، وخاصة أن اللّهجات العربية موصولة النسب بفصحانا قوية الصلات بلغة القرآن وأدب العرب. وذلك يشمل اللّهجات الحديثة أيضاً كما يقول إبراهيم أنيس: " اللّهجات

الحديثة وإن كانت قد تطورت في البيئات العربية المختلفة تطوراً مستقلاً باعد بينها، وصبغها بصبغة محلية في بعض الظواهر، فقد احتفظت بكثير من السمات التي عرفت عن القبائل القديمة، فالصفات الكلامية التي نراها اليوم مشتركة بين جميع البيئات العربية الحديثة أو حتى بين معظمها ؛ لا يمكن إلا أن تنتمي إلى لهجة قديمة أو مجموعة من اللّهجات. مثلاً يروى أن بعض العرب كانوا يقلبون الألف المتطرفة همزة، فيقولون في حرف النفي " لا " "لأ"، ففي مصر الجميع ينطق بها هكذا إلا أهل الصعيد الذين ينطقونها " لع "، إمعاناً في الوضوح والبيان، وقلب الهمزة عيناً من سمات تميم ؛ مما يرجّح إن النازلين الأولين من العرب في صعيد مصر كان فيهم قوم من تميم (أنيس، :339 و الجندي، 1999م،ج133:1- 134)

في العصر الحديث اتجهت جهود علماء الغرب إلى دراسة اللّهجات حيث اهتموا بها في مجامعهم وجامعاتهم، حتى أصبحت عنصراً مهماً في الدراسات اللغوية في القرن العشرين. ولم يقتصر هذا الأمر عندهم على اللُّغات الأوربية؛ بل شمل اللُّغات العربية قديمة وحديثة.

لقد كان لمؤتمرات المستشرقين الدولية أثر كبير في توجيه اهتمام العرب نحو دراسة لهجاتهم، إذ بُحث هذا الموضوع في أكثر من مؤتمر، فوجّه هذا أنظار علمائنا نحو دراسة لهجاتهم دراسة علمية صحيحة. وقد نص قانون مجمع اللُّغة القاهري الذي صدر في السادس عشر من ديسمبر عام اثنين وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد على أن: من أهم أغراض المجمع تنظيم دراسة علمية للّهجات الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية، وشُكِّلت في المجمع لجنة خاصة لدراسة اللّهجات ولأعضائها وخبرائها بحوث قيمة في هذا المجال (مطر، د.ت:3)

خطت دراسة اللّهجات في الوطن العربي خطوات ملحوظة على أيدي المبعوثين العرب الذين أوفدوا للجامعات الأوربية لدراسة علم اللُّغة العام (مطر، د.ت:43)

لهجاتنا العربية على اختلاف مشاربها حرية بالفحص والدراسة، مستوجبة لاهتمام الباحثين العرب قبل غيرهم؛ باعتبار أن ذلك من صميم واجباتهم ومن حقوق

لغتهم عليهم، تلك اللُّغة التي اصطفاها الله وجعلها سيدة لغات بني البشر، حينما أنزل بها الرسالة الخاتمة. والبحث اللّهجي مازال بكراً على المستوى العام فيجب أن نعززه بدرسنا العربي.

مصادر دراسة اللّهجات:

لقد علمنا فيما سبق أن لغتنا العربية تهيأت لها منذ القدم العديد من العوامل التي ساعدت على تشعبها إلى لهجات عديدة، ترتبط في خصائصها العامة بهذه اللُّغة الأم. وتحتفظ من ناحية أخري بصفاتها الخاصة التي أهلَّتها لأن تكون لهجة قائمة بذاتها، ولهجاتنا العربية القديمة متفرقة في العديد من المصادر، والتي يتحتم على كل باحث في مجال اللّهجات الوقوف عليها، وهذه المصادر تتمثل في الآتي:

1- قراءات القرآن الكريم: القراءات القرآنية آصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية، فهي مرآة صادقة تعكس الواقع اللُّغوي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. لأن منهجها في النقل يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر؛ بل تختلف عن طرق نقل الحديث، إذ إنّ القراءة لا تكتفي في النقل بالسماع ؛ بل لابد فيها من شرط التلقي والعرض، وهما أصح الطرق في النقل اللُّغوي، إضافة إلى أن أصحابها كانوا مع شهرتهم بالضبط والدقة والإتقان على معرفة واسعة بالعربية ووجوهها. (الراجحي، : 94)

كل قراءات القُرن الكريم الواردة إلينا عن طريق الصحابة والتابعين حجة في اللُّغة، ولا سيما في مجال اللّهجات، فهي جامعة لمختلف اللّهجات العربية.(الجندي، ج1:104)، قال بن قتيبة "وكان من تيسير الله أن أمر نبيه صلي الله عليه وسلم أن يقرئ كل قوم بلغتهم، فالهُذلي يقرأ "عتى حين"، يريد "حتى حين" لأنه هكذا يلفظها، وأسد تقرأ "تِعلمون وتِعلم"، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز" 0(ابن قتيبة، 1981م:93). جاء في الحديث الشريف أن القرآن نزل على سبعه أحرف، أو قال بسبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن، وهم الذين يقال لهم عليا هوازن، وهي أربع أو خمس قبائل، منها سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف (ابن

فارس، 1993م:61)، فقد روي أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف". (أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، الباب الخامس، وفي كتاب بدء الخلق، الباب السادس)

مما يدل على أن القرآن جاء بلغات العرب الأخرى، ما روي من أن عمر سأل عن قوله تعالى: "وْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ" (النحل: 47) وهو على منبر، وقال ما تقولون فيها فسكتوا، فقام شيخٌ من هُذيل فقال هذه لغتنا، التخوف التنقص، فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم، قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته:

تَخوّفَ الرَحلُ مِنْها تَامِكاً فرداً كما تخوف عُودُ النبْعةِ السفِنْ

فعمر قرشي ولو كانت بلهْجة قريش لعرفها.(ابن جني، 1996م، ج1:3)

ولا تعد القراءات السبعة وحدها مصدراً للّهجات، بل إلى جانبها القراءات الشاذة، لأن لها سنداً من صحة الرواية، كما أنها توافق وجهاً من وجوه العربية. والقراءة - وإن شذت- أقوي حجة من النثر والشعر، والقرآن الكريم أوفي مصادر اللّهجات مقارنة مع كتب اللُّغة، فمثلاً نجد اللّهجات التي وردت في كتاب البحر المحيط لأبي حيان، قد بلغت أربعاً وستين لهجة، وفي كتاب اللُّغات في القرآن المسند لابن عباس ستاً وثلاثين، بينما نجدها في شرح السيرافي على سيبويه خمساً وعشرين، وفي كتاب سيبويه ست عشرة ؛ فيكون بذلك القرآن مصدراً أوفي من غيره في دراسة اللّهجات (الجندي، ج1:113).

والقراءات تصنف بحسب اللُّغة إلى أقسام هي:

1ـ لهجات قرآنية يرجع الاختلاف فيها إلى أصل الاشتقاق.

2ـ لهجات يرجع الاختلاف فيها إلى الجانب الصرفي.

3ـ لهجات اختلافها يأتي على المستوى الدلالي.(محيسن، د.ت: 100)

2- الأمثال: المثل صورة حية من حياة الشعوب، تعبر عن واقع حياتها على اختلاف مشاربه، وتعتبر الأمثال العربية مرآة عاكسة للأحوال الاجتماعية والاقتصادية واللُغوية؛

إذ تصورها تصويراً دقيقاً وهي نموذج حي يعكس الواقع فلذلك هي أصدق مثال على لغة القوم، والمثل في ذلك يفوق الشعر لأنه أرقي من مستوى العامة، لأن له نظامه وجرسه بعكس المثل الذي ينطق به كل إنسان بسهولة ويسر، وهو في دلالته على اللّهجات أصدق. ودراسة الأمثال تفيد البحث اللّهجي لأنها لغة الشعب التي يطلقها فور وقوع الحدث دون تصنع، وهي من هنا تعد منبعاً عذباً للّهجات العامية (الجندي ج1: 123 – 124 والراجحي: 65)

بجانب الأمثال العربية القديمة تعتبر الأمثال العربية الحديثة مصدراً من مصادر اللّهجات القديمة، لأنّ العلاقة بين اللّهجات القديمة والحديثة علاقة وثيقة ؛ بل إنّ بعض الظواهر اللّهجية القديمة أمكن تفسيرها في ضوء اللّهجات الحديثة، لذا يمكن للباحث أن يتلمس خصائص اللّهجات العربية القديمة في أمثالنا العامية، لأنها تحمل بذور اللّهجات القديمة.

ومن أمثلة دلالة الأمثال القديمة على اللّهجات قولهم:

1) أتي عليهم ذو أتي: أي "الذي أتى" بلغة طئ.
2) جزاء سمنار: والسمنار اللص عند هُذيل، إذ يقولون للذي لا ينام "سمناراً"، فسمي اللص سمناراً لقلة نومه.
3) الروايات الواردة في كتب العربية: تعتبر الروايات التي جاءت عن العرب ورصدتها كتب اللغة والأدب والتاريخ والسير مصدراً هاماً من مصادر اللّهجات ؛ وذلك لأن العلماء لما أرادوا جمع اللُّغة جمعوها من قبائل مختلفة، فجاءت اللُّغة خليطاً من اللُّغة الفصحى واللّهجات العربية ذات الصفات الخاصة بكل قبيلة ؛ ثم بنيت القواعد من هذا الخليط المتنافر. فإذا نظرنا مثلاً إلى بعض كتب اللُّغة مثل "أدب الكاتب" لابن قتيبة و"إصلاح المنطق" لابن السكيت أو "فصيح ثعلب" أو" درة الغواص" للحريري، نقف على بحرٍ زاخرٍ من الأوجه اللُّغوية المختلفة والأبنية الكثيرة في الأسماء والأفعال والمصادر، والذي يرجع بدوره لاختلاف لهجات القبائل (الجندي ج 1: 125 - 126)

4) المعاجم اللغوية: تعد المعاجم اللُّغوية بطبيعة مادتها مصدراً مهماً للهجات اللّغة العربية، بالرغم من أن الكثير منها لم يهتم بعزو اللّهجات إلى قبائلها، مثل صاحب اللسان الذي لا يعزو إلا قليلاً من اللّهجات إلى أصحابها؛ حيث يكتفي بقوله " لغة فيه" أو "عند بعض العرب". ولكن في مقابل هذا نجد أنّ بعض المعاجم قد اهتمت بهذا الأمر بصورة واضحة، مثل "الجمهرة" لابن دريد و" شمس العلوم " و"دواء العرب من الكُلوم " لنشوان بن سعيد الحميري، الذي يعتبر من أهم مصادر اللّهجات اليمنية إذ لا تكاد تخلو صفحة فيه من لهجة يمينية. هنالك أيضاً المعاجم التي ألفت في موضوع واحد، نجد اهتمام أصحابها باللّهجات واضح مثل "النخل" و"الكرم" للأصمعي، و" كتاب المطر" لأبي زيد وكتاب " الرحل والمنزل " لأبي عُبيدةومن المعاجم المفيدة في هذا المجال أيضاً، ما جاء في المشترك والمترادف والأضداد مما يعكس تباين لهْجات العرب (الراجحي: 63)

5) كتب النحو: هي أحد مصادر اللّهجات القديمة، بيد أن المتأخرين من النحاة هم الذين اهتموا بأمر اللّهجات، بالرغم من أن الأقدمين كان منهم من يتكلم هذه اللّهجات، إلا أنهم لم يعتنوا بها عناية كافية. وأبرز من أهتم باللّهجات القديمة من المتأخرين ابن مالك وشراح ألفيته، والاستراباذي في شرح الكافية، والسيوطي في همعه وغيرهم. لكن المادة اللّهجية في كتب النحاة ينبغي أن تؤخذ بحذر، لأن بعض شواهد النحاة لم تسلم من الوضع (الجندي ج1:63)

6) كتب النوادر: هي مصدر طيب للهجات، مثل كتاب النوادر لأبي زيد، الذي يحوي مادة غزيرة في هذا المجال، فهو كثيراً ما يعزو اللّهجات إلى أصحابها؛ حيث يقول مثلاً: قال فلان من تميم أو فلان الهُذلي أو راجز من حمير ونحو ذلك (نفسه: 65)

7) اللّهجات العربية الحديثة: إن المناطق التي توسعت فيها لغة العرب بعد الفتوحات لا تختلف في طبيعتها وخصائصها عن جزيرة العرب، لذلك فإن اللّهجات العربية الحديثة وإن كانت قد تطورت واصطبغت بصبغة محلية، إلا أنها قد احتفظت بالكثير من السمات والخصائص التي عرفت عن القبائل العربية القديمة، لذا فهي تعتبر مصدر أصيل يهتدي به لمعرفة اللّهجات العربية القديمة (الراجحي: 128)

مصادر دراسة اللّهجات كما رأينا متعددة، وهي غنية وزاخرة بنماذج لهجية متنوعة نحن في أشد الحاجة لها ؛ لأن مجال دراسات اللّهجات في عالمنا العربي مازال ليله طفلاً يحبو.وأنّ المادة اللّهجية جديرة باكتشاف خباياها وتراثها العظيم الذي لا نعرف عنه إلا القليل.

عوامل تشعب اللُّغة إلى لهْجات:

إن لكل لغة حيَّة قوتين متضادتين، واحدة تدفع بالناطقين بها عن المركز والأخرى تشدهم نحو المركز ؛ مما يخلق توازناً لغوياً يبقي اللّهجة ضمن نطاق معيَّن إلى حين، ويؤخِّر عملية التجزؤ السريع .(فريحه: 48)

في إطار هذا القانون، وبما أنّ اللّغات هي وسيلة للتعبير والتفاهم، والناطقين بكلٍ منها كُثُر، تتعدد مشاربهم وظروفهم ؛ فإن كل أهل لغة يطوِّعونها في شكل لهجات حسب مقتضى حالهم وظروف حياتهم، دائرين في فلك المركز الرئيس، الذي تربطهم به الصفات اللُّغوية، والعادات الكلامية التي تربط بين الأفراد الناطقين بلغةٍ واحدة.

يرجع السبب الرئيس في تفرع اللُّغة الواحدة وتشعبها إلى لهجات متعددة، إلى انتشار اللُّغة في مناطق واسعة من الأرض واستخدامها بين جماعات كثيرة من البشر ؛ حيث يفسح هذا الأمر المجال لظهور عوامل أخرى تعلب دوراً كبيراً في الوصول لهذه النتيجة، التي تتجسد في صورتين: الأولى تشعب اللُّغة الواحدة إلى لهجات محلية تتكلم بكل لهجة منها منطقة معيَّنة، والثانية تشعُّبها إلى لهجات اجتماعية تتكلم بكل لهجة

طبقة من طبقات السكان، فالطبقة الأرستقراطية تتخذ لهجة غير لهجة الطبقة الوسطى أو الدنيا في المجتمع، وفي قوانين اللُّغة أنه متى ما انتشرت لغةٍ ما في مساحات واسعة استحال عليها الحفاظ بوحدتها أمداً طويلاً.(وافي، 1951م: 128)

ولانتشار اللُّغة دوافعه ومسبباته، كدخول اللُّغة في صراع مع لغة أو لغات أخرى إثر فتحٍ أو غزو، وعندما تدخل لغة إلى بقعة جغرافية جديدة فإنَّها لا تدخل إلى فراغ لغوي ؛ إنما يكون هنالك قومٌ أو أقوام يتكلمون لغة مختلفة، فتقتضي قوانين الصراع اللُّغوي أن يكتب النصر للأقوى، فتحتل مناطق اللُّغة أو اللُّغات المقهورة، فيتسع بذلك مدى انتشارها وتدخل أممٌ جديدة في عداد الناطقين بها، كما حدث للغة العربية عند فتح العرب لبعض مناطق آسيا وأفريقيا، حيث تغلَّبت على كثير من اللُّغات السامية الأخرى وعلى اللُّغات القبطية والبربرية والكوشيتية.

كما يحدث انتشار اللُّغة أثر انتشار أفراد شعب عن طريق هجرة أو استعمار في مناطق بعيدة عن أوطانهم، فيتسع بذلك مدي انتشار لغتهم كذلك يتسع نطاق اللُّغة لدى جماعة تتاح لها أسباب النمو والزيادة المطردة، فتنشط حركة العمران، فتكثر فيها القرى والمدن، فيتمدد تبعاً لذلك نطاق لغتها؛ كما حدث للغة اليابانية (وافي، ص 99 و أنيس: 21)

والعوامل التي يفرزها انتشار اللُّغة، وتسهم بصورة واضحة في تكوين اللّهجات تتمثل في:

أولاً: العوامل الاجتماعية السياسية التي تتعلق باستغلال المناطق التي انتشرت فيها اللُّغة بعضها عن بعض وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمع بينها، فتنقسم إلى شعوب ودويلات، فيتبع انفصال الوحدة السياسية انفصال في الوحدة الفكرية اللُّغوية. ومن ذلك أيضاً عوامل اجتماعية نفسية تتمثل في الفروق بين النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد، ومستوي الثقافة ونواحي التفكير والوجدان. واختلاف هذه الأمور ينعكس على أداة التعبير (وافي: 132)

ثانياً: العوامل الجغرافية والفواصل الطبيعية، هي بدورها أيضاً تؤدي إلى فواصل في اللُّغات، لأنها تؤدي إلى الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، فقد تفصل وديان أو جبال أو صحاري بين بيئات اللُّغة الواحدة، فيتبع هذه تكون مجاميع صغيرة من البيئات اللُّغوية المنعزلة، التي لا تلبث أن تتطور تطوراً يباعد بين صفاتها ويشعبها إلى لهجات متميزة بعد فترة من الزمن؛ إذ لابد من تطور الكلام مع مرور الزمن. ومثل هذا أيضاً الفروق في الجو وطبيعة البلاد وموقعها، وكذلك اختلاف البيئات، فلهجة البيئة الزراعية مثلاً تختلف عن لهجة البيئة الصحراوية (أنيس:23).

ثالثاً: عوامل شعبية تتجسد فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الأجناس والفصائل التي ينتمون إليها، والأصول التي انحدروا عنها وما لذلك من آثار ملحوظة في هذا الشأن.

رابعاً: عوامل جسمية فسيولوجية تشمل الفروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق بين سكان المناطق، هذا الأمر الذي يحول دون بقاء اللُّغة على وحدتها زمناً طويلاً، واختلاف الأفراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن إلى تطوير اللّهجة أو إلى نشأة لهجات أخرى.

خامساً: خطأ الأطفال، إذا عاش الأطفال في معزل عن من يقّوم لهم ألسنتهم، أصبحت هذه الأخطاء بمرور الزمن عادات لهجية. ومثل ذلك أيضاً القياس الخاطئ مثل بناء اسم المفعول من "أفعل" الأجوف في لهْجة تميم، إذ يقولون " مبيوع ومديون " قياساً على الفعل الصحيح (الراجحي:47).

سادساً: المغايرة الفردية، لقد أثبت علم اللُّغة أن لكل إنسان لهجته الخاصة، وقد أجمع علماء اللُّغة على أن المجتمع الذي يتكلم أفراده لغة واحدة لا وجود له. والمغايرة الفردية هي طبيعة عفوية تترك آثاراً تنعكس لدى الأشخاص، من خلال تركيب العبارات وانتقاء المفردات، وكذلك التباين في اللفظ، والشدة واللين، والنبر والنغم ؛ فمما لاشك فيه أن اللسان العربي اليوم غير اللسان العربي في

العهد البعيد؛ بل إن التجارب الدقيقة أثبتت أنه لا يكاد يوجد شخصان ينطقان نطقاً متماثلاً تمام التماثل؛ بل لابد أن تلحظ الأذن المدربة بعض الفروق الصوتية الدقيقة لذلك. فهذه المغايرة واختلاف النطق من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر، يؤديان تلقائياً لوجود لهجات مختلفة في إطار اللُّغة الواحدة" (أنيس:20)

كل هذه العوامل السالفة تؤثر بوضوح على اللُّغة وتوجهها توجهاً مختلفاً عند كل جماعة، فينعكس ذلك تبايناً في النواحي الصوتية والدلالية وغيرها، فتتعدد بذلك طرق التطور اللُّغوي بتعدد الجماعات، وتظل مسافة الخلاف بين اللّهجات الناشئة عن هذا التعدد والاختلاف تزداد، حتى تصبح كل لهجة منها لغة مميزة مستقلة غير مفهومة إلا لأهلها" (وافي: 133)

العربية تشعبت إلى لهجات عديدة انتشرت في الجزيرة العربية قبل الإسلام. وقد تهيأت عدة عوامل وأسباب لتشعبها، فالبيئة الجغرافية ممتدة واسعة تختلف طبيعتها من مكان لمكان، بعض بقاعها متصلة وبعضها منفصلة، وفيها التهائم والنجود والمسايل والوديان والصحاري التي يعيش فيها البدو، وأيضاً فيها مناطق الاستقرار والتحضر؛ حيث يوجد شيء من الزراعة والتجارة. كما أن جزيرة العرب قد شهدت هجرات بشرية كثيرة، فقد هاجر بعض أهل اليمن إلى وسط الجزيرة وشرقها وشمالها، كما هاجر أهل الحجاز إلى اليمن، كما تجاورت لهجاتها مع لهجات أخرى، فنجد القبائل التي كانت تنزل بادية الشام أو العراق كانت تجاور الآرامية والعبرية والاحتكاك معهما أدي إلى وجود ظواهر لهجية متعددة" كما أن اللُّغة العربية قد صرعت العديد من اللُّغات وتغلبت عليها، حين فتح العرب جهات ومناطق متعددة، فنجدها قد تغلبت على الآرامية في العراق والشام، وعلى القبطية في مصر، وعلي البربرية في بلاد المغرب، وعلى الفارسية في بلاد فارس القديمة" (الجندي، ج1:129 وأنيس:23)

هكذا تهيأ المناخ وتضافرت العوامل لتشعب لغتنا العربية إلى لهجات عديدة يرجع تاريخ القديم منها إلى عهد مبكر سابق لظهور الإسلام؛ حيث وجد ما يعرف بلهجات القبائل، ثم ازداد عدد لهجات هذه اللُّغة تبعاً لانتشارها وتوسع نطاقها عبر

العصور، وصولاً للهجات الحديثة التي تتكلم بها الأمة العربية اليوم، كل في موقعه الجغرافي.

مظاهر اختلاف اللّهجات:

اللهجة في عرف اللُّغويين لها صفات خاصة مميزة تفسر الفرق بينها وبين اللُّغة الأم التي تنتمي إليها، وبينها وبين رصيفاتها من اللّهجات الأخرى. والاختلاف بين اللهجات له مظاهر متعددة على مستويات مختلفة هي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي.

الصفات التي تتميز بها اللّهجات تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، أي أن اختلاف اللّهجات على المستوى الصوتي أبرز وأكثر منه في المستويات الأخرى، إذ إن بيئة كل لهجة تتميز بصفات صوتية خاصة تخالف بصورة واضحة صفات اللّهجات الأخري في اللُّغة الواحدة. فغالباً ما يكون معيار التمايز بين اللّهجات صوتياً. والصفات الصوتية التي تميز اللّهجات تتلخص في الآتي:

1- الاختلاف في مخرج بعض الأصوات اللُّغوية.
2- الاختلاف في مقياس بعض أصوات اللين.
3- الاختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة
4- الاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات
5- التباين في النغمة الموسيقية للكلام(أنيس: 18، ومحيسن: 10)

يقول ابن فارس: اختلاف لغات العرب من وجوه هي:

1. الاختلاف في الحركات، نحو " نستعين " بفتح النون وكسرها، فهي مفتوحة بلغة قريش وأسد، مكسورة عند غيرهم.
2. الاختلاف في الحركة والسكون، مثل " هو " بضم الهاء وسكونها.
3. الاختلاف في تحقيق الهمزة وتسهيلها.
4. الاختلاف في الحذف والإثبات نحو " سارعوا ـ سارعو".
5. الاختلاف في الفتح والإمالة.

6. الاختلاف في التفخيم والترقيق.
7. الاختلاف في التذكير والتأنيث.
8. الاختلاف في الإظهار والإدغام.
9. الاختلاف في صورة الجمع نحو " أسرى وأُسارى ".
10. الاختلاف في الوقف على ما رسم بالتاء، بين التاء والهاء (ابن فارس: 50 - 53)

تلك هي الصفات التي تميز بين لهجات اللُّغة الواحدة، وليس بالضرورة أن تجتمع كل تلك الفروق في لغة واحدة، إنما بعضها فقط يجزى لتميز لهجة ما. وتتباعد اللّهجات وتتقارب بعضها من بعض بقدر اشتمالها على هذه الصفات، ومن العسير وضع الحد الأدنى للفروق بين اللّهجات، لأن عملية النطق تختلف باختلاف أفراد البيئة الواحدة (أنيس: 20)

قد تكتسب اللّهجات بعض المميزات جرّاء الميل للتخفيف في النطق وتسهيله أو لاختصار الكلام، فيحدث التحريف الذي يصبح سمة بمرور الزمن، ويتم ذلك عن طريق واحدة من الوسائل التالية:

1- زيادة حرف مثل " دواية " بدلاً عن " دواة".
2- تخفيف الهمزة، مثل " بير " بدلاً عن "بئر".
3- إبدال بعض الحروف بأخرى، مثل " بحثر " " وبعثر ".
4- تخفيف النطق بإبدال الحرف المضعف ياءً، مثل " مديت " بدلاً من "مددت ".
5- تخفيف ناشيء من النحت مثل " أيش بدك " إذ هي أي شيء بودك.
6- تخفيف ناجم عن الإبدال، مثل " اشتّرت، الدابة " أي "اجتّرت ".
7- تخفيف ناجم عن النقصان مثل " عطوني " في "أعطوني".
8- تخفيف ناجم عن التصحيف مثل " أتنين " في " اثنين " و " تمر " في " ثمر".
9 - تخفيف ناتج عن القلب، مثل " الزحالف " "للزلاحف " أي السلاحف.

10- إشباع حركة أول الكلمة والحرف اللين الذي وسطها، مثل " بيت " في " بيْت " و " مُولد " في "مولْد". (الجندي، ج1: 131)

بيد أن اللّهجة قد تتميز أيضاً ببعض الصفات القليلة التي ترجع إلى بنية الكلمة وتركيبها أي إلى الناحية الصرفية، كقول بني أسد في "سَكْرى" "سَكْرانة"، وقول تميم في "مدين " "مديون".ومثل قول الحجازيين "فتتته المرأة "، على وزن"فَعَلَ" وأفتتنته المرأة " عند أهل نجد، على وزن "أفْعَلَ". واختلاف ا لبنية بين لهجة وأخرى له عدة تفسيرات هي:-

1. ميل بعض القبائل إلى صوت لين خاص، وهذا يكون في اختيار القبائل مابين الضمة والكسرة.
2. الميل إلى نسج خاص في مقاطع الكلمة، مثل ميل تميم إلى تسكين وسط الكلمة المتحرك.
3. ميل القبائل الحضرية إلى تحقيق كل أصوات الكلمة، بينما تميل القبائل البدوية إلى المماثلة بين الأصوات المتجاورة .
4. أخطاء الأجيال الناشئة عن غياب الرقابة اللغوية.(علام والجهني، 2005م: 158)

أما اختلاف اللّهجات على المستوى النحوي، ملامحه تظهر من خلال فروق الاستعمالات النحوية بين القبائل، وذلك مثل إعمال "ما" عند الحجازيين وعدم إعمالها عند التميميين. و"ذو" التي تأتي بمعنى صاحب عند قبيلة طئ فتبنى، بينما تكون بمعنى صاحب فتعرب إعراب الأسماء الستة عند القبائل الأخرى.وكذلك إلزام المثنى الألف في كل حالاته الإعرابية عند بعض القبائل، وإعرابه بالألف رفعاً وبالياء نصباً وجراً عند بعضها.

وأمثلة الاختلافات النحوية كثيرة، مثل الاختلاف بين القبائل في الممنوع من الصرف والتذكير والتأنيث والبدل وغيره، ودراسة هذه الاختلافات تفيد في معرفة التطور النحوي للغة العربية. (علام والجهني، 2005م: 159 – 161)

مظاهر اختلاف اللّهجات على المستوى الدلالي تمثل بعداً مهماً، لأن المستوى الدلالي يمثل نصف اللغة تقريباً، والنصف الآخر للمستويات الأخرى " الصوت والصيغ والتراكيب ". وتدخل ضمن هذا المستوى أمور كثيرة هي:

1. الدلالات التي تنشأ عن الأصوات أو مخارجها أو صفاتها مثل، "نضح" و" نضخ " و "أز" و"هز".
2. الدلالات التي تنشأ عن الصيغ والأبنية.
3. الدلالات التي تنشأ عن نوعية الجمل والتراكيب.
4. الدلالات البلاغية والمعجمية والسياقية.
5. المشترك والمتضاد والقلب المكاني والإبدال. (الراجحي: 228)

ينبغي أن تكون الصفات التي مرجعها بنية الكلمة ودلالتها بقدر يسير حتى لا تجعل اللّهجة غريبة بعيدة عن أخواتها، عسيرة الفهم على أصحاب اللّهجات الأخرى في اللّغة الواحدة ؛ وذلك لأنه ربما بعدت اللّهجة عن أخواتها وتهيأت لها ظروف الاستقلال والتحول إلى لغةٍ قائمة بذاتها.

بصفةٍ عامة يمكن القول، إنه متى ما برزت صفات خاصة واتضحت للسامعين وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة، فذلك يعني ميلاد ونشأة لهجة لها مزاياها الخاصة. وليس هنالك ضابط محدد للهْجة وسعة بيئتها وعدد سكانها، فقد تنشا لهجة مستقلة في بيئة جغرافية قليلة السكان ؛ فإننا نجد اللّهجات العربية القديمة كانت منعزلة في بيئات ضيقة، قليلة السكان بعكس اللّهجات الحديثة اليوم. أما إذا وجد في بيئة اللّهجة الواحدة منطقة صغيرة ذات خصائص لغوية مميزة تخالف الصفات الشائعة لهذه اللّهجة، سميت هذه المنطقة جزيرة لغوية " Speech Island ".(الراجحي: 227)

إذا نظرنا بشيءٍ من التمعن في الاستعمال اللّهجي الحديث نلاحظ الاختلاف على كل هذه المستويات ماثل في الكلام العربي اليوم ؛ إلا أنه على المستوى الصوتي يكثر نظراً لتنوع الاختلافات الصوتية بين شعوب العالم العربي، خاصة فيما يتعلق

بالمخارج والصفات. يلي ذلك المستوى الدلالي ثم الصرفي، أما المستوى النحوي، فإنه يحتاج لشيءٍ من التفحص والتدقيق قبل الكلام عنه، لأنه يلتبس بصورة واضحة باللّحن اللّغوي الذي انتشر بصورة مخيفة في المجتمعات العربية ؛ مما جعل التمييز بين الظواهر اللّهجية النحوية والخطأ اللّغوي أمر يحتاج للتأني وإمعان النظر.

اللّهجات العربية:

اللُّغة العربية كما هو معلوم نشأت في بلاد نجد والحجاز، ثم انتشرت منها إلى مناطق أخرى، إلا أن هذه اللغة ومنذ أقدم عصورها قد انقسم المتكلمون بها إلى قبائل شتى، تحكمها بيئة جغرافية وعوامل وظروف حياتية مختلفة، أعانت على هذا الانقسام تحت مظلة اللُّغة الأم، فنشأ ما يعرف بلهجات القبائل أو اللّهجات العربية القديمة.

ليس المقصود باللّهجات العربية القديمة تلك النقوش التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية في العهود التي سبقت الأدب الجاهلي ؛ بل المقصود تلك اللّهجات التي نقلتها كتب اللُّغة والأدب والتاريخ، متمثلة في أشعار العرب ورجزهم ونثرهم، والتي كانت عبارة عن صفات خاصة تتميز بها القبائل العربية قبل ظهور الإسلام وحتى نهاية عصر الاحتجاج (وافي، 1972 م: 103)

اللّهجات العربية القديمة لم يُسجل كثير من سماتها وخصائصها ؛ بل إن ما نقله الرواة من شواهدها لم يكن مقصوداً لذاته، وإنما كان لبناء قواعد الفصحى التي نزل بها القرآن ؛ حيث جمعوا لهذا الغرض ما استطاعوا من الشواهد وصادف فيما نقلوه عناصر مختلفة من لهجات القبائل، منها ما استحسنوه وأجازوا استعماله في الفصحى. ومن ذلك ما ورد من لهجات الحجاز وتميم وقيس وأسد وهُذيل. ومنها ما رفضه علماء اللُّغة أو عدوه خارجاً عن دائرة الفصحى، فسموه: اللُّغات المستهجنة، أو المذمومة، أو الرديئة. وهو اللّهجات التي عاش أصحابها على أطراف شبة الجزيرة وتأثروا بلغات الشعوب المجاورة، ففسدت ألسنتهم (عابدين، 1966 م: 11)

واللّهجات التي اشتهرت لدى قبائل العرب قديماً تتمثل في:

1/ الكشكشة وهي إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيناً أو إلحاقها شيناً. وقد اشتهرت هذه الظاهرة عند قبيلة ربيعة التي منها بكر بن وائل، ومضر التي منها أسد، وفيها قال سيبويه " فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد، فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث شيناً، وذلك إنهم أرادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في الوقف، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل، لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف، كان أقوي من أن يفصلوا بحركة نحو: إنش ذاهبة، ومالش، تريد إنك ومالك. (سيبويه، 1984م، ج4: 199)

وقد اختلف اللُّغويون في تحديد وصف هذه الظاهرة، فمنهم من حددها بالوقف، ومنهم من لم يشترطه، ومنهم من جعلها إبدال الكاف شيناً فقط (ابن جني، ج2:11). ومن أمثلة ورود هذه الظاهرة في حالة الوصل قول مجنون ليلى:

عينَاشِ عَيْنَاهَا وجِيدشِ جِيدَهَا سِوى أنْ عَظْمَ السَاقِ مَنْشِ دقِيقُ

فإنه أراد، "عيناك" و"جيدك" و"منك"، فأبدل كاف المؤنث شيناً في الوصل (الحريري، د. ت: 185). ومما ورد منها في القراءات القرآنية " قد جعل ربش تحتش سريا" من قوله تعالى: (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا). (سورة مريم: 24)

وهذه اللّهجة ما زالت شائعة حتى يومنا هذا في بلدان الخليج العربى، مثل وجودها بصورةٍ ملحوظةٍ عند بعض القبائل في جنوب المملكة العربية السعودية وفي محافظة الشرقية في مصر.

2/ الكسكسة: تعني إبدال الكاف سيناً وقد عرفها سيبويه بقوله (أعلم أن أناساً من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث، لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل وذلك نحو أعطيتس وأكرمتكس، فإذا أوصلوا لم يأتوا بها لأن الكسرة تبين). (سيبويه، ج4: 199)

هذه الظاهرة أيضاً ماتزال موجودة في بعض المجتمعات العربية مثل وجودها في منطقة" بيشة" ماجاورها في المملكة العربية السعودية.

3/العجعجة: وهي إبدال الياء الواقعة بعد عين جيماً، وهي سمة لهْجية اشتهرت بها قبيلة قُضاعة كما إنها نسبت لأهل اليمن وتميم وبعض بني سعد. وهذا الإبدال وقع لقرب مخرجي الياء والجيم، وهو الغار أو سقف الحنك الصلب، لكونهما مجهوريين تهتز معهما الأوتار الصوتية، والفرق بينهما: أنّ الجيم من الأصوات التي تجمع في نطقها بين الشدة والرخاوة، أي بين الانفجار والاحتكاك فيسمع لها حفيف. (ابن جني، 2000م: 187 وابن فارس مرجع سابق :58) وذلك مثل قول الشاعر :

خالـى عُويفُ وأبو عـلِـجْ
المطعمانِ اللحمَ في العشِجْ
وفـى الـغـداةِ فلـق البـرنِـجْ
تُقلِع بالـوَدِ وبالصـيْصِـجْ (ثعلب، د.ت: 81)

4/ العنعنة: تعني إبدال الهمز عيناً، وقد نسبت إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم. ومن أمثلتها قولهم: سمعت (عنَ فلان) يريدون أنَ فلان، وهذه الظاهرة تبين المبالغة في تحقيق الهمز، وذلك مثل قول تميم " هؤلاء أحباعنا "، يريدون أحباؤنا.

5/ التلتلة: وهي كسر حرف المضارعة في قولك: أنا إعلم، وأنت تِعلم، وهو يعلم وما إلى ذلك، وقد نسبت هذه اللّهجة إلى قبيلة بهراء وأيضاً إلى قيس وتميم وأسد وربيعة؛ كما قرأ بها بعض أهل الحجاز، كقراءة يحيى بن وثاب قوله تعالى: " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ" (آل عمران، 106) بكسر التاء من " تَبْيَضُّ" و "تَسْوَدُّ" (الحريري: 184)

6/ الاستنطاء: وهو جعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، وقد عُزيت هذه الظاهرة إلى سعد بن بكر، وهُذيل، والأذد، وقيس، والأنصار، وأهل اليمن؛ وذلك كقولهم " أنطى" بدلاً عن " أعطى". (السيوطي: 222)، وشاهدها قراءة البعض "أنطيناك" من قوله تعالى: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) (الكوثر، الآية 1)، وفي الحديث " اليد المنطية خير من اليد السفلي".

7/ الفحفحة: هي ظاهرة إبدال الحاء عيناً، وقد نسبت إلى قبيلة هُذيل، قال ابن جني " والعرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه، لتقاربهما في المخرج كقولهم بحثر ما في القبور، أي بعثر، وضبحت الخيل، أي ضبعت، وشاهدها من القراءات: ما روي من أن عمر سمع رجلاً يقرأ قوله تعالي "حتى حين "، " عتي حين" بإبدال الحاء عينا في حتى، فقال من أقرأك ؟ فقال ابن مسعود، فكتب إليه عمر، إن الله عزّ وجلّ أنزل القرآن وجعله عربياً إقريء الناس بلغة قريش والسلام.(ابن جني: 343).

8/ الطمطمانية: يراد بها إبدال لام التعريف ميماً، وقد عرفت في قبيلة طئ والأذد وقبائل حمير؛ حيث يقولون " طاب أمهواء " يريدون طاب الهواء، وقد روي أن الرسول صلي الله عليه وسلم قد نطق بهذه اللّهجة في قوله " ليس من أمبر أمصيام في أمسفر" يريد ليس من البر الصيام في السفر. (أخرجه البخاري في كتاب النفقات، الباب رقم " 3" ومسلم في باب الزكاة، حديث رقم "94" ويظهر أن إبدال اللام ميماً جاء لتجانس الصوت بين اللام والميم، وهما من فصيلة الأصوات المتوسطة. (السيوطي:223 و أنيس:44).

وهذه الظاهرة شائعة في كثير من اللّهجات العربية الحديثة لاسيما في السودان، مثل استعمال " أمبارح "بدلاً عن " البارحة ".

9/ قَطّعة طيء: القبائل البدوية تميل إلى السرعة في كلامها ، فتسقط بعض أجزاء الكلمة أو تنقصها من أطرافها ، وروي أن الخليل قال: إنَّ القطع في طيء كالعنعنة في تميم، وهو أن يقول: "يا أبا الحكأ"، يريد يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن إبانة بقية الكلمة. وهي تفعل هذا مع الحروف غير الميم، إلا أن الميم أكثر حذفاً من غيرها ؛ لأنَّها أكثر الأصوات شيوعاً في اللُّغة العربية. والقطعة لهْجة التزمتها هذه القبيلة ولم تكن من لثغ الكلام، كما أشيع عند البعض (الخليل، د. ت، مادة " قطع " والجندي، ج2:692)

10/ الشنشنة: هي جعل الكاف شيناً مطلقاً، سواء كانت لمذكر أو لمؤنث، وسواء كانت أصيلة أو زائدة. ومن أمثلتها ما سمع عن بعض أهل اليمن في الحج وهم يقولون "

لبيش الهم لبيش "، وقد نسبت إلى تغلب في خبر الرجل الذي كلم معاوية عن أفصح العرب، وكذلك بكر بن وائل، وحمير، وأهل البداوة من القبائل اليمنية وهي مازالت حتى الآن في اللّهجة الشحرية والمهرية والقطرية ولهجة حضرموت.

11/ اللخلخانية: تعني تقصير الحركات وحذفها، أو حذف بعض الحروف اللينة وقد عرفت عند أعراب الشحر وعمان في قولهم " مشا الله " في ما شاء الله(الجاحظ، 2005م، ج4:35 والسيوطي:223)

12/ التضجع والعجرفية: التضجع يعني الإمالة في الكلام، وقد نسب إلى قبيلة قيس وأسد، أما العجرفية فهي التقعر في الكلام وقد نسبت إلى قبيلة ضبة (ابن منظور، مادة عجرف)

13/ الوتم: هو إبدال السين تاءً، وهو سمه لهجية للقبائل البدوية التي تميل إلى الأصوات الشديدة في النطق.وعرفت هذه الظاهرة عند حمير وأهل اليمن؛ حيث يقولون " لا بأت" في لا بأس، وعرفت أيضاً عند قضاعة كقول شاعرهم:

يا قاتل اللهُ بني السعلاتِ عمرو بن يربوع شِرارُ النّاتِ

غيرُ أعفاءٍ ولا أكياتِ (القالي، د.ت ج1:68)

14/ الوهم: هو كسر الهاء في ضمير الغائبين مطلقاً، مثل قولهم " مِنهم وعِنهم" وهو لهْجة منسوبة إلى ربيعة وبكر بن وائل.(سيبويه، ج4: 96) ومثل هذا نلحظه عند بعض قبائل دارفور بغرب السودان، ولعلَّ هذا يأتي في إطار العلاقة بين اللّهجة الحديثة والقديمة.

15/ الوكم: يعني الرد الشديد، وهو ظاهرة لهْجية تكسر فيها كاف الخطاب، وتعزي إلى بني كلب وربيعة وبكر بن وائل، وكلها قبائل بدوية. (الجاحظ،ج4:36)

هذه الظواهر المذكورة جميعاً تمثل مايسمى باللّهجات "الملقبة " والتي تمددت جغرافياً في كل أنحاء جزيرة العرب قديماً.أما اللّهجات العربية الحديثة والتي أثبت العلم الحديث صلتها الوثقى بتلك اللّهجات القديمة ؛ فقد قسم المحدثون اللّهجات العامية الحديثة في الوطن العربي إلى خمس مجموعات هي:

1- مجموعة اللّهجات الحجازية، وتشمل لهجات الحجاز ونجد واليمن.

2- مجموعة اللّهجات السورية، وتشمل جميع اللّهجات العربية في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

3- مجموعة اللّهجات العراقية.

4- مجموعة اللّهجات المصرية، وتشمل جميع اللّهجات العربية، في مصر والسودان.

5- مجموعة اللّهجات المغربية، وتشمل جميع اللّهجات العربية في شمال أفريقيا.

اللّهجات الحديثة تعتبر مصدراً أصيلاً، يهتدي به لمعرفة اللّهجات العربية القديمة. لأن المناطق التي توسعت فيها لغة العرب بعد الفتوحات لا تختلف في طبيعتها وخصائص بيئتها عن جزيرة العرب، فاللّهجات وإن كانت قد تطورت واصطبغت بصبغة محلية، إلا أنها قد احتفظت بالكثير من السمات والخصائص التي عرفت عن القبائل العربية القديمة، بجانب ما اكتسبته من سمات جديدة بحكم وضعها الجديد، وتفاعلها مع اللُّغات الأصلية لتلك المناطق، من آرامية وفارسية وبربرية وقبطية وتركية وغيرها. (الجندي، ج1:36)

الجدير بالذكر إنّ اللّهجات الحديثة حظها من الدراسة قليل جداً لذلك فإنّ الكثير من خصائصها مجهول ؛ إذ أنّها محصورة في بيئاتها المحلية، حتى القليل الذي درس منها في الغالب لم يتجاوز أبواب المكتبات الجامعية ؛ بل هي بحوث غير منشورة قُدمت لنيل الدرجات العلمية المختلفة. فاللّهجات المحلية التي تغطي كل المناطق العربية تحتاج للدرس الذي يحدد علاقتها باللّغة الفصحى وباللّهجات العربية القديمة، ويثبت بعدها عن لحن العامة ؛ فضلاً عن كشف سماتها وخصائصها الذاتية.

خاتمة:

تشتمل على النتائج والتوصيات التى توصلت لها الدراسة.

أولاً النتائج:-

1. اللّهجات لم تجد العناية اللازمة من العلماء العرب القدامى، اللّذين اكتفوا بذكرها عرضاً في مؤلفاتهم.

2. اللّهجات تتفق في شكلها العام مع مألوف اللغة الأم، إلا أنّ لها طابعها الخاص، من حيث بنية الكلمات ومظاهر الإعراب والتركيب والدلالة.
3. اللّهجات العامية حافلة بالمظاهر اللُغوية والنحوية والصرفية والمعجمية.
4. لغة العرب وقبل تمددها مع الفتوحات الإسلامية، تهيأت لها عوامل عدة أدت إلى تشعبها إلى لهجات عديدة.
5. القرآن عزز اللّهجات بنزوله بسبعة أحرف، تمثل لهجات قبائل مختلفة في جزيرة العرب.
6. اللّهجات الحديثة تُعد مصدراً أصيلاً يهتدى به لمعرفة اللّهجات القديمة.
7. اختلاف اللّهجات يظهر من خلال مستويات متعددة ؛ إلاّ أنه أكثر ظهوراً من خلال المستوى الصوتي.
8. الصفات الكلامية التي توجد في المجتمعات العربية الحديثة، ترجع في الغالب إلى لهجة من اللّهجات القديمة.
9. اللّهجات الحديثة في كل الوطن العربي، الكثير من خصائصها مجهولة، فهي تحتاج للكثير من الجهود البحثية.

ثانياً التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

1- تكثيف الجهود وزيادة الاهتمام بدراسة اللهجات على مستوى العالم العربي،وفق منهج متكامل من قبل الباحثين العرب، وعدم ترك تراثنا لعبة في يد الغرب.
2- الدراسة النظرية للّهجات وحدها لا تحقق كمال الفائدة ؛ بل يجب توظيف التقنيات ووسائل علم اللغة الحديث في دراسة هذه اللّهجات.

ثبت المصادر والمراجع

1- أنيس، إبراهيم: الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الأنجلو، [دت].

2- أيوب، عبد الرحمن، العربية ولهجاتها، القاهرة: مطابع سجل العرب، القاهرة 1968م.

تحقيق، مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ - 1987م.

4- ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني (291هـ)، مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: دار المعارف، ط2 [د.ت].

5- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (255هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط5، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1405هـ - 1985م.

6- الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات في التراث، القاهرة: الدار العربية للكتاب، 1993م.

7- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (792هـ)، الخصائص، تحقيق محمد على البجاوي، عمان: دار الطليعة للطباعة والنشر، [د.ت].

المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق على النجدي ناصف وآخرون، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1386هـ/1996م.

8- الحريري، أبو القاسم بن على (646هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، بغداد: مكتبة المثنى، ، [د.ت].

9- الراجحي، عبده ، اللهجات في القراءات القرآنية،الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، [د.ت].

10- الزبيدي، السيد محمد المرتضى بن محمد بن عبد الرازق (1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، بيروت: دار صادر، [د.ت].

11- سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (180هـ) ، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت:، دار الجيل، ط 5، 1402هـ/1982م.

12- عابدين، عبد المجيد، من أصول اللهجات العربية في السودان، القاهرة: مطبعة السبكي، ، 1966م.

13- علّام، عبد العزيز أحمد و الجُهني،نورة صبيان،المدخل إلى علميّ القراءات واللّهجات، الدمام: مكتبة المتنبي، ط1، 1426ه / 2005م.

14- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا الرازي (395هـ)،الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها،تحقيق عمر فاروق الطباع، بيروت:مكتبة المعارف، 1414هـ/1993م.

15- الفراهيدي، الخليل بن أحمد [175هـ]، العين، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، [د.ط].

16- فريحة، أنيس، محاضرات في اللهجات واسلوب دراستها،القاهرة: مطبعة الرسالة، ، 1374هـ/1955م.

17- القالي، أبوعلي إسماعيل بن القاسم(255هـ)،الأمالي، بيروت:دار الكتاب العربي، [د.ت].

18- ابن قُتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ) تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد السيد صقر، بيروت: المكتبة العلمية، 1401هـ.

19- محيسن، محمد سالم، المقتبس من اللهجات العربية القديمة، بيروت: مطبعة الأنوار،[دت]

20_ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (261ه)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: دار الحديث، 1412ه_ 1991م

21- مطر، عبد العزيز، لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية،القاهرة: دار المعارف، [د.ت].

22- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم بن على المصري الأفريقي (711هـ) لسان العرب، بيروت: دار صادر، 2000م.

23- وافي، على عبد الواحد فقه اللغة، القاهرة: مطابع نهضة مصر، 1972م

- اللغة والمجتمع، ط2، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1370هـ/ 1951م.

الاغتيالات السياسية في النصف الأول من القرن الأول الهجري التشابه والاختلاف

د. كمال الحاج الحسين
جامعة دنقلا - كلية الآداب
قسم التاريخ

د. أبوالقاسم خليفة التهامي
جامعة دنقلا - كلية الآداب
قسم التاريخ

شهد العالم الإسلامي ظاهرة الاغتيالات السياسية منذ وقت مبكر من قيام الدولة الإسلامية، حيث تعرض الخلفاء عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان و على بن أبي طالب رضي الله عنهم للاغتيالات كما لم تنجح محاولة اغتيال معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وكان ذلك لأسباب ودوافع مختلفة منها ما هو تدبير وتخطيط خارجي شاركت فيه عناصر غير عربية ومنها ما هو بفعل ثورات واحتجاجات شارك فيها المسلمون أنفسهم الأمر الذي شكل خطورة على أمن الدولة الداخلي والخارجي إذ أن الثورات والحروب الأهلية أخذت تفت في عضد الدولة الإسلامية الأولى. تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على الظروف والدوافع وراء تلك الاغتيالات والنتائج التي نجمت عنها.

أصبح المجتمع الإسلامي بعد الفتوحات على أيام الخلفاء الراشدين يتكون من قوميات مختلفة، فلم تكن الدولة الإسلامية كما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر معظم سكانها من العرب، إنما أصبح الأعاجم يمثلون كياناً معتبراً له حقوقه التي كفلها الإسلام، الذي يساوي بين معتنقيه عرباً وعجماً، إلا أن هؤلاء الأعاجم خاصة بعض قادتهم وزعمائهم (ظل حاقداً على الإسلام الذي محى دولتهم من الوجود ودك عروش مجدهم وزلزل قصور عظمتهم) (محمد الخضري بك، د. ت:12).

اغتيال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

يعتبر اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب أول اغتيال سياسي في الدولة الإسلامية، حيث ظل الحاقدون من العجم على الإسلام كدين وعلى العرب كقومية، يواصلون تربصهم بالقيادة الإسلامية ويحاولون التخلص منها فكانت أنظارهم موجهة إلى رمز الأمة ومحطم عظمة فارس، الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنتبه عمر بن الخطاب لهذه الفئة وكان حذراً في التعامل معهم ونلاحظ ذلك في أنه كان لا يستعملهم في عمل يخص الدولة الإسلامية (قيل لعمر بن الخطاب أن رجلاً من أهل الأنبار له بصر بالديوان هلا اتخذته كاتباً، قال: لقد اتخذت إذن بطانة دون المؤمنين) (الطبري، د.ت، ص740) كما منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخول الأعاجم إلى المدينة، فهو لا يثق فيهم ولا يرغب في تواجدهم بعاصمة الدولة (كان عمر لا يأذن لصبي من العجم قد احتلم في دخول المدينة) (ابن سعد، 1990:262) لكن رغم محاذير الخليفة عمر تجاه الأعاجم – خاصة في بداية عهد الفتوحات وقبل أن يتشرب هؤلاء بتعاليم الإسلام – واحترازه من وجودهم في المدينة، سمح لأحدهم بالتواجد في المدينة بناءً على طلب المغيرة بن شعبة، الذي كتب لعمر يخبره بفوائد جمة يجنيها سكان المدينة من وجود غلامه أبو لؤلؤة الذي يجيد عدد من الصناعات (كتب المغيرة بن شعبة يطلب عمر ويستأذنه أن يدخل غلامه أبو لؤلؤة المدينة ويقول إنما عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد، ونجار، فكتب إليه عمر فأذن له أن يرسله إلى المدينة) (الطبري، د.ت:734) هذه الموافقة توضح اهتمام الخليفة بالاستفادة من خبرات هؤلاء الأعاجم في تطوير الدولة رغم مخاوفه من حقدهم عليها.

يعتبر أبو لؤلؤة الفارسي أحد العناصر الحاقدة على الإسلام والمسلمين والغاضب باعتبار أن الإسلام تسبب في زوال دولتهم وملكهم. وعبر عن ذلك في تعامله مع سبايا الفرس في المدينة (ذكروا أنه إذا نظر إلى السبي الصغار في المدينة يأتي فيمسح رؤوسهم ويبكي ويقول: إن العرب أكلت كبدي، وقد كان من سبي نهاوند) (ابن سعد، 1990م:264). دفع هذا الحقد على العرب أبو لؤلؤة إلى تنفيذ جريمته البشعة وهي اغتيال عمر بن الخطاب، ورغم أن منفذها واحداً هو أبو لؤلؤة، إلا أن دوافعها لم

تكن شخصية وإنما كانت تعبيراً عن سخط الفرس على العرب، ومما يؤكد ذلك مشاركة أحد قادة فارس في التخطيط لتلك الجريمة وهو الهرمزان الذي دخل الإسلام خوفاً من بطش عمر بن الخطاب، ذلك لمواقفه من جند المسلمين في العراق، وشخص مثل هذا لا يؤمن مكره (حاصر جند المسلمين الهرمزان وأسروه وأرسلوه إلى عمر بن الخطاب في المدينة، فلما قدم المدينة وجد عمر نائماً في المسجد، فقال الهرمزان أين عمر وأين حرسه وحاجبه) (الطبري، د.ت:697).

استيقظ عمر من نومه فوجد الهرمزان وأدار معه حواراً وأوشك أن يأمر بقتله لولا أنه خدع عمر بكلامه، فتركه عمر من القتل نظير أن يعلن إسلامه، (قال عمر: للهرمزان ما عذرك من انتفاضك مرة بعد مرة قال أخاف أن تقتلني قبل أن أشرب، ثم طلب ماء وقال أخاف أن أقتل وأنا أشرب فقال عمر: لا بأس عليك حتى تشربه فأكفأه وقال لا حاجة لي في الماء أردت أن استأمن، قال عمر إني قاتلك، فقال لعمر من حوله قد أمنته قال عمر خدعني والله لا أنخدع إلا لمسلم) (الطبري، د.ت:698)

أدرك الهرمزان أنه إذا لم يسلم فإن عمر قاتله، فأسلم حتى يفدي نفسه من القتل، إنه ليس إسلام عن قناعة، لكن عمر بن الخطاب قبل إسلامه، ومثل هذا الرجل الذي شهد زوال ملكاً كان فيه قائداً إذا سنحت له الفرصة ليتخلص من الرجل الذي تم على يديه ذلك فإنه لن يتردد من الخلاص منه. تشير أصابع الاتهام إلى شخص ثالث شارك في التخطيط لاغتيال الخليفة عمر (وهو نصرانياً من أهل الحيرة أسمه جفينة أقدمه إلى المدينة سعد بن أبي وقاص ليعلم بالمدينة الكتابة) (ابن كثير، 1982م:39)

تدور شبهة اغتيال عمر حول ثلاثة أشخاص، ونفذ القتل أبو لؤلؤة الذي ليس هنالك خلاف حول جرمه، أما الآخران – الهرمزان وجفينة – تدور حولهما شبهة الاشتراك في ذلك ليس هنالك دليل قطعي باشتراكهما ولكنها دلائل ظنية تستنتج من مجرى الأحداث.

أشتكى أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة سيده إلى عمر مدعياً أنه يطلب منه سداد مبلغ من المال، فإستفسره عمر عن صنعته وطلب منه أن يسدد ما عليه لأنه صانع ماهر

(خرج عمر بن الخطاب يوماً يطوف في السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة فقال: كم خراجك؟ قال درهمان في كل يوم، قال: وما صناعتك؟ قال: نجار نقاش حداد، قال: ما أرى خراجك كثير) (أبن كثير، 2005م:1863). لم يعجب رد عمر بن الخطاب أبو لؤلؤة ولذلك رد عليه عندما طلب منه أن يصنع له رحى رداً جافياً لم يعجب عمر بن الخطاب (لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب) (أبن الأثير، 1982م:26)

أنتبه عمر بن الخطاب إلى حديث أبو لؤلؤة، بل قال لجلسائه أنه يشعر من حديث أبي لؤلؤة إليه بالوعد والوعيد (قال عمر بن الخطاب: لقد توعدني العبد آنفاً) (ابن خلدون، 1988م، ص586) نفذ أبو لؤلؤة تهديده فلما خرج عمر لصلاة الصبح، دخل أبو لؤلؤة في الناس (وفي يده خنجر له رأسان فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته) (الذهبي، 1989م:307). أدى أبو لؤلؤة دوره كاملاً في التنفيذ، ولم يرد ذكر الهرمزان وجفينة في التنفيذ، وإنما ذكر ذلك عبد الرحمن بن أبي بكر عندما علم بموت عمر (قال عبد الرحمن بن أبي بكر: عندما طعن عمر مررت على أبي لؤلؤة عشية أمس ومعه جفينة والهرمزان نجى فلما رمقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان) (ابن سعد، 1990م:266).

يتضح مما سبق أن هنالك مؤامرة دبرت لقتل الخليفة عمر، دبرها الهرمزان وجفينة ونفذها أبو لؤلؤة. انتهز الهرمزان فرصة حقد أبي لؤلؤة على عمر فدفعه على تنفيذ هذه الجريمة، لكن تسرع عبيد الله بن عمر وقتله الهرمزان وجفينة أضاع ملامح المؤامرة. فالهرمزان الذي نطق بالشهادتين عند قتله تظل تحوم حوله الشبهة في الاشتراك في الجريمة، وأبو لؤلؤة الذي نفذها فإن ليس له دوافع شخصية في ذلك والذي يعرف عدل الخليفة عمر، فهو لم يظلم أبا لؤلؤة ولذلك قال حينما علم أنه هو الذي طعنه (قال: قاتله الله والله لقد كنت أمرت به معروفاً) (ابن سعد، 1990م:257) لكن أبو لؤلؤة الحاقد الذي يمسح بيديه على سبايا فارس، تمكن أن يكون صيداً سهلاً للهرمزان الذي يرى كل يوم الرجل الذي على يديه تم فتح بلاد فارس، فربما غلب عليه حقده ووجد عوناً من ذمي آخر هو جفينة.

أسفرت هذه المؤامرة عن قتل الخليفة عمر بن الخطاب، الذي أذهل الهرمزان عندما رآه لأول مرة وربما سيطرت عليه دوافع المؤامرة منذ اللحظة الأولى فجعل يسأل أين حاجبه أين حراسه؟ لقد اجتمع هؤلاء الثلاثة: أبو لؤلؤة، الهرمزان وجفينة في الليلة السابقة للجريمة ورآهم صحابي جليل غير مجروح الشهادة ورأي الخنجر معهم، فلو كان الهرمزان بريئا لكان عليه أن يبلغ بما سمعه من أبي لؤلؤة، لكن سكوته حتى حدوث الجريمة يشير إلى مشاركته في الإعداد لها، لكن قتله دون تحقيق جعل اشتراكه ظنياً لا نستطيع الجزم بتأكيده لكن الراجح أنها مؤامرة دبرها أعداء الإسلام من الفرس وربما تشكل خلفية للصراع العربي الفارسي والسني الشيعي القائم الآن ومحاولات الايرانيين الحالية للسيطرة على العالم الإسلامي لإعادة دولة فارس.

اغتيال الخليفة عثمان بن عفان:

تكررت تجربة الاغتيال مرة أخرى إذ قتل الخليفة عثمان بن عفان واختلف اغتياله عن اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد خطط ونفذ لاغتيال عمر بن الخطاب مجموعة حاولت الانتقام من الذي حطم دولتهم، أما اغتيال الخليفة عثمان فقد نفذته مجموعة من المسلمين من خارج المدينة، فعندما تولى عثمان الخلافة انتقل مركز الثقل السياسي والاقتصادي إلى خارج المدينة عاصمة الدولة الإسلامية، بل إلى خارج الجزيرة العربية، فأصبح العراق ومصر القوتان المؤثرتان اللتان يرجحان الكفة التي تميلان إليها، وأصبح سكان المدينة والجزيرة العربية الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وسلم وشهدوا معه قيام الدولة وتأسوا بأخلاقه يمثلون قلة داخل الدولة، وأصبحت الأكثرية من المسلمين الذين دخلوا الإسلام في حركة الفتوح الإسلامية في عهدي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وكان ينبغي أن يتم التعامل مع هؤلاء وفق منهج جديد تمليه الظروف الجديدة التي شهدتها الدولة.

أستغل مسلمو الأمصار الجديدة الخلاف في الرأي الذي نشب بين الخليفة عثمان وبعض الصحابة مما أدى إلى قيام ثورات في الأمصار المختلفة ولم يستطع الولاة السيطرة عليها، فكان من نتائجها حصار الخليفة وقتله، تباينت وجهات النظر بين

عثمان وبعض كبار الصحابة في قضايا مختلفة، وكان لعثمان رأيه وكان لبعض الصحابة رأيا مخالفاً، كما عزل عثمان بن عفان بعض الصحابة الذين استعملوا كولاة وعين بعض أقربائه، فأستنكر ذلك بعض الصحابة (ولي عثمان اثنتي عشرة سنة أميراً يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً ثم تواني في أمره واستعمل أقرباءه في الست الأواخر، فأنكر الناس عليه ذلك) (ابن سعد، 1990م:47).

لم يخف عمرو بن العاص استياءه من عزله من أمارة مصر، لذلك بدأ يحرض الناس على عثمان، بل تخير كبار الصحابة ليحرضهم على الخليفة الشرعي فأصبح لبعض كبار الصحابة موقف معارض معلن للخليفة (عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص من ولاية مصر وأبدله بعبد الله بن سعد بن أبي سرح، فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه عثمان يوماً وتحادثا وتغاضبا، فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرة فيؤلبه على عثمان ويأتي الزبير وطلحة ويعترض الحجاج فيؤلبهم ويخبرهم بما أحدث عثمان) (الطبري، د.ت:789).

حدث اختلاف وتباين في بعض المسائل الفقهية بين عثمان و الصحابة، حيث أنكر بعض الصحابة على عثمان بن عفان أنه في موسم الحج أتم الصلاة بمنى، والمعلوم لدى كافة الناس أنها تصلى قصراً، وبدأ عامة الناس يتحدثون في هذا الأمر مما جعل على بن أبي طالب يراجع عثمان في ذلك، لكنه أصر على رأيه وقال هذا رأي رأيته (تكلم الناس في ذلك حتى جاءه على بن أبي طالب فيمن جاءه فقال: لقد عهدت نبيك يصلى ركعتين ثم أبا بكر ثم عمر، وأنت صدراً من خلافتك فما أدري ما ترجع إليه فقال: رأي رأيته) (الطبري، د.ت:764)

اختلف عبد الله بن مسعود مع عثمان بن عفان وذلك حينما أراد عثمان أن يوحد المصاحف، فأمتنع ابن مسعود من دفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، فجيء به إلى المدينة وعوقب عقاباً حاداً جعله يغضب من عثمان فلا يكلمه، فابن مسعود صحابي جليل ولا بد أن بعض الصحابة وكافة المسلمين لم يعجبهم ما حل به. (امتنع ابن مسعود عن دفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر فأمر عثمان باستقدامه إلى المدينة فقدم إليها،

فأمر به فجر رجليه حتى كسر له ضلعان ثم منعه عطاءه، فأعتل ابن مسعود بعدها وأقام مغاضباً لعثمان حتى توفى) (اليعقوبي، 1385هـ:170)

ساءت العلاقة بين عمار بن ياسر وعثمان بن عفان، فعمار كان يؤد لو آلت الخلافة إلى على بن أبي طالب وقد صرح بذلك في اليوم الذي أعلن فيه عبد الرحمن بن عوف اسم عثمان ليصبح الخليفة (قال عبد الرحمن بن عوف قبل أن يعلن اسم عثمان أشيروا على أيها الناس فقال عمار بن ياسر إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً) (ابن الأثير، 1982:51) وتعددت مواقف الخلاف بينهما، وساءت علاقتهما خاصة بعد أن تبنى عمار مذكرة كتبها عشرة من الصحابة إلى عثمان بن عفان يحتجون عليه في بعض سياساته فغضب عثمان وضرب عمار فغضب لذلك بعض أنصار عمار وحلفائه (أمر عثمان بن عفان بضرب عمار بن ياسر الذي دفع له كتاب كتبه عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان ينكرون فيه سياساته، فضربه من كان في حضرته من بني أمية وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه فغشي عليه، وجروه حتى طرحوه على باب الدار، فغضب بنو المغيرة وكان عمار يرتبط معهم برابطة الحلف ولم يغفروا لعثمان زلته هذه) (ابن قتيبة، 1981م:34)

حاول الخليفة عثمان استرضاء عمار بن ياسر في فترة لاحقة، خاصة بعد أن شعر أن هنالك تياراً عاماً ضده خاصة في الأمصار (جاء بعض الصحابة إلى عثمان بن عفان وقالوا: إنا قد أتانا من الأمصار ما أخافنا من طعن في الولاة وإظهار للمنكر، قال عثمان: أنتم شركائي فأشيروا على، قالوا: تبعث رجالاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم فأرسل عمار بن ياسر إلى مصر) (ابن الأثير، 1982:78) رغم ثقة عثمان ابن عفان في عمار وإرساله إلى مصر إلا أنه وجد ضالته هنالك، إذ اتفق رأيه مع بعض المصريين الذين لهم رأي في خلافة عثمان، فاجتمع إليهم مما أزعج الوالي على مصر عبد الله بن أبي سرح فكتب بخبره إلى الخليفة (استبطأ الناس عماراً حتى ظن أنه اغتيل فلم يفاجئهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد ابن أبي سرح يخبرهم أن عماراً قد استماله قوم من مصر وقد انقطعوا إليه) (الطبري، د.ت:792)

ظل عمار على موقفه من عثمان بن عفان الذي أرسل إليه حين اشتعلت الفتنة وقدمت وفود الأمصار إلى مصر يطلب منه أن يرد الثوار عن المدينة ولكن عمار لم يستجب لهذه الدعوة، مما يشير إلى تأزم الموقف بين الخليفة ورعاياه وبعض الصحابة (أرسل عثمان بن عفان إلى سعد بن أبي وقاص فكلمه أن يأتي عماراً فيكلمه أن يركب مع على بن أبي طالب لرد وفود الأمصار من دخول المدينة فكلمه سعد فقال عمار: والله لا أردهم عنه أبداً فرجع سعد إلى عثمان فأخبره) (الطبري، د.ت:798)

أصبحت ولاية مصر مهيأة للخروج على الخليفة بسبب وجود كل من محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة الذين ساهما في التحريض على عثمان، فأما محمد بن أبي بكر فلأن عثمان لم يوله ثم أنه أخطأ فعاقبه على خطئه، أما محمد بن أبي حذيفة فسأل عثمان أن يوليه فلم يفعل فخرج إلى مصر وصار يحرض الناس على عثمان (سأل محمد بن أبي حذيفة عثمان أن يوليه فقال له لست هناك، فطلب أن يأذن له بالخروج فجهزه فلما وقع إلى مصر تبع من تغير على عثمان لأنه منعه الولاية) (الطبري، د.ت:815) وكان لعبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، وبدأ يكيد للإسلام والمسلمين وأخذ يطوف بأقاليم الدولة الإسلامية ملتمساً انضمام أصحاب النفوس الضعيفة إلى زمرته و استطاع أن يبث سمومه خاصة في مصر ويشعل النار ويزيدها تأجيجاً.

تعتبر ولاية الكوفة من أسباب الطعن على عثمان بن عفان لأنه ولى أقرباءه وترك كبار الصحابة، حيث عزل سعد بن أبي وقاص وولى مكانه الوليد بن عتبة أخ عثمان بن عفان لأمه، ورغم أن الوليد كان محبوباً لأهل الكوفة رفيقاً بهم إلا أنهم سعوا إلى عزله باتهامه بشرب الخمر الأمر الذي يشير إلى تدخل الناس في تولية وعزل الولاة مما أدى إلى اضطراب أحوال الولايات الإسلامية (عزل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة وولى مكانه الوليد بن عتبة فقدم الكوفة وكان أحب للناس وأرفقهم خمس سنين وليس على داره باب) (ابن حجر، د.ت:617) ولى عثمان بن عفان سعيد بن العاص على الكوفة، فلما دخلها وجد أهلها بشر حال غلب عليها أجلاف

العرب الذين لم يتشرفوا بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى عثمان بن عفان تقريراً بين ذلك الحال (إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب على أهل الشرف منهم والبيوتات السابقة والغالب على تلك البلاد روادف ردفت وأعراب لحقت حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نائبتها) (الطبري، د.ت: 769)

يتضح من رسالة سعيد بن العاص إلى الخليفة أن مناخ الكوفة أصبح ملائماً للشقاق والفتنة، بل أنهم رفضوا ولاية سعيد بن العاص ومنعوه من دخولها فلم يجد الخليفة بداً غير أن يستجيب لكل رغباتهم ما لم يعص الله، ويتضح من سياق الأحداث أنهم لا يريدون إصلاحاً بتغيير ولاتهم، فقد استغلوا شخصية الخليفة عثمان الموادعة التي تستجيب لمطالبهم، فهم كانوا يحتاجون لشخصية تردعهم حتى لا يمثلوا تهديداً لأمن الدولة (فكان أن عين عليهم أبو موسى الاشعري بدلاً عن سعيد بن العاص حسب رغبتهم. والله لأفرشن لكم عرضي ولأبذلن لكم صبري ولاستصلحنكم بجهدي فلا تدعوا شيئاً أحببتموه، ولا يعص الله فيه إلا استعفيتم منه أنزل فيه عندما أحببتم حتى لا يكون لكم على حجة) (ابن الأثير، 1982، 74)

شهدت ولاية البصرة كذلك تغييراً لولاتها، وكان ذلك بسبب اشتراك أهلها مع الكوفة ومصر في الخروج على سلطان الخليفة والتمرد عليه، فتم عزل أبو موسى الأشعري بناءً على طلب أهلها وشكواهم لأبي موسى الأشعري (أتى أهل البصرة عثمان بن عفان واستعفوه من واليه أبو موسى الأشعري فأعفاه وولى عبد الله بن عامر) (الطبري، د.ت:789)

تشابهت الأحوال في هذه الولايات وبدأ أهلها يمثلون تهديداً للدولة خاصة بعد أن وجدوا تنازلاً من الخليفة مستجيباً لرغباتهم كما كان لوجود بعض الصحابة المعارضين للخليفة في تلك الولايات أثراً في نمو الفتنة والثورة، لذلك استطاع مثيرو الفتنة والشغب أن يصلوا إلى غايتهم، فلو أن الخليفة عثمان عامل مثيري الفتنة بالحزم والشدة وأنزل بهم العقاب لحفظ للأمة وحدتها وتماسكها بدفع الضرر عنها، وكانت إجراءاته معهم غير كافية، فقد كان هؤلاء يمثلون تهديداً لوحدة الدولة، فهم

يستهدفون قائدها. تجمع هؤلاء الثوار في مصر والكوفة والبصرة وجاءوا إلى المدينة حاضرة الدولة ومقر الخلافة، وحاصروا المدينة، لكن كبار الصحابة زجروهم وطردوهم ولم يحسنوا استقبالهم.

رجع هؤلاء الثوار إلى بلادهم وتواعدوا أن يعودوا مرة أخرى ويظهروا أنهم قادمين إلى الحجاز للحج (فذهبوا ورجعوا لبلادهم على أن يغزوه مع الحجاج) (ابن كثير، 2005م:1892) حاول الثوار استمالة على بن أبي طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله إلى جانبهم وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم وساروا أياماً راجعين ثم كروا راجعين إلى المدينة فقال على لأهل مصر: ما ردكم بعد ذهابكم؟ قالوا: وجدنا مع بريد كتاباً بقتلنا وكذلك قال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير بن العوام، وقال أهل كل مصر، أنما جئنا لننصر أصحابنا، فقال لهم الصحابة كيف علمتم بذلك وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟ أنما هذا أمر اتفقتم عليه، فقالوا: ضعوه على ما أردتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا ونحن نعتزله) (ابن كثير، 2005م:1892) وهذا يوضح الحال الذي وصل إليه حال الدولة من تمرد وخروج عن طاعة السلطان.

اتضح حجم المؤامرة على الخليفة عثمان وقد صرح بذلك الخارجون عليه، فعليه التنازل عن الخلافة، وإلا فهم قاتلوه لا محالة، وقد زوروا ذلك الكتاب بقتلهم حتى يجدوا لأنفسهم عذراً أمام الصحابة ويبرروا عودتهم للمدينة (وهكذا زوروا الكتاب على عثمان فإنه لم يأمر به ولم يعلم به) (ابن سعد، 1990م:48) ومع هذا الإصرار بدأ الثوار في تنفيذ مخططهم فحاصروا الخليفة داخل داره وتسوروا الدار ودخلوا فقتلوه (لم يبق مع عثمان أحد من الصحابة سوى أهله تسوروا عليه الدار وأحرقوا الباب ودخلوا عليه ليس من بينهم صحابي فضربوه حتى غشي عليه وضربه أحدهم بالسيف في بطنه وتحامل عليه حتى قتله) (ابن كثير، 2005م:1892)

نجحت المؤامرة التي استهدفت رمز الأمة وقائدها الذي كان شيخاً كبيراً لم يستطع مواجهة هذه المؤامرة و التصدي لها. أتضح جلياً أن هنالك قوى أخرى خارج المدينة أصبحت هي التي تقرر في مصير الدولة، فلم يعد الصحابة ولا أبنائهم هم أهل

الحل والعقد في الدولة الإسلامية كما أن انقطاع المدينة وراء صحاري الجزيرة عزلها من الناحية العملية عن السرعة في اتخاذ القرار في الأحداث التي كانت تدور في الأمصار الجديدة من التوتر، إلى جانب ذلك فإن كثير من المسلمين الجدد الذين ولدوا بالأمصار لم يكن هنالك ما يشدهم إلى المدينة بل إلى الجزيرة العربية نفسها وقد انتقل انتمائهم إلى البلاد الجديدة التي ولدوا وعاشوا فيها، كل تلك العوامل اجتمعت لتؤدي لنوع من التوتر بين المقاتلة بالأمصار وحكومة المدينة. حيث أصبحت الأمصار الكوفة والبصرة ومصر هي التي تتحكم في مصير الدولة الإسلامية.

لماذا اغتيل الخليفة على بن أبي طالب:

روعت المدينة لمقتل الخليفة الشرعي عثمان بن عفان (لم يكن أحد يتخيل من الصحابة أن تصل الجرأة لهؤلاء الأشرار إلى حد قتل الخليفة) (الوكيل، 1995م:433) وسيطر الخارجون والثوار على المدينة بعد مقتل الخليفة وظل أحد الثوار الذين تولوا كبر الإثم يصلى بالناس خمسة أيام (لما قتل عثمان بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب زعيم ثوار مصر) (ابن الأثير، 1982م:99)

أحس كبار الصحابة بخطورة الموقف إذ كيف تكون الدولة بلا أمير مما يهدد ويقود إلى فوضى وعدم استقرار ويغري الأعداء للقضاء عليها. لم تكن لدى الثوار خطة واضحة لإدارة الدولة بعد اغتيال الخليفة، بل كان الثوار يشعرون أن أمر الدولة يخص كبار الصحابة، فحاولوا الاتصال بكبار الصحابة الموجودين بالمدينة ليتولى أحدهم هذا الأمر، لكن رفض كل من عرض عليه هذا الطلب (التمس الثوار من يجيبهم للقيام بالأمر، فالمصريون يلحون على على بن أبي طالب وهو يهرب منهم، والكوفيون إلى الزبير بن العوام فلا يجدونه والبصريون إلى طلحة بن عبيد الله فلا يجيبهم، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فلم يقبل، ثم رجعوا إلى ابن عمر فأبى عليهم) (ابن كثير، 2005م: 1934)

أصر الثوار المصريون على علي بن أبي طالب، كما لم يترك الصحابة الموجودون بالمدينة علياً وألحوا عليه في قبول الخلافة فلم يكن أحد من الصحابة في المدينة أحق

بالأمر منه فمناقبه وأسبقيته يجعل منه الأنسب لإمامة المسلمين في تلك الظروف الحرجة، لم يجد على بن أبي طالب بداً غير القبول بالخلافة واجتمع المهاجرون والأنصار، فيهم طلحة والزبير فبايعوه وبايع جمهور أهل المدينة علياً بالخلافة، وبايعه الثوار الذين قتلوا عثمان وبايعه بعض كبار الصحابة. لكنه تولى الأمر في ظروف بالغة التعقيد، فقد كان البيت الإسلامي من الداخل غير مرتب وكانت الفتنة تطل برأسها، فأمتنع عن بيعة على بعض الصحابة أمثال سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وبعض الأنصار (حتى سعد قال لا أبايع حتى يبايع الناس، وكذلك ابن عمر وبعض الأنصار إلا نفراً يسيراً أما طلحة والزبير رغم شهودهما ما دار بين الأنصار والمهاجرين وعلي إلا أنهما عند البيعة تأخرا فجاءهما الثوار فبايعا مكرهين (جيء بطلحة والزبير فبايعا مكرهين) (ابن الأثير، 1982م:16)

قرر على بن أبي طالب أمام هذا الموقف العصيب الذي تعيشه الدولة أن يقبل البيعة (خشية أن يهجم عليها من ليس كفوا لها ويغتصبها اغتصاباً بقوة السيف الذي بأيدي المتمردين) (السيوطي، 1351هـ، :174) فقد بايعه معظم أهل المدينة وبايعه طلحة والزبير طوعاً أو كرهاً، لكن لم يبايعه أهل الشام وأميرهم معاوية. يوجد فرق كبير في الظروف التي تولى فيها على الخلافة وبين الظروف التي ولي فيها كل من الخلفاء الثلاثة السابقين فبيعته لم تكن جامعة كغيرها، فقد انفتح باب الشر وذلك على خلفية مقتل الخليفة عثمان. وجد على بن أبي طالب نفسه فور توليه الخلافة مجابهاً بقضايا هامة، فالغبن الذي أحدثه مقتل عثمان بن عفان أدى إلى ملابسات وقضايا هامة تتعلق بوحدة الأمة التي لم تجمع على اختياره خليفة، وجد الخليفة على نفسه محاصراً بكل ذلك وقال في ذلك (فانا مستقبلون أمراً له وجوه، وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول) (الطبري، د.ت:831).

بدأ على خلافته بمحاولة إعادة الأمور إلى نصابها، لكن يبدو أن الأمور كانت أعجل من ذلك، حيث بدأ مجتمع المدينة الذي به كبار الصحابة يتحدث عن ضرورة إقامة الحد على قتلة عثمان بن عفان الذين لا يزالون يسيطرون على الوضع في العاصمة

(لما استقر الأمر ببيعة على دخل عليه رؤوس الصحابة وطلحة والزبير وطلبوا منه إقامة الحد والأخذ بدم عثمان) (ابن كثير، 2005م:1935). أدرك على حجم المسؤولية، فمجتمع المدينة وأهل الحل والعقد يشيرون عليه أن يحاكم قتلة عثمان وهو يتفق معهم من حيث المبدأ، ولكن هنالك واقع جديد لا يستطيع تجاوزه، وهو أن هؤلاء القتلة من القوة بمكان فلا يستطيع أن يقبض عليهم ويحاكمهم بهذه السرعة المطلوبة، فهو يعتذر لكبار الصحابة بأن لهؤلاء الخارجين مدد وعون (فأعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وعون وأنه لا يمكنه ذلك في يومه هذا) (ابن كثير، 2005م:1935) لكن رسالة طلحة والزبير إلى على لم تقف عند هذا الحد فهما يطلبان منه أن يشركهما في الأمر فيوليهما الكوفة والبصرة (طلب الزبير من على أن يوليه إمرة الكوفة ليأتيه منها بالجند، وطلب منه طلحة أن يوليه أمرة البصرة ليأتيه منها بالجند. ليقوى بهم على شوكة هؤلاء الخوارج) (ابن الأثير، 1982م، ص101) يبدو أن على قد فاجأه الأمر وهو أصلاً يشك في بيعتهما، فرد عليهم بقوله (مهلا على حتى أنظر في هذا الأمر) (ابن كثير، 2005م: 1935)

لم يكن يخطر ببال على أن يقود الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله معارضة في مواجهته، ويعتقد أن السبب الرئيس لهذه الثورة ضد عثمان هم ولاته، لذلك عمد إلى تغييرهم لأنهم لا يصلحون لأن يتولوا شيئاً من أمر المسلمين فقرر على أن لا يترك منهم أحداً يوماً واحداً. فنصح عبد الله بن عباس علياً، لكنه لم يستجيب لنصحه وأصر على موقفه (أشار بن عباس على على بن أبي طالب باستمرار عمال عثمان على البلاد إلى أن يتمكن من الأمر وخصوصاً معاوية فقال على: إني لا أرى هذا) (الطبري، د.ت:830)

عزل على بن أبي طالب ولاة عثمان وولى بدلاً منهم آخرين، ولم يستطيع واليه الجديد الوصول إلى الشام وعرف أن معاوية بن أبي سفيان يرفض البيعة، بل ويستعد لحربه، فبدأ يعد نفسه لملاقاة معاوية وحرب أهل الشام (عزم على بن أبي طالب على قتال أهل الشام وخرج من المدينة وصمم على على القتال وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه

من عصاه) (الطبري، د.ت، ص832) وبينما هو يتجهز للمسير إلى الشام أتاه الخبر الذي غير خطته، كان على يعتقد أنه أمام معارض واحد وهو معاوية في الشام، لكن تغير الأمر بعد أن اجتمع ثلاثة من أهل الحل والعقد وعزموا على معارضة على وهموا بالخروج من مكة واستأذناه في ذلك فأذن لهما (وفي مكة التقيا السيدة عائشة وقرروا الخروج على على) (ابن كثير، 1982م:105) حيث بدأت في الخروج من مكة إلى المدينة بعد نهاية موسم الحج فأتاها خبر مقتل عثمان وبيعة على (فانصرفت إلى مكة ثم حرضت الناس للمطالبة بدم عثمان والتف حولها عدد منهم عامل عثمان على مكة عبد الله بن عامر وتبعه بنو أمية وقدم طلحة والزبير فقالت عائشة: ما وراءكما؟ فقالا: فارقنا قوماً حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلاً: فقالت: انهضوا إلى هؤلاء الغوغاء) (ابن خلدون، 1988م:607)

غضب الأمويون ومجموعة من سائر الناس لمقتل عثمان بن عفان، وإذا وجد العذر لهؤلاء المتعاطفين والغاضبين لمقتل عثمان وبني أمية الذين هم أهل عثمان، فما هي الدوافع التي جعلت السيدة عائشة وطلحة والزبير لمعارضة على وهم يعرفون فضله وأحقيته بهذا الأمر؟ هل هم كما ذكر بايعا مكرهين! لكن هنالك صحابة غيرهم قد تأخروا عن البيعة ولم يلجأ الخليفة لاتخاذ أي إجراء ضدهم لكن يبدو أنهما بعد البيعة شعرا أن مجتمع المدينة أصبح غير مناسب لهما وأن علياً لم يستجب لطلبهما فيصبحا أميرين على الكوفة والبصرة ، وشعرا أن الثوار تمكنوا من المدينة ولم يكن في وسع الخليفة أن يفعل شيئاً فليخرجا إلى مكة فربما استطاعا أن يغيروا هذا الموقف (ويبدو أنهما وجدا في مكة تجمعاً عثمانياً يرتب لنفسه ليأخذ بثأر عثمان فانضما لهذا التجمع ليس نكاية في على بقدر ما هو موقف من قتلة عثمان) (عبد الشافي، 1984م:31) وربما شجعهما على ذلك موقف السيدة عائشة رضي الله عنها التي كانت ترى أنه لا بد من القصاص من قتلة عثمان (فقامت عائشة في الناس تخطبهم وتحثهم على القيام بطلب دم عثمان فاستجاب لها الناس وطاوعوها على ما تراه من الأمر بالمصلحة) (ابن خلدون، 1988م:616).استكمل معسكر عائشة قوته وأعد

عدته لخوض معركته مع قتلة عثمان وبدأ يفكر كيف يبدأ هذه المعركة فأتفق الرأي على التوجه إلى البصرة، كما أدرك الخليفة على بن ابي طالب الذي كان يعد نفسه للمسير إلى الشام، وأن عليه أن يتوجه إلى البصرة أولاً للقاء السيدة عائشة ومجموعتها.

وصل الجيشان إلى البصرة كل يعد نفسه لقتال الآخر إلا أن علياً لم يرغب في قتالهم، بل أرسل إليهم رجلاً من خيرة الصحابة هو القعقاع بن عمرو وطلب منه محاورة هذه المجموعة يدعوهم إلى الجماعة ويحبب إليهم الإصلاح (دعا على بن أبي طالب القعقاع بن عمرو فقال له: الق هذين الرجلين فأدعوهما إلى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة) (ابن كثير، 2005م:1941) قاد القعقاع حواراً ناجحاً معهم موضحاً ضرورة الوفاق وأفادت السيدة عائشة أنها تريد الإصلاح، فقال القعقاع أن ذلك ليتم لوحدة المسلمين فليبايعوا علياً ثم يمكنوه من الأمر ويتوحد الصف المسلم عقب ذلك ليستطع الخليفة وهو في موقف قوي أن يأخذ الظلمة ويقتص منهم، أما الآن فلا بد من التمهل والحذر حتى يتم هذا الأمر. قالت عائشة: فما تقول أنت؟ قال: أن هذا الأمر دواؤه التسكين فإذا سكن اختلجوا فإن بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة ودرك بثأر فآثروا العافية تدركوها وكونوا معنا في خير كما كنتم ولا تعرضونا للبلاء فيصرعنا وإياكم) (الذهبي، 1989م، ص424). أعجبت السيدة عائشة بقول القعقاع ووافقت ومن معها على ما طلب، ولعل أهم نتيجة خلص إليها هذا الحوار، هو أن الرأي الذي أرتآه على بن أبي طالب في تأجيل التعامل مع قتلة عثمان كان هو الرأي الأصوب والأمثل وهو القصاص منهم حين تهدأ الأحوال. فرح على وأتباعه بالموافقة على الصلح لما فيه من حقن دماء المسلمين ووحدة الصف وبدأ على يرتب للقاء مجموعة عائشة وإتمام الصلح بينهما. (قال على بن أبي طالب: أني مرتحل غداً فارتحلوا، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء) (ابن كثير، 2005م:1943)

شعر قتلة عثمان بأنهم في وضع خطر إذا تم الصلح، وقد التقى الفريقان وأوشكوا على ذلك، فقرروا أن يشعلوا الحرب بين الطرفين، ويتضح أن علياً لم يضع

في اعتباره موقف هذه المجموعة، ولم تكن له أعين داخل جيشه تنقل له مواقفهم، لذلك استطاعوا أن يصلوا إلى هدفهم سريعاً دون أن يكتشف أمرهم (بات قتلة عثمان بشر ليلة وبدءوا يتشاورون على أن يثيروا الحرب، فانصرف كل فريق إلى قراباتهم فهجموا عليهم بالسيوف، فقال: أهل البصرة طرقتنا أهل الكوفة ليلاً، وقال أهل الكوفة طرقتنا أهل البصرة ليلاً) (الدينوري، 2001م:215)

دارت الحرب بين الفريقين، وقُتل من الطرفين عدد كثير وفقد في هذه المعركة الزبير وطلحة وهما من كبار الصحابة مما يؤكد خطورة هذا النزاع ومصير الدولة (قتل الزبير وطلحة وعقر جمل السيدة عائشة، وكان مجموع من قتل عشر ألف، خمسة من كل فريق) (الدينوري، 2001م:217) ولا يمكن تحديد المسئولية أو إلقاء اللوم على أحد الأطراف فقد حقق أصحاب الفتنة بغيتهم وشعر كل من شارك في هذه المعركة من قادة المسلمين بالندم والأسف خاصة السيدة عائشة التي قالت (والله لوددت أن مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة) (ابن كثير، 2005م:1945)

انتهت المعركة ولكن آثارها لم تنته بعد، فقد كان حال الدولة الإسلامية يشير إلى أن الخليفة على سيواجه كثير من الصعاب خاصة معاوية بن سفيان أمير الشام الذي رفض مبايعة على ويطالب بالقصاص من قتل الخليفة عثمان.

أدرك كثير من المقربين لعلي بن أبي طالب أن معاوية سيكون له موقف مناهضاً لخلافته، لذلك نصحوه بأن يتعامل معه بحذر وحكمة، ومن هؤلاء عبد الله بن عباس الذي نصح على بالا يعزل معاوية عن الشام حتى تهدأ الأحوال لكن علياً أصر على موقفه وعزله وكذلك نصح المغيرة بن شعبة علياً بذلك (قال بن عباس: أتيت علياً بعد مقتل عثمان فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا؟ قال: قال لي أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم أعزل من شئت وأترك معاوية فإن في معاوية جرأة وهو في أهل الشام يسمعون منه، ولك حجة في أن عمر بن الخطاب هو الذي ولاه الشام) (ابن كثير، 2005م:1935)

كتب على إلى معاوية يأمره بالدخول في طاعته فلم يجبه بشيء وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان ثم أرسل معاوية إلى على بن أبي طالب رسولاً نقل إليه موقف معاوية وعزمه على قتال على (أرسل معاوية إلى على بن أبي طالب رسولاً فقال على للرسول ما وراءك؟ قال: تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، فقال على بن أبي طالب ممن؟ قال: من خيط رقبتك وتركت ستين ألف شيخاً يبكون تحت قميص عثمان) (الطبري، د.ت:837)

لم يبق أمام على بن آبي طالب سوى الخروج لحرب معاوية بن أبي سفيان ودعا أهل المدينة للخروج معه لقتال أهل الشام وهدفه في ذلك وحدة الصف وعدم تفريق الجماعة، وكذلك عزم معاوية لقتال على وفي ذهنه القصاص من قتلة عثمان بن عفان. إذن لكل طرف رأيه ومقصده (خرج أمير المؤمنين على بن أبي طالب من الكوفة عازماً الدخول إلى الشام، فعسكر بالنخيلة وقدم عليه عبد الله بن عباس فيمن معه من أهل البصرة) (ابن الأثير، 1982م:141) بات الصدام وشيكاً بين الطرفين خاصة بعد استعداد معاوية وتجهيزه لجيشه (فإن معاوية لما علم بمسير على نحوه تجهز ومعه أهل الشام وسار لملاقاة على بن أبي طالب) (ابن خلدون، 1988م:626)

لم يكن علياً حريصاً على قتال معاوية وكان يود أن يصل الطرفان إلى وفاق وفي ذهنه نتائج حرب الجمل ومأساتها، كما يبدو أن معاوية ومعه أهل الشام لم يكونوا حريصون على قتال أهل العراق، فلا توجد مصلحة للطرفين في إزهاق أرواح المسلمين، لكن لا يزال في الجيشين مجموعة تحاول جرهما للحرب ظهر هذا الموقف في التفاوض قبل المعركة، حيث أوفد علياً مجموعة لمحاورة معاوية وصل الوفد إلى معاوية وبدأ حوار بين الطرفين وبدأ كل طرف يحاول أن الحق إلى جانبه (دخل الوفد إلى معاوية فابتدأ بشير بن عمرو الأنصاري فذكر معاوية بالدنيا وزاولها وقال: أنشدك الله يا معاوية أن تفرق جماعة هذه الأمة وأن تسفك دماءها بينها، فقطع معاوية الكلام وقال: هلا أوصيت بذلك صاحبك؟ واحتج بدم عثمان) (ابن خلدون، 1988م، ص627) بادر شيث بن ربعي أحد الموفدين معاوية بكلام غليظ وقال له: أبطأت عن عثمان

بالنصر وأحببت له القتل لتصل هذه المنزلة، فرد عليه معاوية قائلاً: كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف، انصرفوا من عندي فليس بيني وبينكم إلا السيف) (ابن الأثير، 1982م:146)

دارت الحرب بين الطرفين واشتد القتال وكثر القتل بين الطرفين، (سبعون ألف قتيل، خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق) (ابن خياط، 1995م:193) هال الناس استعار الحرب وكثرة القتلى ومن هنا جاءت فكرة رفع المصاحف وطلب الاحتكام لكتاب الله إبقاءً على البقية الباقية من المسلمين، ورغم ما قيل عن أسباب رفع المصاحف وأنها فكرة عمرو بن العاص ليبعد شبح الهزيمة عن جيش معاوية، إلا أنها وبكل المقاييس أفضل من استمرار القتال وتوقف القتال على أثر ذلك وكتب الطرفان كتاباً بينهما أشارا فيه إلى اتفاقهما ونزولهما عند حكم الله والعمل بما فيه. انتهى التحكيم فكان أهم نتائجه أن الدولة الإسلامية انشطرت إلى جزئيين العراق والحجاز عليه على بن أبي طالب وجزء في الشام عليه معاوية بن أبي سفيان، لأن قرار التحكيم جاء بعزل على وتثبيت معاوية الأمر الذي رفضه على بن أبي طالب لما صاحبه من خداع لممثل على بن أبي طالب حيث قال أبو موسى الأشعري (أيها الناس، إنا نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لها من رأي اتفقت أنا وعمرو بن العاص عليه وهو أن نخلع علياً ومعاوية ونترك الأمر شورى وتستقبل هذه الأمة الأمر فيولوا عليهم من أحبوه وإني قد خلعت علياً ومعاوية) (الطبري، د.ت:903) أما عمرو بن العاص فإنه قال حديثاً مخالفاً لما قاله أبو موسى الأشعري (إن هذا قال ما سمعتم وإنه قد خلع صاحبه وإني قد خلعته كما خلع، وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عثمان والطالب بدمه) (ابن كثير، 2005م:1979)

اضطرت هذه الظروف على بن أبي طالب أن يراسل معاوية وأن يحاول توفيق الأوضاع بينهما، وأن يسلم له بنصف الدولة يحكمها حكماً مستقلاً بعد أن كان قد رفض بقاءه والياً على الشام، يدل على ذلك المراسلات التي تمت بين طرفين عقب معركة صفين (جرت مهادنة بين على ومعاوية سنة 40هـ/660م بعد مكاتبات طويلة

على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام لا يدخل أحدهما بلد الأخر بغارة) (ابن الأثير، 1982م:193) وظل هذا الأمر سائداً حتى مقتل الخليفة على بن أبي طالب وتنازل ابنه الحسن لمعاوية بن أبي سفيان.

ظهر بعد حادثة التحكيم داخل معسكر على بن أبي طالب مجموعة معارضة لقبوله التحكيم بحجة أن لا حكم إلا لله، وعرفت هذه المجموعة باسم الخوارج. أعلنت هذه المجموعة العصيان على على بن أبي طالب ولم يدخلوا معه الكوفة وتحولوا في وقت قصير من (جماعة ناقمة على قبول التحكيم إلى هيئة سياسية لها نظام فجعلوا عليهم أميراً للحرب واتخذوا أميراً للصلاة) (سرور، 1960م، ص81) وبذا يكون صف على بن أبي طالب الذي حارب معه في صفين قد ضعف فأصبحت هذه المجموعة خطراً على خلافته (فلما دخل على الكوفة لم يدخل الخوارج معه فأتوا حروراء فنزلوا بها وهم أثنا عشر ألفاً، وجعلوا شبث بن ربعي أميراً للقتال وللصلاة عبد الله بن الكواء) (ابن الأثير، 1982م:165) شكل موقف الخوارج حرجاً لعلي بن أبي طالب الذي اعتبره الخوارج كافراً مثله مثل معاوية، واعتبروا كل من يسانده أو يقف في صفه مثل من يقف مع معاوية ويسانده.

حرص على بن أبي طالب على لم شمل هذه المجموعة، أما هم فكانوا دائماً يحاولون إظهار أنهم على حق، كانوا يدخلون الكوفة ويقاطعون علياً وهو يخطب على المنبر فكان يرد عليهم رداً حسناً (بينما على بن أبي طالب يخطب يوماً إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا على بن أبي طالب أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله، فقال على بن أبي طالب: كلمة حق أريد بها باطل) (ابن الجوزي، 1995م:1295)

فشلت كل محاولات على بن أبي طالب مع الخوارج، فهم يصرون على موقفهم، بل استعدوا لقتاله، فنشبت بين الفريقين معركة حامية سرعان ما انتهت بهزيمة الخوارج وذلك في العام الثامن والثلاثين الهجري، 658م في معركة النهراون) (ابن خلدون، 1988م:641) لكن هذه المعركة لم تضع حداً للخوارج، بل أذكت في من بقي منهم روح القتال وكانت ذكرى هذه المعركة دافعا لهم لمزيد من العنف.

كان قرار اغتيال على بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص أهم وأخطر قرار اتخذه الخوارج، فقد اتفقوا على ذلك، (اجتمع عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي وذكروا أهل النهروان وترحموا عليهم وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلال) (الطبري، 1982م:935) أسفر هذا اللقاء عن تحديد الأشخاص المراد قتلهم، وتوزيع هذه المجموعة عليهم وتحديد ساعة التنفيذ وهو أن يقتل عبد الرحمن بن ملجم على بن أبي طالب (قال ابن ملجم: أنا أكفيكم علياً وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا وتواثقوا واتعدوا لسبعة عشر تخلو من رمضان) (ابن الأثير، 1982م:195)

بدأ عبد الرحمن بن ملجم في وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ مهمته (فقد أخذ سيفه ووضعه في السم) (ابن كثير، 2005م، ص2003) ثم اختار اثنين من الخوارج ليشاركوه في التنفيذ بعد أن حددوا موقع خروج على بن أبي طالب لصلاة الصبح (فلما كانت ليلة الجمعة وهي التي تواعدوا فيها أخذ بن ملجم سيفه ومعه أصحابه وجلسوا أمام السدة التي يخرج منها على للصلاة، فلما خرج ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا على ولا لأصحابك) (الطبري، د.ت:986) وتوفي على ابن أبي طالب أثر هذه الضربة وبوفاته انتهى عهد الخلفاء الراشدين ليبدأ عصر جديد بدولة جديدة لها منهجها الخاص في الحكم والإدارة ويتضح مما تقدم أن ظاهرة الاغتيالات قد بدأت في الدولة الإسلامية لظروف ودوافع مختلفة، ولكنها تقع في دائرة الكيد للإسلام والمسلمين، أما بتهديد خارجي أو بدخول أيادي ومسلمين جدد لم يتشرب الإسلام إلى نفوسهم فعملوا على تأجيج الفتنة بين المسلمين أنفسهم مما أودى بحياة الخلفاء الراشدين الثلاثة وترتب على ذلك الخلاف الحاد بين المسلمين وظهور طوائف وفرق دينية وسياسية.

يمكن القول ان هنالك أوجه تشابه في ظاهره الاغتيالات السياسية للخلفاء الثلاثة نجملها في الآتي:

1. لم يكن الخلفاء يحتجبون عن رعيتهم وكان من السهل الوصول إليهم فلم يتخذ أياً منهم حرساً أو حاجباً.
2. نلاحظ أن من أقدم على الاغتيال كلهم من خارج إقليم الحجاز.
3. لم يكن من بينهم صحابي وإنما كانوا أما غير مسلمين أو حديثي عهد بالإسلام.
4. ضعف الأجهزة الاستخبارية للدولة مما أدى إلى تمكين القتلة من تنفيذ مآربهم.
5. لم يتخذ أي من الخلفاء إجراءات تحفظية واعتقال لهؤلاء القتلة رغم علمهم بنواياهم
6. امتاز الخلفاء الثلاثة بسعة الصدر تجاه أعدائهم ومخالفيهم بل اجتهدوا في إرضائهم ولم ينتصروا لذواتهم.
7. تجاوز الخلفاء الثلاثة الستين عاماً عند اغتيالهم مما جعلهم زاهدون في الحياة لذا لم يكونوا يحرصون على امنهم الشخصي.

اما أوجه الاختلاف في هذه الظاهرة يتضح من الآتي:

1- دوافع الاغتيال الثلاثة كانت مختلفة، فعمر بن الخطاب قتله شخص حاقد عليه ينتمي إلى الفرس الذين فقدوا دولتهم على يده، وعثمان بن عفان قتلته جماعة متمردة خارجة على سلطان الدولة، وعلي بن أبي طالب قتله شخص ينتمي لحزب سياسي ذو أفكار متطرفة.

2- الخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب تم الاعتداء عليهم في وقت صلاة الصبح وتم التعرف على من قتلهما، أما الخليفة عثمان بن عفان فقد حوصر في داره ردحاً من الزمان وتم اغتياله على يد مجموعة من الثائرين عليه.

3- اغتيال عمر بن الخطاب تم تدارك آثاره السالبة سريعاً باختيار الخليفة الثالث، فلما اغتيل عثمان بن عفان انشقت الدولة الإسلامية إلى جزأين، وباغتيال على بن ابي طالب انتهت دولة الخلفاء الراشدين.

4- كان اغتيال عمر بن الخطاب في وقت كان فيه الحجاز يمثل الثقل السياسي للدولة الإسلامية، بينما اغتيال عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب تم في وقت أصبحت فيه الأمصار (مصر والعراق والشام) تمثل مركز الثقل السياسي للدولة الإسلامية.

5- لم تشهد خلافة عمر بن الخطاب أي توتر سياسي بينما شهد النصف الثاني من خلافة عثمان بن عفان اضطرابات وتوتراً سياسياً، أما خلافة على بن ابي طالب فلم تشهد هدوءاً سياسياً منذ بيعة الخليفة وحتي مقتله.

6- لم يرق أي دم مسلم طيلة خلافة عمر بن الخطاب الذي مثل مقتله صدمة كبري لعامة المسلمين، كما تأثر المسلمون بمقتل عثمان الذي تم التمهيد له بالحصار، أما مقتل على بن ابي طالب فقد تم بعد أن شهد المسلمون قتال بعضهم لبعض في معارك الجمل والنهر وان وصفين.

ترتب على ظاهرة هذه الاغتيالات السياسية عدد من النتائج أهمها:

1/ نهاية عهد الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الأموية التي حكمت الدولة الإسلامية بمنظور مختلف عن منظور الخلفاء الراشدين.

2/ حدثت خلافات عقدية ومذهبية مهدت لظهور الفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج والمعتزلة.

3/ أهتم الخلفاء والولاة بأمنهم الشخصي وأدى ذلك إلى تعنتهم تجاه مخالفيهم الرأي ووصل الأمر إلى حد السجن والتعذيب والقتل.

4/ توقفت حركة الفتوحات الإسلامية بالقضاء على الثورات الداخلية خاصة في النصف الثاني من خلافة عثمان وعلي.

5/ وجد أعداء الإسلام فرصة لنشر أرائهم ومعتقداتهم الفاسدة مثل عبد الله بن سبأ.

6/ استمرت ظاهرة الاغتيالات للخلفاء والملوك والقادة طيلة العصور الإسلامية المختلفة والي عهدنا الحاضر.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ابن الأثير، أبو الحسن الشيباني، الكامل في التاريخ، ج2- 3، دار الفكر العربي، بيروت 1982م.
2. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق سهيل زكار، ج3، دار الفكر، بيروت، 1995م.
3. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن على، الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق على محمد البيجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت
4. ابن خلدون، عبد الرحمن، ديوان المبتدأ والخبر، راجعه سهيل زكار، ج2، دار الفكر، بيروت، 1988م.
5. ابن خياط، خليفة أبو عمر خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.
6. ابن سعد، محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
7. 7 ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله، الإمامة والسياسة، ج1، مؤسسة الباب الحلبي، القاهرة، 1981م.
8. ابن كثير، الإمام أبو إسماعيل، البداية والنهاية، ج7، دار صادر، بيروت، 2005م.
9. الدنيوري، أحمد بن داؤود، الأخبار الطوال، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت
10. الذهبي، الحافظ شمس الدين، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1989م.

11.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، المطابع الأميرية، القاهرة، 1351هـ
12.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مجلد 2- 3، مكتبة الهلال، بيروت، د.ت
13.اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت، 1385هـ

المراجع:

1. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العهد الأموي، دار الوفاء للطبع، القاهرة، 1984م.
2. محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت
3. محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، 1995م.
4. محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1960م.

الإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم عثمان نور من 1970-2014 م
" دراسة ببليومترية "

د. سامر إبراهيم باخت يس
أستاذ مساعد - قسم المكتبات و المعلومات
جامعة الإمام المهدي

مقدمة:

يعد تحليل الإنتاج العلمي للعلماء و الباحثين من المجالات البحثية المهمة التى تلقي الضوء على جوانب غير واضحة في اتجاهاتهم البحثية والتي قد لا تظهر بصورة واضحة إلا من خلال الرؤية المتفحصة لإنتاجهم الفكري خلال رحلتهم العلمية، وكذلك تعكس مثل هذه الدراسات مدى إسهام العالم أو المؤلف في المجال الموضوعي المعين أو الموضوعات المتعددة التي تشغل المهتمين والمجتمع في فترة زمنية معينة، ومن هنا جاءت أهمية تحليل الإنتاج الفكري لهؤلاء العلماء.

التعريف بالدراسة وموضوعها:

يعنى هذا البحث بدراسة الإنتاج الفكري للأستاذ الدكتور قاسم عثمان نور أحد أبرز أعلام المكتبات والتوثيق في السودان في محاولة بحثية للتعرف على إنتاجه الفكري خلال رحلته العلمية الطويلة منذ السبعينيات من القرن الفائت(القرن العشرين) حتي أواخر العام 2014، وعليه فإن هذه الدراسة تركز على تحليل هذا الإنتاج تحليلاً كمياً ونوعياً وموضوعياً وزمنياً وجغرافياً متعرضاً له بالنقد و التحليل.

والبروفيسور قاسم عثمان نور سوداني الجنسية وهو من البارزين في مجال التوثيق والمكتبات، وهو من مواليد مدينة الكوة بالنيل الأبيض في العام 1938م حصل على درجة البكالاريوس في علوم الوثائق والمكتبات من جامعة أم درمان الإسلامية في العام 1986م و درجة الماجستير في الآداب، قسم التاريخ من جامعة الخرطوم في العام 1989 وذلك في رسالته بعنوان / الكتاب والمكتبة في الحضارة

الإسلامية والتي رفعت إلى الدكتوراه و التي حصل عليها في العام 1994م، كما حصل على درجة الأستاذية من جامعة جوبا في العام 1998م.

تهدف الدراسة نحو تحقيق هدفين رئيسيين هما:

- التعرف على واقع الإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم نور ومدى إسهامه البحثي في مجال المكتبات والتوثيق.
- التعرف على الاتجاهات الكميه و الموضوعية و النوعية للإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم نور.
- دراسة تأثيرات متغيرات: العمر – المؤهل العلمي – الدرجة الوظيفية على الإنتاج الفكري للبروفسور قاسم عثمان نور.

تغطي الدراسة كل الإنتاج الفكري المنشور عن قاسم عثمان نور بكافة موضوعاته و أشكاله في الفترة من العام 1970 إلى العام2014م.

تعتمد هذه الدراسة على منهج الدراسات الببليومترية (الببليومتريقا) أو القياسات الوراقية (الببليوجرافية): ويعرف شعبان خليفة هذا المنهج بقوله: (الببليومتريقا هي ببساطة دراسة الاتجاهات العددية والنوعية للإنتاج الفكري، وإعداد الببليوجرافيات هو الأساس الذي تقوم عليه الدراسات الببليومترية)(خليفة شعبان، 1997: 338).كما استخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته الإحصائية التحليلية (الببليومترية).

مرت هذه الدراسة وفق الخطوات التالية:

1. أعداد ببليوجرافيا حصرية بالكتب التي قام المؤلف بنشرها وقد تم الحصر الببليوجرافي وفقاً للأسلوب المباشر(أى الحصول على البيانات الببليوجرافية من الكتب نفسها مباشرةً).
2. التحليل الموضوعي: قام الباحث بعد الانتهاء من إعداد الببليوجرافيا بوضع رؤوس موضوعات للإنتاج الفكري محل الدراسة مستعيناً قدر الإمكان بقائمة رؤوس الموضوعات العربية الموحدة الصادرة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1995م مع وضع رأس الموضوع الغير مقنن بين هلاليتين ( ).

3. التحليل الإحصائي لهذا الإنتاج الفكري في ضوء عدد من المتغيرات البحثية (الفترة الزمنية – نوع الأوعية – المؤهل العلمي – العمر – الدرجة العلمية - اللغة) وقد بلغ عدد الجداول الإحصائية التحليلية عدد أحد عشر جدولاً.

مفهوم علم الببليومتريقا (الدراسات الببليومترية = Bibliometrics):

لقد ظهر مصطلح الببليومتركس عام1922 عندما استخدمه "هولم" HULME بمعنى عد سمات وخصائص الوثائق، ثم قدمه بريتشارد Pritchard سنة 1969 وعرفه بأنه: تلك الأساليب الرياضية والإحصائية التي تطبق على الكتب ووسائل الاتصال الأخرى.وطبقت الأساليب الببليومترية لأول مرة في مجال العلوم التطبيقية التي لازالت تستأثر بأكبر نسبة من الدراسات الببليومترية،ثم طبقت لاحقاً في كل من العلوم الإنسانية والاجتماعية.(ترماز احمد، 1405هـ: 133- 134)

وقد جاء في معجم المصطلحات المكتبية تعريفها تحت ثلاثة مسميات هي الدراسات الببليومترية/ القياسات الببليوجرافية/ الببليومتريقا/،وعرفها بأنها: (مجموعة الأساليب الإحصائية والقياسات الكمية المستخدمة في دراسة الخصائص البنيانية للإنتاج الفكري سُميت أولا بالببليوجرافيا الإحصائية statistical bibliography(Elshami,2009)).

بينما ورد تعريف المصطلح في معجم علوم المكتبات تحت الببليومتريقا /القياسات الببليوجرافية: بأنها استخدام الأساليب الرياضية والإحصائية في الدراسات القياسية لاستخدام مصادر المعلومات والخدمات في المكتبات، أو رصد وتحليل أدبيات معينة من الإنتاج الفكري،وتطورها التاريخي وخصوصاً من حيث مؤلفوها ونشرها واستخدامها (عبد المعطي ياسر، 2003: 36).

الببليومتريقا تستخدم الطرق الإحصائية والأساليب الرياضية في تحليل البيانات المتعلقة بالوثائق (المقالات والأبحاث والكتب والمواد المنشورة، الخ.) لمعرفة خصائص عمليات تداول المعلومات.

كما يعرف "وايت و ماكين" White and McCain البيبليومتريقا بأنها الدراسة الكمية للأدب المنشور، كما تبرزه البيبليوجرافيات) (White,H,1989:119).

اما مصطلح "السيانتومتريقا" scientometrics فيشير "وليم" William بأن هذا المصطلح استخدم لأول مرة في العام 1969م بواسطة "فازلي و ملجنك" و vassily & mulchenko واستخدماه للدلالة على دراسة كل جوانب الإنتاج الفكري في مجال العلوم والتكنولوجيا وبدأ المصطلح في الانتشار في العام 1987م ((Willim,2001:291)

ومما سبق يرى الباحث ان الدراسة البيبليومترية تعتمد على دراسة الاتجاهات العددية و النوعية الإنتاج الفكري سواء في شكل معين، أو موضوع محدّد، أو مزيج بينهما، أو في مكان محدد، أو لفئة محدّدة من المؤلفين، وتستخدم الدراسات البيبليومترية الأساليب والمقاييس الإحصائية والرياضية في منهج دراستها وان البيبليوجرافيا هي الأساس الذي يقوم عليه البحث البيبليومتري و يلاحظ ان هناك ثلاثة مصطلحات تطلق تبادلياً للدلالة على الدراسات التي تهتم بالدراسة الكمية والنوعية لمصادر المعلومات بالاعتماد على الجداول الإحصائية والتحليلية وهى: الدراسات البيبليومترية، القياسات البيبليوجرافية،و البيبليومتريقا، هذا بالإضافة إلى مصطلح "السيانتومتريقا" scientometrics والذي يراد به – تخصيصاً - دراسة الاتجاهات الكمية والنوعية للإنتاج الفكري في مجال العلوم والتكنولوجيا.

لم يبدأ ظهور الدراسات البيبليومترية في العالم العربي إلا قرب منتصف السبعينات من القرن العشرين، أى بعد مرور أكثر من نصف قرن على ظهورها في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، و بعض دول أوروبا الغربية، وقد بدأت الدراسات البيبليومترية في أمريكا سنة 1923م على يد "هولم" Hulme الذي أسماها الإحصائيات البيبليوجرافية، أما أول دراسة ببليومترية بمعناها المتعارف عليه اليوم فقد قام بها "جروس وجروس" Gross and Gross سنة 1927م حيث درسا خصائص

الإنتاج الفكري للتربية الكيميائية ثم انتشرت الدراسات الببليومترية في الدول الغربية حتى بلغت في سنة 1980م أكثر من ألفى دراسة تمكن من توثيقها "هيربى" Hierppeفي قائمة ببليوجرافية(الزيد عبد الكريم، 14:1994).

القائمة الببليوجرافية لكتب البروفيسور قاسم عثمان نور*

-1 -

أساليب البحث:

كيف تكتب بحثاً أو رسالة جامعية / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

71ص ؛24سم.

تدمك: X-01-58-99942

(أعمال مجمعة)

-2 -

ديوان الفجر و النهضة: قصائد من الشعر السوداني/ جمع وتحقيق قاسم عثمان نور، محمد مهدي محمد شمه.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2007م

605ص ؛24سم.

ردمك: 4- 02- 58- 9994- 978

-3 -

عرفات محمد عبد الله قل هذه سبيلي: مجموعة مقالات / جمع وتقديم قاسم عثمان نور.- القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2000م

254ص؛24سم.

---

* هذه الببليوجرافيا تشمل كتب سلسلة (أوراق سودانية) التي أعدها البروفيسور قاسم نور نسبة لطبيعتها التجميعية إذ تحوي مقالات و أوراق مؤتمرات وغيرها و قد رأي الباحث حاجتها لحصر و تحليل منفصل نظرا لطبيعة محتواها، انظر ص 40.

الببليوجرافيا

-4 -

ببليوجرافيا الإسلام في السودان / قاسم عثمان نور.- الخرطوم وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

ج1:177ص ؛24سم.

-5 -

ببليوغرافيا الببليوجرافيات السودانية (1887 - 1997)= SUDAN bibliography of bibliographies (1887-1997)/ قاسم عثمان نور.- ط3.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م

47ص؛29سم.- (سلسلة الأعمال الببليوغرافية ؛ 7)

-6 -

الببليوجرافيا السودانية في قرن (1885- 1985) / قاسم عثمان نور.- ط2.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004.

46ص ؛ 2004. - (سلسلة الأعمال الببليوغرافية ؛ ؟).

-7 -

ببليوجرافيا العلاقات العربية الإفريقية (1955- 1985): ببليوجرافيا مختارة / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: جامعة الخرطوم – معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، 1987م.

113ص؛ 29سم.

-8 -

ببليوجرافيا اللغة العربية في السودان / قاسم عثمان نور.- الخرطوم وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م

ج1 : 111ص؛24سم.

-9 -

دليل الدوريات السودانية: الصحف (1903- 1998)- المجلات (1931- 1998) / قاسم عثمان نور. – الخرطوم: المجلس القومي للصحافة والمطبوعات ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 1999م

75ص؛24سم.

-10 -

دليل القصة السودانية:1930- 1973م / قاسم عثمان نور.- ط2.- الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2005م.

103ص ؛ 29 سم.

-11 -

دليل المجلات السودانية 1900- 1980 / قاسم عثمان نور.- الخرطوم:[دن]، 1983.

27ص؛29سم

-12 -

الشاعر التجانى يوسف بشير والروائي الطيب صالح: دراسة ببليومترية /قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004.

30 ص ؛24 سم.

-13 -

الشاعر محمد المهدي المجذوب: دراسة ببليومترية وثائقية / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة، مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م

ج1: 48ص؛24سم

-14 -

المؤتمرات العلمية في السودان: ثبت ببليوجرافي / قاسم عثمان نور.- الخرطوم:[دن]، 1984م

103ص، 29سم.

-15 -

Proceedings of the conference of the Sudan up to 1983:a .subject bibliography /qassim nur.- Khartoum: author,1984

.p,29cm75

-16 -

The mahdiya and omdurman:bibliography / qasim osman .nur.-khartoum ,1985

.p,25cm57

-17 -

Women of the Sudan: bibliography (1900-1980)/qasim nur.- .Khartoum:qasim data center ,2005

.P1:80p,29cm

-18 -

التعريب والترجمة

التعريب في الوطن العربي مع إشارة خاصة للسودان / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، 1988.

175ص؛24سم.

- 19 -

رحـلات وأسـفار

ذكريات صياد: نصف قرن من الزمان بين الغابات والأحراش والجبال بجنوب السودان و جبال النوبة / عثمان أحمد محمد نور ؛ تعليق قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

431ص؛24سم.

السودان – تاريخ

-20 -

أضواء على الحركة الوطنية السودانية: جماعات القراءة والجمعيات الأدبية ومؤتمر الخريجين 1925- 1938م/ قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

100ص؛24سم.

-21 -

السودان في كتب الرحالة و المؤرخين / قاسم عثمان نور.- الخرطوم : مركز قاسم لخدمات المكتبات و المعلومات، 2013.

392ص.- 24سم

ردمك: 978- 99942- 55- 53- 5

-22 -

الكوة: التاريخ والرجال / عثمان أحمد محمد نور ؛ تحرير قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004.

ج1: 289ص ؛ 24سم.

ردمك: 1- 00- 58- 99924

شخصيات – سير و معاجم

-23 -

الإمام عبد الرحمن المهدي: رجل القرن العشرين في السودان / قاسم عثمان نور.- ط2، مزيدة ومنقحة.- الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2005.

152ص:ايض؛24سم.

ردمك: 7- 08- 58- 99942

-24 -

البروفيسور عبد الرحمن النصري حمزة(1926- 2010) لمحات من حياته و إنجازاته/ قاسم عثمان نور.- الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2011.

26 ص؛24سم.

-25 -

دراسات في المكتبات والمعلومات بالسودان: الكتاب التذكاري عن البروفيسور عبد الرحمن النصرى 47 عاماً من العطاء في مجال المكتبات /قاسم عثمان نور...وآخرون).- الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2007. ع1 :يونيو.
314ص ؛ 24سم.

-26 -

سر الختم الخليفة: السيرة و المسيرة /جمع و تقديم قاسم عثمان نور.- الخرطوم
الخرطوم: مركز قاسم، 2011.
24سم. 329ص
ردمك: 978- 99942- 58- 10- 4

-27 -

محمود حاج مهدي: جسر المحبة و السلام/قاسم عثمان نور، العوض عباس مهدي.
الخرطوم مركز قاسم، 2011.
24سم؛85ص
ردمك: 978- 99942- 58- 22- 2

-28 -

معجم المؤلفين السودانيين من عصر الفونج إلى العصر الحديث (1510- 2010)نبذة عن شخصياتهم و رصد لمؤلفاتهم/ قاسم عثمان نور.- الخرطوم: المجلس القومي لرعاية الثقافة و الفنون، 2011.
3ج:1620ص
ردمك: 978- 99942- 51- 57- 5

اللغة العربية - مستخلصات

-29 -

المشكلات والصعوبات التى تواجه تعليم اللغة العربية بمناطق التداخل اللغوي بالسودان: ملخص بحوث / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛مركز قاسم للمعلومات وخدمات المكتبات، 2004.

43ص؛ 24سم.

المجلات - كشافات

-30 -

كشاف المجلات السودانية المحكمة 1985- 2012 / جمع و اعداع قاسم.- الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات: 2014.

658ص؛24سم

ردمك: 974- 99942- 58- 26- 0

-31 -

مصادر الدراسات السودانية بالمجلات والدوريات السودانية (1931 – 1967)/ جمع واعداد و تصنيف قاسم عثمان نور.- الخرطوم: جامعة الخرطوم – قسم التأليف والنشر، 1970.

مج:1 : 564ص؛24سم.

-32 -

مصادر الدراسات السودانية بالمجلات و الدوريات السودانية(1968- 1974) / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة والإعلام، 1977م.

ج2:319: ص ؛ 24 سم.

-33 -

مصادر الدراسات السودانية بالمجلات و الدوريات السودانية / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

ج:3234 ص ؛ 24 سم.

-34 -

مصادر الدراسات السودانية بالمجلات و الدوريات السودانية / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

ج4:234: ص ؛ 24 سم.

المكتبات- تاريخ

-35 -

الكتاب والمكتبة في الحضارة الإسلامية: منظور تاريخي / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2005.

443ص: ايض ؛24سم.

(في الأصل رسالة دكتوراه).

المكتبات السودانية - دليل

-36 -

موسوعة المكتبات السودانية: المكتبات المدرسية – المكتبات العامة- المكتبات الجامعية – المكتبات الوطنية: دراسة تاريخية احصائية تقييميه/ قاسم عثمان نور.- الخرطوم: المجلس القومي لرعاية الثقافة و الفنون، 2011.

483ص؛30سم.

المكتبات المدرسية

-37 -

المكتبة المدرسية: الأهداف و الوظائف – التنظيم و الإدارة / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: وزارة الثقافة ؛ مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2004م.

205ص ؛ 24سم.

ردمك: 9- 07- 58- 99942

الوثائق و الأرشيف

-38 -

الأرشيف والوثائق الإدارية الحكومية: الإدارة والتنظيم والحفظ والاستبعاد / قاسم عثمان نور.- الخرطوم: مركز قاسم لخدمات المكتبات، 2005م.
71ص؛29سم.

-39 -

مقدمة في علم نقد الوثائق من المنظور العربي الاسلامي /قاسم نور، الطيب ابشر، النسر عبد الفضيل.- الخرطوم : مركز قاسم، 2011.
24سم ؛ 211ص
تدمك: 978- 99942- 58- 23- 9

الدراسة التحليلية:

لأغراض هذه الدراسة تم تحليل الإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم عثمان نور من الكتب عن طريق عدد من الجداول الإحصائية يختص كل منها بتحليل خاصية معينة من خواص الإنتاج الفكري على ضوء عدد من المتغيرات البحثية التي تتناولها الدراسة وهي: سنوات النشر – أشكال الأوعية – العمر – لغة النشر – الدرجة العلمية – المؤهل الأكاديمي، وفى هذا الجانب سيتم - أولاً - التعرض للكتب الواردة في الببليوجرافيا السابقة وهى عدد تسعة وثلاثين كتاباً. مع إفراد تحليل منفصل لمجموعة سلسلة (أوراق سودانية) التي ضمت عشرة كتب.

أولاً: الاتجاهات الموضوعية لكتب البروفيسور قاسم عثمان نور:

تتسم الاتجاهات الموضوعية لكتب البروفيسور قاسم عثمان نور بتنوع تغطيتها الموضوعية فهو إنتاج تناول بالدراسة والبحث العديد من قضايا المكتبات والتوثيق ويتضح من خلال الجدول رقم (1) إن هذه الكتب غطت عدد ثلاثة عشر موضوعاً مع تفاوت عدد الأعمال التي تغطى كل منها، فمنها ما غطي بكتاب واحد وأخري تم تغطيتها بأكثر من كتاب وهو ما يظهر من خلال الجدول رقم (1).

جدول رقم (1) يوضح الاتجاهات الموضوعية لكتب بروفيسور قاسم نور*:

متسلسل	الموضوعات	عدد الكتب	النسبة
.1	أعمال مجمعة	2	٪5.1
.2	ببليوجرافيا	14	٪ 35.9
.3	السودان – تاريخ	3	٪ 7.6
.4	التعريب والترجمة	1	٪2.6
.5	رحلات و أسفار	1	٪2.6
.6	شخصيات:سير و معاجم	6	٪15.3
.7	اللغة العربية – مستخلصات	1	٪2.6
.8	المجلات – كشافات	5	٪ 12.8
.9	مكتبات- تاريخ	1	٪2.6
.10	المكتبات السودانية- دليل	1	٪2.6
.11	المكتبات المدرسية	1	٪2.6
.12	أساليب البحث	1	٪2.6
.13	وثائق وأرشيف	2	٪5.1
المجموع	13	39	٪100

يتبين من الجدول أعلاه أن موضوع الببليوجرافيا تصدَّر المرتبة الأولى من حيث عدد الكتب بنسبة(35.9٪) بواقع أربعة عشر كتاباً، يليه في المرتبة الثانية موضوع الشخصيات بنسبة15.3٪ بواقع أربعة كتب، أما في المرتبة الثالثة فياتي موضوع

* هذه الجدول لا يشمل كتب سلسلة أوراق سودانية.

تكشيف الصحف بنسبة 12.8 ٪ وتشترك موضوعات: أعمال مجمعة و الوثائق في المرتبة الرابعة بواقع كتابين و نسبة (5.1 ٪) لكل، ، ويري الباحث أن موضوع التوثيق للشخصيات السودانية من الموضوعات التي استحوذت على اهتمام البروفيسور قاسم نور ويمكن ملاحظة ذلك بشكل جلي من خلال أعماله التي جمعها في سلسلة أوراق سودانية (انظر الجدول رقم (8).

هذا وقد تناول بعض الموضوعات في علوم المكتبات مثل: تاريخ المكتبات (كتاب واحد (2.6٪) وهذا الكتاب في الأصل عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان: الكتاب والمكتبة في الحضارة الإسلامية: منظور تاريخي تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ في العام 1994م.كما تناول بعض الموضوعات المتفرقة مثل: التعريب والترجمة (كتاب واحد و ورحلات وأسفار(كتاب واحد) واللغة العربية – مستخلصات(كتاب واحد) والمكتبات المدرسية(كتاب واحد) و أساليب البحث (كتاب واحد) و المكتبات السودانية(كتاب واحد).

مما سبق نرى أن أغلب الاتجاهات الموضوعية لكتب البروفيسور قاسم نور تتركز حول موضوع الببليوجرافيا بنسبة (35.9٪) وكذلك يتبين أن اهتمامات البروفيسور في مجال الحصر الببليوجرافي بدأت مبكراً منذ العام 1975م حيث صدر عنه أول عمل ببليوغرافي في مجال القصة وكان تحت عنوان: دليل القصة السودانية (**1930-1973**).

واتجاه المؤلف المبكر نحو الحصر الببليوغرافي أحدث نوعاً من التنوع في موضوعاتها وأنواعها ويمكن القول بأن البروفيسور قاسم نور غطت أعماله الببليوغرافية معظم أنواع الببليوجرافيات المعروفة في أدب المجال (المكتبات والمعلومات) ويمكن حصر أنواع الببليوجرافيا التي تناولها في النقاط التالية* :

---

* انظر الأعمال الببليوجرافية التي أعدها البروفيسور قاسم نور في شكل كتب في التسجيلات من رقم 4 إلى 17.

1. الببليوغرافية الموضوعية (عبارة عن حصر ببليوغرافى لمصادر المعلومات حول موضوع معين).
2. ببليوجرافيا الببليوجرافيات (تحصر الأعمال الببليوغرافية المختلفة).
3. ببليوجرافيا المؤلفين.(تحصر الإنتاج الفكري عن مؤلفين محددين).
4. وكذلك شمل إنتاجه بعض الأعمال الببليومترية والتي قمت بتصنيفها ضمن أعماله الببليوغرافية).

هذا وقد تميزت جميع أعماله الببليوغرافية بأتباع المنهج العلمي في مجال الإعداد الببليوغرافي من حيث اختيار الموضوعات و التنظيم والتحليل والإخراج وكان في مقدمة كل عمل ببليوغرافى له يشرح بشكل مفصل ودقيق أسلوب تنظيمها و كيفية استخدامها والاستفادة منها علماً بأن لديه عدد 4 أعمال ببليوغرافية باللغة الانجليزية (نظر الجدول رقم 4).

وبالنظر إلى الموضوعات التي عالجتها أعماله الببليوجرافية نجدها موضوعات مهمة وحيوية بدليل مشاركته بالعدد منها في بعض المؤتمرات والمحافل ذات الصلة بموضوعاتها مثل:

- مشاركته: بدليل القصة السودانية في مهرجان الآداب والفنون الذي عقد في العام 1975م.
- و شارك بالببليوجرافيا السودانية في قرن **(1885- 1985)** في مؤتمر الدراسات السودانية الذي نظمه معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية – جامعة الخرطوم في العام 1987م.
- وكذلك مشاركته ببليوجرافيا اللغة العربية في السودان في المؤتمر الأول عن اللغة العربية في السودان والذي نظمته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة في معهد الخرطوم الدولي للغة العربية وكلية الآداب – جامعة امدرمان الإسلامية في عام 1983م.

وما يمكن ملاحظته هو عدم معالجة المؤلف لموضوع الببليوجرافيا كعلم نظري في كتاب منفصل إلا أنه كان يبدأ بعض أعماله الببليوغرافية بالتعريف بعلم الببليوجرافيا مع نبذة قصيرة عنه.

ثانياً: التوزيع الزمني للكتب:

تعتبر دراسة الاتجاهات الزمنية لتوزيع إنتاجية المؤلفين من المحاور المهمة جداً في الدراسات الببليومترية وذلك لكونها تعرف بأي فترة زمنية كثر أو ضعف نشاط الكتابة و التأليف لدي المؤلف و التعرف على أسباب ذلك، و في هذا الجانب من الدراسة نلقي الضوء على فترات التوزيع الزمني لكتب البروفيسور قاسم عثمان نور (انظر الجدول التالي رقم 2).

جدول رقم (2)

1	1994 **
-	1995
1	1996
-	1997
-	1998
1	1999
1	2000
-	2001
-	2002
-	2003
8	2004
2	2005
-	2006
2	2007
-	2008

** العام الذي أعد فيه أطروحة الدكتوراه

2009	-
2010	1
2011	5
2012	-
2013	1
2014	1
المجموع	39

السنة	عدد الكتب
1970	1
1971	-
1972	-
1973	-
1974	-
1975	1
1976	-
1977	1
1978	-
1979	-
1980	-
1981	-
1982	2
1983	2
1984	2
1985	1
1986	-
1987	3
1988	1

-	*1989
-	1990
-	1991
-	1992
1	1993

يوضح التوزيع الزمني للإنتاج الفكري لقاسم نور

يشير الجدول رقم (2)، إلى أن البروفيسور قاسم نور أعد ونشر أول عمل له في العام 1970م وكان تحت عنوان: مصادر الدراسات السودانية بالمجلات والدوريات السودانية (1931 – **1967**) وتم نشره بواسطة قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم.

فيما تبلغ مجمل أعماله من الكتب منذ (1970 إلى 2014 م) عدد تسعة وثلاثين كتاباً، ويشير نفس الجدول إلى أن إنتاجه يزيد في بعض الفترات وينخفض في البعض الآخر والباحث يرى أن هذا التذبذب له ما يبرره من الناحية البحثية لأن نشاط التأليف والبحث لدي أي باحث أو مؤلف من الطبيعي يتأثر كماً ونوعا حسب الظروف الأكاديمية والاجتماعية و الظروف الحياتية بشكل عام المحيطة بكل فترة منها، فمثلاً يرى الباحث أن الفترة الواقعة بين(1989- 1993) يلاحظ فيها ضعف إنتاجه من الكتب(كتاب واحد) ويعزو الباحث ذلك إلى انشغال البروفيسور قاسم وقتها للتحضير لدرجة الدكتوراه والتي تتطلب نوعاً من التفرغ البحثي والتركيز .وكذلك يلاحظ قلة إنتاجه في الفترة من (1998- 2003) وهى الفترة التي كان يشغل في جزء كبير منها (1998- 2001م) منصب عميد المكتبات بجامعة جوبا إضافة إلى عمله كأستاذ مشارك ومتعاون في عدد من أقسام المكتبات بالجامعات السودانية فمن المعروف أن أعباء العمل الإداري والتدريسي غالباً ما تكون عائقاً أمام نشاط التأليف والبحث بالنسبة للأساتذة الجامعيين خاصة مع ضعف وانعدام نظام التفرغ و التمويل المادي .

---

* العام الذي اعد فيه رسالة الماجستير

ثالثاً: مسئولية التأليف:

جدول رقم(3) يوضح مسؤولية التأليف

مسؤولية التأليف	عدد الكتب	النسبة
مؤلف منفرد	33	٪84.6
مشارك مع مؤلف واحد	4	٪10.3
مشارك مع أكثر من ثلاثة	2	٪5.1
المجموع	39	٪100

يبين الجدول رقم (3) ان عدد الكتب التي أنفرد البروفيسور قاسم نور بتأليفها وتمثل نسبة (84.6٪) بينما بلغ عدد الكتب التي شارك في تأليفها مع مؤلف آخر كتابين بنسبة (10.3٪)، والكتب التي شارك فيها أكثر من ثلاثة مؤلفين بلغت عدد واحد كتاب بنسبة (5.1٪).

رابعاً: لغة النشر

جدول رقم (4) يبين الاتجاهات اللغوية لكتب المؤلف

اللغة	عدد المواد	النسبة
اللغة العربية	35	٪ 89.7
اللغة الانجليزية	4	٪10.3
المجموع	39	٪100

يشير الجدول أعلاه ان البروفيسور قاسم نور نشر كتبه باللغتين العربية والانجليزية، ويتضح أن نسبة (89.7٪) من كتبه نشرها باللغة العربية، ونسبة (10.3٪) نشرها باللغة الإنجليزية.

يرى الباحث أنه من الواضح أن عدد كتبه بالعربية يفوق بكثير ما كتبه بالانجليزية ويرجع سبب ذلك إلى أن المؤلف قصد بذلك توجيه أعماله هذه إلى أكبر

شريحة من الباحثين والعامة - بمجتمعنا العربي - والذين يقرأون أساساً باللغة العربية، علماً بأن المؤلف يجيد اللغة الإنجليزية إجادة تامة.

ومن خلال تفحص أعماله باللغة الإنجليزية نجدها جميعها عبارة عن أعمال. ببليوجرافية، وهي كما يلي:

1. Women of the Sudan: bibliography (1900-1980
2. The mahdiya and omdurman:bibliography
3. Proceedings of the conferences of the Sudan up to 1983:a subject bibliography
4. SUDAN bibliography of bibliographies (1887-1997)

خامساً :الإنتاج الفكري وارتباطه بالمؤهل الأكاديمي:

جدول رقم (5) يوضح الإنتاج الفكري- من الكتب- وارتباطه بالمؤهل الأكاديمي:

المؤهل الاكاديمى	السنوات	الإنتاجية	النسبة المئوية
ما قبل البكالاريوس	1985 -1970	10	٪25.6
البكالاريوس	1988 -1986	4	٪10.3
الماجستير	1993 -1989	1	٪2.6
الدكتوراه	2011 -1994	24	٪61.5
المجموع	**2011 -1970**	**39**	**٪100**

يشير الجدول (5) بأن البروفيسور قاسم نور أنتج غالبية أعماله من الكتب بعد حصوله على درجة الدكتوراه حيث بلغت نسبة أعماله التي أنتجها في هذه المرحلة نسبة (61.5٪) من جملة إنتاجه الفكري من الكتب. بينما تأتى في المرتبة الثانية أعماله من حيث العدد في مرحلة ما قبل البكالاريوس بنسبة أعمال (25.6٪). فيما تأتي المرتبة الثالثة تأتي أعماله في مرحلة البكالاريوس بنسبة (10.3٪).وأخيراً تأتي في المرتبة الرابعة أعماله في مرحلة الماجستير(2.6٪).

يرى الباحث أن المرتبة الثانية (25.6٪) من الأعمال التي أنتجها البروفيسور قاسم نور وهو لم يحصل بعد على درجة البكالاريوس يعكس حبه وإمكانياته الكبيرة في مجال البحث خاصة ومما ساعده في ذلك عمله كمساعد مكتبة بجامعة الخرطوم* في هذه الفترة وهو ما أتاح له فرصة الإطلاع والبحث، وما يجب ملاحظته أيضاً هو أن جميع أعماله في هذه الفترة اقتصر على الأعمال الببليوجرافية وأعمال التكشيف والكشافات للدوريات.

ويشير الجدول كذلك إلى أن أغلب إنتاجه كان بعد حصوله على درجة الدكتوراه خاصة في الفترة من (2004- 2014)** ويبرر الباحث ذلك إلى تفرغه البحثي وقلة مهامه الإدارية في هذه الفترة، وهذه النتيجة تخالف الفرضية القائلة بأن الإنتاج الفكري لدى الأستاذ يقل كلما تقدمت درجته الأكاديمية.

سادساً: الإنتاج الفكري وعلاقته بالدرجة الوظيفية

جدول رقم (6) يبين الإنتاج الفكري - من الكتب- وارتباطه بالدرجة الوظيفية

الدرجة العلمية	السنوات	الإنتاجية	النسبة المئوية
مساعد مكتبة	1970 - 1988	**14**	**35.8٪**
مساعد تدريس	-	–	-
محاضر	1989- 1993	**1**	**2.6٪**
أستاذ مساعد	1994	**1**	2.6٪
أستاذ مشارك	1995- 1997	**1**	2.6٪
أستاذ	1998- 2011	**22**	56.4
المجموع	1970- 2011	39	100٪

* عمل البروفيسور قاسم نور كمساعد مكتبة بجامعة الخرطوم- متنقلاً في العديد من مكتباتها - في الفترة بين عامي (1962- 1982).

** أنظر الجدول رقم (2) التوزيع الزمني للكتب.

يعكس الجدول أعلاه إلى أن نسبة (35.8٪) من إنتاجية قاسم نور من الكتب كانت إبان فترة عمله كمساعد مكتبة بجامعة الخرطوم وتتشارك أعماله التي أنتجها وهو بدرجة محاضر و أستاذ مساعد وأستاذ مشارك في نسبة (2.6٪) لكل مرحلة. بينما تمثل أعماله التي أنتجها في مرحلة أستاذ نسبة(56.4٪) من جملة إنتاجه من الكتب.

و يمكننا ملاحظة أن أكثر إنتاجه من الكتب كان وهو بدرجة أستاذ(56.4٪) وفي المرتبة الثانية وهو مساعد مكتبة. و في تقديري أن سبب ذلك التفوق يعود بالدرجة الأولي إلى توفر و تنامي عامل الخبرة و الإمكانيات لدي أستاذنا و هو بدرجة أستاذ بروفيسور.اما كثرة إنتاجه و هو مساعد مكتبة فيعود لقلة مسئوليته الإدارية في تلك الفترة.

ومن الملاحظ أيضاً ضعف إنتاجه وهو في درجة محاضر وأستاذ مساعد و أستاذ مشارك و يعزو الباحث ذلك إلى إنشغال البروفيسور قاسم وقتها للتحضير لدرجة و الدكتوراه و كذلك للأعباء التدريسية و الإدارية الأخري التي كان يشغلها.

سابعاً: الإنتاج الفكري وارتباطه بالمراحل العمرية:

جدول رقم (7) يوضح الإنتاج الفكري وارتباطه بالمراحل العمرية

العقد	-1970 1979	-1980 1989	-1990 1999	-2000 2014	المجموع
المرحلة العمرية	41 -32	51 -42	61 -52	73 -62	76 -32
الإنتاجية	3	11	4	21	39
النسبة المئوية	٪7.7	٪28.2	٪10.3	٪53.8	٪100

تشير معطيات الدراسة الإحصائية في الجدول أعلاه إلى أن البروفيسور قاسم نور حقق أعلى إنتاج له في الفترة بين (2000- 2014) حينما كان عمره مابين

(62- 76) عاماً (53.8٪). تليها في المرتبة الثانية المرحلة العمرية مابين اثنين وأربعين وواحد وخمسون عاماً بنسبة تبلغ (28.2٪)، وتحتل المرحلة العمرية بين (52- 61) في المرتبة الثالثة بنسبة (10.3٪) بينما تقع المرحلة العمرية الأولى التي تمتد بين(32-41) في المرتبة الأخيرة بنسبة (7.7٪).

الدراسة التحليلية لسلسلة أوراق سودانية (عشر كتب)

تعد هذه السلسلة عملاً تجميعياً يشمل البحوث والمقالات والمراجعات وعروض الكتب وأعمال المؤتمرات التي نشرها قاسم نور في فترات زمنية متفرقة

ومن أهم الدواعي والمبررات التي ساقت الباحث نحو التحليل المنفصل لكتب هذه السلسلة هو أن هذه السلسلة تضم عدد ثلاثمائة وثمانية وخمسين عملاً مجمعاً ومتبايناً في المحتوي تمثل هذه الأعمال نسبة (90.2٪) من جملة الإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم نور فضلاً عن أن هذه الأعمال سبق ونشرت في أشكال مختلفة،وتحليلها بشكل منفصل يضمن التصنيف الدقيق لهذا الإنتاج وتحليله و يعرف قاسم كتب هذه السلسلة في معرض تقديمه لها قائلاً " تمثل هذه السلسلة من المقالات والبحوث والدراسات وأوراق المؤتمرات والندوات حصيلة جهدي في الكتابة عبر الصحف والمجلات الثقافية واللقاءات العلمية،وقد بدأت هذه الكتابات في مطلع السبعينات من القرن الماضي... وتنوعت تلك الدراسات مابين الشأن السوداني وعالم الكتب والمعلومات والمكتبات، وقد ترددت كثيراً في تقديم كل هذا الزخم من الكتابات والمقالات وبعضها تحمل موضوعات انتهت في وقتها وبعضها ربما أخذت الطابع الشخصي ".

وسيتم تحليل هذه السلسلة من خلال الجدول رقم (8)والذي يختص برقم السلسلة وسنة النشر وعدد الصفحات وتصنيف هذه الأعمال حسب نوعها واللغات التى نشرت بها وعدد هذه الأعمال وسيتم التطرق لموضوعات هذه السلسلة من خلال الجدول رقم (8).

أولا: التحليل العام لسلسلة أوراق سودانية

جدول رقم (8) يوضح التحليل الإحصائي لسلسلة أوراق سودانية

السلسلة	سنوات النشر	عدد الصفحات	أوراق مؤتمرات		بحوث ودراسات		تحقيقات ومراجعات وعروض		مقالات		مجموع الأعمال	
			ع*	E**	ع	E	ع	E	ع	E	ع	E
الكتاب الأول	2007	285	-	-	4	-	60	-	3	-	67	-
الكتاب الثاني	2007	290	-	-	5	-	2	-	-	-	7	-
الكتاب الثالث	2007	156	-	-	3	-	-	-	-	-	3	-
الكتاب الرابع	2007	320	-	-	-	-	4	-	105	-	109	-
الكتاب الخامس	2007	248	-	-	1	-	8	1	46	-	55	1
الكتاب السادس	2007	171	3	-	-	-	2	-	17	-	22	-
الكتاب السابع	2007	208	-	-	-	-	-	-	84	-	84	-
الكتاب الثامن	2007	224	-	-	3	-	-	-	-	-	3	-

* ع: باللغة العربية.

** E : باللغة الإنجليزية.

السلسلة	سنوات النشر	عدد الصفحات	أوراق مؤتمرات		بحوث ودراسات		تحقيقات ومراجعات وعروض		مقالات		مجموع الأعمال	
			ع*	E**	ع	E	ع	E	ع	E	ع	E
الكتاب التاسع	2007	124	-	-	4	-	-	-	-	-	4	-
الكتاب العاشر	2007	73	-	-	2	-	-	-	-	-	2	-
المجموع	- -	2099	3	-	22	-	77	1	255		357	1

يشير الجدول أعلاه إلى أن جميع كتب هذه السلسلة نشرت في عام واحد (2007) ويري الباحث من وجهة نظره البحثية إن هذا الأمر يرجع إلى أن المؤلف انتهى من تجميع محتويات هذه السلسلة في وقت واحد ثم نشرها والدليل على ذلك عدم وجود ما يشير إلى أن أي من محتويات هذه الكتب مرتبط بفترة زمنية معينة وبالتالي ينتفي احتمال عدم إيجاد المؤلف التمويل اللازم لنشر هذه الأعمال في وقت ما.

كما يشير تحليل الجدول رقم (8) إلى أن عدد صفحات سلسلة الكتب العشرة بلغ مجموعها(2099) صفحة باللغة العربية واحتوت هذه السلسلة على ثلاثمائة ثمانية وخمسين عملاً بلغت نسبتها (92.03٪) من جملة إنتاجه الفكري.

كما يشير الجدول رقم (8) أيضاً إلى أن هنالك تفاوتاً بين عدد الصفحات و عدد الأعمال التي وردت في كل عدد من هذه السلسلة فاحتوي الكتاب الرابع على العدد الأكبر من الأعمال وجاء الكتاب العاشر في نهاية الترتيب بالنسبة لعدد الأعمال.

وكذلك تشير الدراسة أن جميع الانتاج في هذه السلسلة تم تناوله باللغة العربية وأن هنالك عملاً واحداً عبارة عن عمل مترجم وهو عرض لكتاب أجنبي تم التعرض له في الكتاب رقم (5).

يرى الباحث أن أهمية هذه السلسلة (التجميعية) تبرز في لم شتات الإنتاج الفكري من المقالات والبحوث وأوراق المؤتمرات وغيرها من الأعمال التى نشرت في أشكال مختلفة من الأوعية عبر فترات زمنية متفرقة مما يساعد الباحثين على حصر الإنتاج الفكري للمؤلفين و دراسته وتحليله فالأمل معقود على أن تعمم هذه الظاهرة الصحية ويتم تبنيها من قبل المؤلفين ذوي الإنتاج الفكري الغزير في كافة المجالات العلمية حتى يمكن تحقيق ضبط ببليوجرافي أفضل لإنتاجهم الفكري.

ثانياً: التمثيل النسبي لمحتويات السلسة مصنفة حسب النوع

جدول رقم (9) يوضح التمثيل النسبي لمحتويات سلسلة أوراق سودانية حسب الاتجاهات النوعية

نوع الوعاء	التكرار	النسبة
بحوث ودراسات	22	٪6.2
أوراق مؤتمرات	3	٪0.8
مراجعات وتحقيقات وعروض	78	٪21.8
مقالات	255	٪71.2
المجموع	358	٪100

يتضح من الجدول أعلاه أن البروفيسور قاسم عثمان نور نشر في هذه السلسلة ثلاثمائة ثمانية وخمسين عملاً متبايناً في أنواعه،تأتي في مقدمتها من حيث العدد المقالات بنسبة(71.2٪) وتأتي في المرتبة الثانية عروض الكتب والتحقيقات بنسبة(21.8٪) أما البحوث فتحتل المرتبة الثالثة نسبة (6.2٪) ثم تنزيل أوراق المؤتمرات في المؤخرة بنسبة (0.8٪).

ومما سبق يتضح التنوع الشكلي للإنتاج الفكري للمؤلف.

ثالثاً: الاتجاهات الموضوعية لسلسلة كتب أوراق سودانية

جدول رقم (10) يوضح الاتجاهات الموضوعية لسلسلة كتب أوراق سودانية

التسلسل	الموضوع	عدد الأعمال
.1	آثار	2
.2	ببليوجرافيا	1
.3	السودان- تاريخ	6
.4	التزويد في المكتبات	1
.5	التعليم	12
.6	تكنولوجيا المعلومات	24
.7	الجامعات – السودان	6
.8	الجمعيات والاتحادات	4
.9	خدمات المكتبات والمعلومات	2
.10	(رحلات وأسفار)	6
.11	رسائل جامعية	9
.12	الصحافة السودانية	26
.13	(شبكات المكتبات)	1
.14	(شخصيات)	78
.15	العادات والتقاليد	2
.16	(عروض كتب وتحقيقات)	62
.17	الفهارس	3
.18	(قبائل وأجناس)	3

التسلسل	الموضوع	عدد الأعمال
.19	(القراءة والقراء)	4
.20	الكتب	1
.21	مجتمع المعلومات	1
.22	المكتبات الجامعية	5
.23	المكتبات العامة	3
.24	المكتبات المتخصصة	3
.25	المكتبات الوطنية	6
.26	المكتبيون السودانيون	2
.27	(مناهج علوم المكتبات)	1
.28	(المؤتمرات والندوات)	2
.29	المخطوطات	3
.30	مصادر المعلومات	2
.31	الموسوعات	6
.32	(موضوعات عامة(متفرقات)	61
.33	النشر	3
.34	(لوثائق والأرشيف)	5
.35	اليهود	2
	المجموع	358

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن هذه السلسلة تضم عدد خمس وثلاثين موضوعاً موزعة على(358) عملاً وأن هنالك عدد عشرين موضوعاً ضمن موضوعات علم المكتبات والمعلومات* بما يمثل نسبة (57.1٪) من مجموع الموضوعات.

سادساً: الاتجاهات النوعية و العددية لإجمالي الإنتاج الفكري للمؤلف

جدول رقم (11) يوضح توزيع الإنتاج الفكري للمؤلف حسب الاتجاهات النوعية والعددية *

نوع الوعاء	التكرار	النسبة
كتب	39	٪9.9
بحوث ودراسات	22	٪5.5
أوراق مؤتمرات	3	٪0.8
مراجعات وتحقيقات وعروض	78	٪19.6
مقالات	255	٪64.2
المجموع	397	٪100

يتضح من الجدول أعلاه ان المقالات تتصدر المرتبة الأولي في الإنتاج الفكري للبروفسور قاسم من حيث الكم بنسبة(64.2٪) من جملة إنتاجه الفكري.

تأتي في المرتبة الثانية المراجعات والتحقيقات والعروض بنسبة (19.6٪) و في المرتبة الثالثة نجد الكتب بنسبة (9.9٪) وفي المرتبة الرابعة نجد البحوث والدراسات بنسبة (5.5٪) وفي المرتبة الخامسة و الأخيرة نجد أوراق المؤتمرات بنسبة (0.8٪).

---

* تظهر موضوعات علم المكتبات والمعلومات تنحتها خط.

* تم تفريغ محتويات سلسلة (أوراق سودانية) ضمن هذا الإنتاج في محاور (بحوث – أوراق مؤتمرات – تحقيقات وعروض ومراجعات – مقالات) ولم تحسب ضمن الكتب.

وجدير بالذكر أن المقالات وعروض الكتب والتحقيقات التي أعدها البروفيسور نشر أغلبها في شكل أعمدة وصفحات كاملة خاصة به في الصحف السودانية، و على سبيل المثال لا الحصر نذكر عدد من أعمدته وصفحاته في الصحف :

- دراسات سودانية. صحيفة الصحافة.
- أقلام وأوراق. صحيفة الأيام.
- مكتبات ومعلومات. صحيفة أخبار اليوم.

خـاتـمة:

من خلال تتبع المسيرة العلمية والفكرية للبروفيسور قاسم نور يتبين أنه متعدد المواهب فهو أستاذ جامعي، وعالم، ومؤلف، وكاتب مقالات، و باحث،ومقدم برامج، له إسهامات متعددة، و نرجو من الله سبحانه وتعالي ان يمد في عمره وان يوفقه لمزيد من العطاء والتقدم على مستوى الإنتاج والإبداع العلمي والفكري.

بقدر ما لدراسات تحليل الإنتاج الفكري للباحثين من أهمية قصوى إلا أنها تنتمي إلى تلك الفئة من الدراسات المعقدة والصعبة، وخاصة إذا ما أخذها الباحث بجدية وعمق فهي تتطلب أقصي درجات الدقة في الحصر والتسجيل والالتزام التام بالأمانة العلمية والحيادية المطلقة في العرض والتحليل من جانب القائمين عليها وهو الأمر الذي يبدو شديد الإرهاق مادياً ومعنوياً، في ظل ندرة وجود أدوات الضبط الببليوجرافي الفعال في معظم المجالات المعرفية والعلمية[1].

وبالرغم من حرص الباحث على الالتزام بمبدأي الدقة والحياد في عرض بياناته وتحليلها إلا أن الكمال لله وحده سبحانه وتعالي، لذلك أرجو أن أكون قد وفقت بعون الله وقدرته، وان أكون اقتربت قدر الإمكان من مبدأي الدقة و الحياد، ونستعرض فيما يلي أهم النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسة:

نـتائج الـدراسة:

1. كشفت الدراسة أن البروفيسور قاسم عثمان نور نشر على مدي أربعة و أربعين عاماً(من بداية العام 1970 وحتى نهاية العام 2014)عدد ثلاثمائة و سبعة وتسعين عملاً منها عدد تسعة و ثلاثون كتاباً بالإضافة إلى عشرة كتب

تجميعية عبارة عن سلسلة جمع فيها ثلاثمائة و ثمانية و خمسين عملاً عبارة عن مقالات، بحوث، أوراق مؤتمرات، عروض كتب وتحقيقات نشر أغلبها في الصحف السودانية في فترات مختلفة، وقد تباينت جميع هذه الأعمال في خصائصها الزمنية، والوعائية و الموضوعية حيث شكلت في مجملها إضافة حقيقية ذات قيمة أكاديمية وبحثية للمكتبة السودانية والمكتبة العربية عموماً أكدت الدراسة تنوع الاتجاهات الموضوعية للإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم نور حيث بلغ عدد الموضوعات التي تناولها في شكل كتب منفردة ثلاثة عشر موضوعاً نسبة (50٪) منها تصنف ضمن موضوعات تخصص علم المكتبات والمعلومات وقد طغى عليها الجانب العملي خاصة في الموضوعات الأساسية للتخصص (ببليوجرافيات – فهارس – كشافات)، فيما بلغ عدد موضوعات إنتاجه الفكري في شكل مقالات وأوراق مؤتمرات وعروض كتب وتحقيقات - والتي جمعها في سلسلته، أوراق سودانية – عدد خمسة وثلاثين موضوعاً و نسبة (57.1٪) منها يمكن تصنيفها ضمن موضوعات تخصص علم المكتبات والمعلومات.

2. خرجت الدراسة بنتيجة تشير إلى أن معظم إنتاج البروفيسور قاسم نور من الكتب كان باللغة العربية بنسبة (89.7٪) ونسبة (10.3٪) منه باللغة الإنجليزية ، وأيضاً جميع إنتاجه المجموع في سلسلة أوراق سودانية باللغة العربية ماعدا عمل واحد عبارة عن عرض لكتاب صادر باللغة الإنجليزي عرضه بالعربية.
3. بينت الدراسة أن سلسلة أوراق سودانية تصدرت فيها المقالات النصيب الأكبر من حيث العدد بنسبة (65.5٪).
4. تشير الدراسة أن نسبة (56.4٪) من الكتب التي أعدها البروفيسور قاسم كان بدرجة أستاذ بروفيسور.
5. أنتج بروفيسور قاسم نسبة (53.8٪) من كتبه وعمره مابين (62- 76).

توصيات الدراسة:

1. ضرورة الاهتمام بالتوثيق للإنتاج الفكري للعلماء والباحثين السودانيين مما يساعد في الإفادة منه وكذلك التعريف به محلياً و إقليميا وعالمياً على أن يتم ذلك تحت رعاية ودعم من المكتبة الوطنية السودانية و بمشاركة ومساندة من مراكز التوثيق والمعلومات.
2. دعم و مساعدة المؤلفين السودانيين نحو نشر بحوثهم إقليمياً وعالمياً.
3. حث و تشجيع طلاب علوم المكتبات بالجامعات السودانية – بمستوياتهم المختلفة – على المشاركة في إعداد الدراسات الببليومترية والببليوجرافية عن الإنتاجية العلمية للمؤلفين السودانيين في مختلف المجالات.
4. ضرورة متابعة الإنتاج الفكري للبروفيسور قاسم نور فهو إنتاج مستمر - بأذن الله تعالى - خاصة إذا ما علمنا بأنه بصدد نشر أعداد جديدة من سلسلة كتب أوراق سودانية وسينشر عما قريب الأعداد من الحادي عشر حتى العدد الخامس عشر، بجانب مجموعة من الكتب الأخرى.

المصادر و المراجع

1. أحمد على تمراز.الأساليب الببليومترية في الإدارة المكتبية.- مجلة المكتبات والمعلومات.- مج1، (1405 هـ).
2. شعبان عبد العزيز خليفة.المحاورات في مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997.
3. عبد الكريم بن عبد الرحمن الزيد. تحليل الاستشهادات المرجعية لمقالات الدوريات العربية في مجال المكتبات والمعلومات.- الرياض: جامعة الملك سعود، 1994م.
4. قاسم عثمان نور. سيرة ذاتية [غير منشورة].
5. ياسر يوسف عبد المعطى، تريسا لشر. معجم علوم المكتبات انجليزي عربي.- الكويت: مجلس النشر العلمي، 2003.
6. http://www.elshami.com/menu_Arabic.htm .- 20/1/2009م.

7. White, H. D. and Mc Cain, K. W. Bibliometrics. Annual Review of Information Science and Technology, 24, (1 9 8 9) .
8. William w. literature of bibliometrics,scientometrics,and informetrics.-scientometrics.vol.52,no.2(2001).
available at >:
http://link.springer.com/article/10.1023%2FA%3A1017919924342#page-1 in 4/11/2014

The Representation of (Transgender) in Sudanese Novel Wad Amouna in "Jango: Stakes of Earth" by/ Abdul-Aziz Barka Sakin as an example

Dr. Elsadig Hussein Fadlalla Ali
Assistant Professor - Department of English
Faculty of Arts - University of Dongola

Introduction

Sudanese novel like the other genres of literature worldwide relates to society, discusses the problems of the society and reflects its activities; beside playing an important role in enriching the totality of the culture, affects on and affected by society in all aspects of life, for instance, social organizations, class structure, economic system, the political issues; for this reason the relation between them is highly complex.

This study sheds light on this relationship and discusses one of its variables, that is, gender issues in literature by focusing on transgender in Sudanese novel though analyzing the character of Wad Amuna in "Jango: the Stakes of Earth" by Abdul-Aziz Barka Sakin; and tries to explain how literature helps in understanding the real problems within the social institution.

It is known that society divides people into categories – boy or girl – depending on the male or female appearance of an infant at birth. Our reproductive organs, as well as our brains, have distinctly different male and female characteristics. These physical differences define our sex, whereas gender identity describes the inner sense of knowing that we are men or women, while gender role describes how we behave in society. This is different from sexual orientation; that is, whether a person is sexually attracted to men, or women, or both or, very occasionally, neither. Typically, our sex appearance, gender identity and gender role are consistent with each other, so, as soon as the sex of a baby is apparent at birth, it is assumed that the gender identity matches but sometimes, for different reasons, this may not happened and some type of mismatching between these three things may occur which lead transgender person.

But before discussing the topic some terms will be defined below:

- **Sex and gender:**
  Sex and gender are terms used to describe the physiological differences on the basis of which human beings are classified as males and females. Both terms entwine the biological with the socially constructed (Mythye, 2003: 16).

- **Sex-roles:**
  Are behavior and attributes expected of individuals on the basis of their sex, i.e. of being male or female (ibid: 17).
- **Gender roles:**
  They are attitudes and activities that a society links to each sex (Macionis, 2002: 252).
- **Stereotypes:**
  Refer to preconceived ideas about individual, group, or objects (Mythye, 2003: 18).
- **Gender**:
  Gender refers to the personal traits and social position, the member of society attach to being a female or male (Fadlalla, 2013:2).

But what is the difference between sex and gender?

Sex is assigned at birth, refers to one's biological status as either male or female, and is associated primarily with physical attributes such as chromosomes, hormone prevalence, and external and internal anatomy. *Gender* refers to the socially constructed roles, behaviors, activities, and attributes that a given society considers appropriate for boys and men or girls and women. These influence the ways that people act, interact, and feel about themselves. While aspects of biological sex are similar across different cultures, aspects of gender may differ.

Transgender is an umbrella term for persons whose *gender identity*, *gender expression*, or behavior does not conform to that typically associated with the sex to which they were assigned at birth. *Gender identity* refers to a person's internal sense of being male, female, or something else; *gender expression* refers to the way a person communicates gender identity to others through behavior, clothing, hairstyles, voice, or body characteristics. Like: *transsexual, cross-dress, drag queens, drag kings, Gender queer.* Other categories of transgender people include androgynous, multigendered, gender nonconforming, third gender, and two-spirit people. Exact definitions of these terms vary from person to person and may change over time, but often include a sense of blending or alternating genders. Some people who use these terms to describe themselves see traditional, binary concepts of gender as restrictive. Transgender people experience gender-identity in one of many nontraditional ways. The word "trans" means to cross or change. In this case, they *cross* socially accepted gender codes through their appearance (dress); behaviours (gender roles); natural biology

(neither totally male nor female); or conflict between their internalized gender and biological sex.

The reasons behind being transgender:

There is no single explanation for why some people are transgender. The diversity of transgender expression and experiences argues against any simple or unitary explanation. Many experts believe that biological factors such as genetic influences and prenatal hormone levels, early experiences, and experiences later in adolescence or adulthood may all contribute to the development of transgender identities.

On the other hand literature is intimately related to society. Viewed as a whole, a body of literature is part of the entire culture of a people. The characteristic qualities that distinguish the literature of one group from that of another, derive from the characteristic qualities of that group. Its themes and problems emerge from group activities and group situations, and its significance lies in the extent to which it expresses and enriches the totality of culture. It is an integral part of entire culture, tied by a tissue of connections with every other element in the culture.

It is known that society influences literature in many ways, and the connections of literature with society are integral and pervasive. And if literature expresses social sympathies, naturally it is bound to exercise some positive influence on our mind and attitude. Society reacts to literature in a living way. The influence of literature on society is felt directly or indirectly. Thus, society creates literature. It may be described as the mirror of the society but the quality and nature of the reflection depends upon the writer's attitude of mind, whether he is progressive in his outlook or reactionary.

Naturally, conservative-minded writer will stress those aspects of social life, which put the traditional ways of life in the best possible way. For example, he will set a high value on reverence for age-old ideals, respect for religion, chastity of woman and so on. On the other hand, a progressive writer will tend to show how old ideals act as restraints on the natural freedom of the human mind, cripple the free movement of man and women in an unrestricted atmosphere, set for liberating new ideals and moving society that looks forward to newer ways of life.

Reflection Theory:

Traditionally, the central perspective for sociologists studying literature has been the use of literature as information about society. To a much lesser degree, traditional work has focused on the effect of literature in shaping

and creating social action. The former approach, the idea that literature can be "read" as information about social behavior and values, is generally referred to as *reflection theory*. Literary texts have been variously described as reflecting the "economics, family relationships, climate and landscapes, attitudes, morals, races, social classes, political events, wars, and religion" of the society that produced the texts (Albrecht,1954: 426).

The basic idea behind reflection, that the social context of a cultural work affects the cultural work. Reflection assumes a simple mimetic theory of literature in which literary works transparently and unproblematically document the social world for the reader. Literature draws on the social world, (Jauss 1982; Radway 1984; Griswold 1987). The idea of literature as a mirror of society still seems a fundamental way of thinking about why people are interested in literature.

Summary of the novel

The Novel: "Jango: Stakes of Earth" is a Sudanese novel written by Abdul-Aziz Baraka Sakin in the year 2009.

Jango are seasonal workers. It is a working class in Sudan that are alike in quality, concerns, aspirations and the clothes they wear; their names changes according to their professions and the crafts that they do whether clearing out the land, planting, … etc.. The novel is a biography of these workers; narrated by one of the Jango. It is a detailed description of the social life of this class. Beside reflecting the appearances of modern transformations like reflecting new ways of life, trade and economic, for instance the banking system displayed on their lives.

The novel structure is distributed into different unnumbered chapters with different lengths and titles. It is noticeable that these titles which are logically, accurately, and tightly constructed, are ranging from the names of places, characters and actions

The characters are interacting along the story, this interaction is determined by the nature of the narrator who controls the storytelling and the narrative organization like: (I am Jangujuraa), the second husband of «Alam Gashi», then by «Wad Amuna» who is difficult to determine whether he is a man or a woman, and the same thing applies to «Safiaa», the female who practice masculinity on men, and «Azaa» who promised Wad Amuna, while in prison with his mother, to take care of his school fees, in addition to Adie and Adalia Daniel. However, what can be recorded in favor of these characters is the power of female presence throughout the pages of the novel. In spite of the fact that the narrator is in control of the narrative structure, as noted above, but «Wad Amuna» constitute the nucleus of the

receiving and issuing of events, as long as he has the ability that qualifies him for the connection and separation of the rest of the characters. It is noted also that every character represents a small narrative unit.

We find that the bet in this novel is on the story, as long as the narrator knows the details of the life from inside. The novel has been narrated into two levels of language: the first level where the middle language combines the standard with the colloquial one; the second level is a high narrative language.

The novel «Gango: Stakes of Earth », reveals the contradictions and the varying levels of awareness and understanding of society. It evokes political issues, civil wars in addition to the other social issues. (Noureddine, 2009)

The author:

Abdul-Aziz Barka Sakin – Sudanese novelist and short story writer – born in 1963 in Kassala, Eastern of Sudan – Graduated in Asuot University – Egypt.

His publications:

- Trilogy:
  Al-Tawaheen (2000),
  Ramaad Almaa (2001),
  Zawaj Imraa min Rasas (2009)).
- Alaa Hamish Al-Arsifa.
- Imraa min Kambo Kadees.
- Al-Jangoo Masameer Al-Arid (2009).

In the following part the paper will try to discuss this issue, transgender, in Sudanese novel "Jango: Stakes of Earth" by/ Abdul-Aziz Barka Sakin with reference to the character of Wad Amuna in relation to his gender **identity, expression and behavior** as an example of transgendered character from childhood to adulthood adopting the (Reflection Theory) which consider literature as a mirror of society.

Character analysis:

- The translation of the novel's quotations are the researcher's

In order to analyze any character we need to look at the following variables: his appearance, his background(where he come from, his education, his past experience), his personality, his relations, his behavior, the struggle and conflict that he passed through, and his important actions; all these things are going to be applied to the character of Wad Amuna in the upcoming part supported by quotations from the novel where possible in addition to discussing the different changes he passed through then concludes with

summary for the personal traits so as to approve that he is a transgender person.

Appearance:

Concerning his **appearance** there are two periods of his life; his childhood and his manhood. When he was a child, he was handsome, fat, lazy. The cooker of the prison thinks that their childhoods are similar, he is similar to him in many ways for instance he tends and likes to stay with women all the time.(p. 2)

His mother afraid of leaving him alone or with the other women: he is nine years old but he looks older than his age he is handsome, fat, and has tall legs. (p. 6)

When become older the author described him as handsome, humble, medium height, yellow shining skin, big mouth-tag; his hair is given special attention, it is cut and combed in a good-looking style. He puts a nice perfume which can easily be recognized. He does not look like the other persons in the place; he is clean, well dressed, walks and speaks delicately, has shining face and sweet voice when singing. (p.14)

If we look at his language we will find that when he was a child his language was normal like the other kids. But when grow older (youth) his language changed; talk delicately, sing girls' songs. Speaks women language and uses female terms. Tend to use bad words that relates to sex.

Background

He is not sure where he and his family came from; his mother told him that his father came from Yemen and that she escaped from her family from a village in the far west of Sudan. He has no brothers or sisters, brought up in prison with his mother till he became nine years old then go out with Azza for a while then joined Alamgashy in Alaum house.(29)

He did not joined a school till he was nine years old because he was with his mother in prison. But after that he received a short learning period after leaving the prison with Azza then stop because Azza went back to prison again.

During his childhood Wad Amuna passed through many situations, incidences and accidents that form a very bad **experiences** for him, for example: he spent most of his childhood in prison where he heard many sexual bad words. He used to sleep with his mother on the same bed when he was a child during his staying in prison. He was fussed (coddled) (pampered) by his mother and the other female prisoners, beside the guards of the prison.

He passed with his first sexual experience when Azza touches his penis accidentally (or that what she pretends). He dislikes the prison cooker because he tries many times to harass him sexually. Beside that there is a rumor that the guards of the prison practice sex with him many times.

All these experiences and situations, in addition to others, have great effect on his future and formed his **personality** and his character later. For instance, when he was infant he learned (Wad Amuna) his first lesson from insects: patience from ant and sordidness from fly.

The important traits of his character are: taking chance when it appears; sordidness, transferring news from person to another, gossiping, trustless, pimping (procurator) (pandering), divulging secrets (disclose secrets of others), lair, sedition among people (agitation) (troublemaking), loyal, patient and helpful.

All these things are clear in the following situations:

> He knew every detail about everybody, young or old; he tells all the secrets, gives every secret, and no secret can be hidden from him, … (p.141)
>
> But his worse behavior was gossiping … which was also for money. (p.141)
>
> The daily love meeting between them (Al-Turkawi and Bushie) continued by the help of Wad Amuna; he was good in transmitting the message exactly … (p.152)
>
> I did the work in as best way as possible by the indirect help of Wad Amuna because I am, like others, do not trust Wad Amuna. (p.156)
>
> She propositioned him and he agreed to have sex with her, but he said he will do some work for Adie and come back, although she, only, became sure that he will not come when the next day sun rise, so she slept. (p.159)
>
> The narrator said: "The absence of Wad Amuna and his absorption with the bankers beside his repeated visits to Khartoum has an effect on what will fill my information gap, and in awaken of my mindlessness" (167).

> He asked me while he was rubbing his handsome face with his hand: you do not know me, do you?
> …
> He suddenly and loudly said while he was staring at my face: Am I a girl or boy? And because he was not waiting for a certain answer, he continued very calmly, explaining how he discovered himself when he was eighteen, telling me his story when he accidentally touched another boy's while they were swimming and how he felt a shaking in his body that was about to lead to his drown. (p.171)
>
> Wad Amuna said about himself: I feel happy when I help the others and when I feel that they are happy because of me. (p.173)

His Relationships:

During his childhood he was strongly allied to his mother, he stayed with her in prison. He likes also to be in the company of Azza (one of the female prisoners) in spite of his mother's warnings. He dislike the prison cooker who tries to harass him.

He was brought up among three girls – his aunts - the youngest of them is older than him.

He served women in prison in every possible way; he did the same when he grow up and lived in the village he was the only man among women, did whatever they asked him to do, in fact he was their right hand.

His behavior:

When he was a child with his mother in prison he **behaved** in a normal way like other kids of his age except some signs here and there, for instance: he likes staying with women and serving them, like the company of Azza in spite of his mother's warnings, he worked in the kitchen with the prison cooker, who was homosexual, who tries to harass him but Wad Amuna defends himself in a strong way.

When grow older (29 years old) **his behavior** changed completely into transgendered person; the change is clear from the way he behaves which is reflected from his first appearance in the story when the narrator and his friend were having tea from tea maker, at that time he was sitting near them listening to their conversation then asked them to join Alaum House where they will find what they need !

Then many situations followed which support his gender identity:

- Once he was sitting on a large Bamber (local seat) cleaning his feet using a special kind of stone for smoothing his feet while a woman was standing behind him … cleaning and clearing his back's, removing the hair using special kind of wags. (p.18)
  (the stone and wags are generally used only by women; according to the narrator this is a womanish behavior)

- In a far part of Alum House where we sat; me (the narrator), my girl friend Alam Gashy, and Wad Amuna who prepared everything professionally (!!) and sat near the door … (p.26)

- The mood was completed by the Sheesha which Wad Amuna was excellent in preparing and who detest our staying alone as two single men without women because women would give the flavor to this chatting, besides he will gain some money from bringing some girls to us (p.31) (pandering / primping)

- Alam Gashy told me once: Wad Amuna is busy in teaching a pride these days. I asked: training a pride !! training her what ??? She replied: training her the pride's dancing. You do not know that Wad Amuna is a singer, dancer, henna painter and barber, do you ??!!!
  (these things are usually done by females).

- Alam Gashy once told me: Wad Amuna was about to be born as a girl but Allah saved him.
  One of the women said: (laughingly) he does what girls do, it seems that he is not a man.
  She added: no woman tries him and no man tries him, except the story of the prison cooker when he was young (p.36)

- Wad Amuna joined us, there was khumraa and other women local perfume on him, he was delicate, soft and shining; he was womanlike more than I ever saw him before. (pp. 37-38) (khumraa is usually used by women when preparing for sex)

- One of the Jango said loudly while they were negotiating the salary for harvesting sesame: It is better for me to do like what Wad Amuna does than working for eight pounds a day. (p.39)

- One of the mornings I heard Wad Amuna singing girls' song using Dalukaa (local women drum) while he was training a pride how to dance for wedding celebration. The narrator said (p.49)
- Wad Amuna added: this night I will prepare her for you using dukhan and dilkaa, she will become like pride. I think in this way I will do my best. (p.68)

- The unique singer Wad Amuna was singing girls' songs with high feminine voice; his voice was affected slightly because of staying late at nights teaching the pride and drinking a lot of coffee … (p.76)

- One of the merchants commented reluctantly: damn on him … you can never know whether he is a woman or man !
  The other replied: he is a bad gay … I swear if he is my son I will slaughter him.
  Adeela (a woman) said: why you are bothering yourselves with him, it is none of your business, god created him and he (the almighty) wants him like this. (p.76)

This type of behavior happened as a result of many events which in turn lead to his change frequently.

The Turning Points in his Life:

It is clear that Wad Amuna passed through many turning points and changes. The events that led to this changes are many each of which has a crucial effect on his life in a remarkable way:

- the first of which is his living with his mother in the prison where he saw many actions and deeds that affect him, for instance, how the guards of prison acted with Azza in a rough and cruel way which led later to the great help that he offered for her by the end of the story and for women at Alum House; then came another accident when he cut the prison cooker's penis by his teeth; this accident gave his mother some confidence on him so she sent him with Azza;

- then his living in Alum House where his character changed again; affected by living with women. Living in Alum House led to his meeting with the stranger man who told him that he is a prince and should take care of himself (he heard it princess) and this support his inner feeling of being a girl and consequently his behavior become girlish and did what women usually do.

- Then, come the next change when he joined the bank and met one of the bankers who told him, that, it is better for him to move to Khartoum because he deserves his weight gold and that he will introduce him to a powerful man there; who will open all the gates in front of him if he is (the man) pleased which happened and led to his last surprising change and as a result he become a federal minister and his name changed from Wad Amuna to Kamal El-Deen Al-Yamani.

Important actions of the character

- Three years ago he worked in the bank as an office boy beside working in Alum House in two positions: as a house boy serving Alum and the other women in addition to working in his hobby in making kissra (Sudanese bread) which, in a way or another, are acceptable jobs; beside that he was also working in an familiar position, that is cleaning the sensitive parts of his clienteles' body from hair these clienteles include: the senior staff, merchants, and rich women. This type of work is regarded by many as a lay type of work. (p.140)

- The real turning point in his life happened when the stranger came to Alum House once. He was a cute man who looks in his late fifties … the man kissed him twice on his check, then whispered in his ear sweetly while rubbing his hair with the other hand: take care of yourself, you are a prince.

  But Wad Amuna heard it: you are a princess. He shake in tipsy while he was smelling the man's words and kisses with every flesh of his body. The man left the next day and never appeared again, but since then he was taking care of his body, his appearance, his walking, the movements of his hands and of his back in an amazing way; he consider women as his highest example in taking care of body; he even told me his wishes to become a woman, and that he hates his penis; he wishes to have beautiful breasts, small waist, and a feminine beautiful face … he suddenly said while he was moving his hands in the air: there is a girl inside me!!!

  ….

  He said with an anxious smile on his mouth: No, there is a real woman inside me, a crazy woman who is trying to appear by all means. (p.171-172)

- He told me once that he decided to move to Khartoum and work there. And that he know a man in the bank who promised to introduce him to a very important, powerful, very rich man who has strong relations and a very salacious (randy) person; and if I pleased him all the gates of the world will be opened in front of me. He assured me that I am equivalent to my weight gold, but here, in this place, I equal nothing. (p.173)

- Alsafia told me that she likes to join a university and graduate as a lawyer; and that it is not difficult by the help of Allah, she told me also that Wad Amuna finally found the one who will take care of him in the capital … (p.182)
- … Azza was released out of prison after staying in it for about ten years, this happened after Wad Amuna get in relation with one of the important persons that Wad Amuna did a very special favor for. But the greatest surprising news that came to me about Wad Amuna later when I was immigrant, was that Wad Amuna become a federal minster whose name is Kamal Al-Deen Al-Yamani. (p.183)
  Attaching his name to Yamani may be a subconscious reaction to the accidents that happened during the sixties of the previous century from some Yemeni traders who practiced homosexuality with some of Sudanese boys.

Conclusion

From the above discussion about the character, Wad Amuna, we can conclude that he is a typical transgender person because his gender identity does not conform to that associated with his sex as a man, his sex is a male while his gender identity – that is his internal feeling- is a female. He used all the possible means (gender expression) in order to communicate what he feels (his identity), like: his behavior, his hair style, his voice quality and how he speaks with the others, his body language and movement bedside his facial expression, and the way he dresses compared to the people around him.

It is clear that all the reasons that led to a transgender person are applied to Wad Amuna; at the beginning he was brought up with women (his mother and her three sisters), then in prison with his mother and the female prisoners, and then with Alum and the other women in Alum House. He passed through some experiences which

enabled him to discover his inner feelings towards his gender identity (he likes to stay with women, the situation when he was swimming with the other boys, the visit of the strange man to Alum House, … etc. and accordingly come his gender behavior and expression which clearly support how he feels about himself because he believes that he is a woman and consequently he acts, in all possible ways, as a female.

On the other hand he has some deeds that are not exclusively attach to a particular gender; some of these are related to homosexuals, and some are to both sexes but are common between women like gossiping; and some traits fit the social and political climbers, suitable for person who is trying to climb to high position, and by the help of these type of behavior he finally reached a highest position in the state structure (a federal minister) after passing through many changes, that is: house boy, office boy, … etc. then disappearing for a while and come his huge change when appeared at the end as a federal minister.

The discussion of this character- Wad Amuna- shows that this type of persons are found in society, among us in our real life which supports that literature affect society and affected by it; in addition to that, it shows that literature reflects what is going on in society and reflect our social problems and norms. It, also, shows the ability and skills of Sakin (the autor) in handling these problems skillfully, and how he tries to shed light not only on the bright sides of our life but also the seamy and dark sides which reflects his progressive attitudes of mind.

References:

- **Albrecht, Milton C**. (1954) 'The Relationship of Literature and Society', *American Journal of Sociology*, Vol. 59, No. 5 (Mar., 1954), pp. 425-436

- **Badri, Shawgi** (2014) 'Homosexuality … an unspeakable matter'
  03-01-2014 01:03 AM

- Encyclopedia of Sociology (2001) Literature and Society | The Gale Group Inc.
  http://www.encyclopedia.com/

- **Fadlalla, Elsadig Hussein** (2013), ' The Image of Women in Contemporary Sudanese Novel', unpublished PhD Thesis, University of Dongola, Sudan.
- **Macionis, John J.** (2002) 'Society', 6th edition, Pearson Custom Publishing, Boston, USA.
- **Mathye, Hlamalani Ruth** (2003) 'The Image of Women in Selected Tsonga Novels, Unpublished M.A., University of South Africa.
- **Noureddine, Sadik** (29/09/2012), 'Abdul Aziz Barka Sakin, An interview about his life and his novel (stakes of Earth)', 'Nizwa Magazine, Issue Seventy one 2009
- **Sakin, Abdulaziz Baraka** (2009), 'Jango Stakes of Earth', Arabic electronic version.

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة